العدد الخامس - السنة الاولى
ذو القعدة ١٣٩٧هـ - اكتوبر ١٩٧٧م

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية



الفيصل

بسم الله الرحمن الرحيم

العدد الخامس - السنة الاولى
ذو القعدة ١٣٩٧هـ - اكتوبر ١٩٧٧م

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

هــذا العــدد

** العين ترى الجمال: والأذن تسمع الأنغام: والانف يشم رائحة الزهور: واللسان يتذوق أشهى الفواكه والطعام: واليد تلمس الطبيعة: هذه هي قرية «بو سعيد» التونسية.



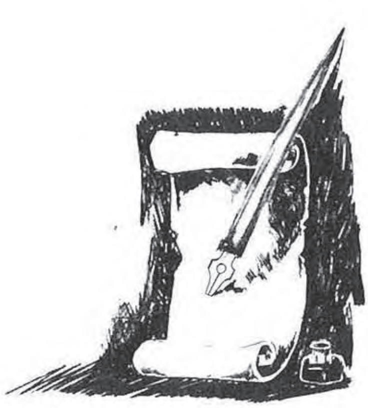
** أشرف نبت الأرض: وأكثره قدسية وكرامة: هذه هي النخلة: ماذا تعرف عنها: وعن تعدادها في البلاد العربية خاصة والعالم عامة: وما هي الصناعات التي تعتمد عليها.



** فن النقش أحد الفنون الشعبية. كيف نشأ هذا الفن في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية خلال أوائل القرن الرابع عشر الهجري؟



صفحة



من كتّاب هذا العدد



محمد حسن فقي

* من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٢١هـ.

* تلقى تعليمه بمدرسة «الفلاح» ثم عمل بها فترة من الزمن مدرسا للادب العربي.

* شغل منصب رئيس تحرير جريدة «صوت الحجاز».

* تنقل في عدد من الوظائف الحكومية منها مدير عام وزارة المالية .. ثم عين سفيرا لبلاده في اندونيسيا .. كما شغل منصب رئيس ديوان المراقبة العامة لحسابات الدولة. ويشغل حاليا منصب رئيس مجلس ادارة البنك الزراعي.

* له ديوان ضخم مطبوع بعنوان «قدر ورجل» .. وله ما يقارب ١٣ مجلدا شعريا مخطوطا .. مجموعة اخرى من الكتب النثرية المخطوطة.

* يتميز بالسيولة الشعرية .. فهو يكتب رباعيات وخماسيات يوميا في الصحف الى جانب القصائد المطولة اسبوعيا.

* يميل في شعره الى الفلسفة والتأمل .. تلونه روح حزينة فيها صفات الرومانسية لكنه يبقى اكثر ارتباطا بواقعه.



يوسف الشاروني

– من مواليد اكتوبر عام ١٩٢٤م.

– ليسانس آداب من جامعة القاهرة – قسم فلسفة.

– يعمل مديرا عاما للمجلس الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة.

– عضو لجنة القصة بالمجلس المذكور .. ومجلس ادارة نادي القصة .. وجمعية الادباء .. واتحاد الادباء في مصر.

– له عدد من المؤلفات المطبوعة في القصة القصيرة .. والنقد الأدبي .. وقد ترجمت قصصه الى عدد من اللغات الاجنبية.

– فاز بجائزة الدولة التشجيعية في القصة القصيرة لعام ٦٩/٧٠.

– اشترك في عضوية كثير من المؤتمرات الادبية العربية والدولية.

د. محمد مصطفى هدارة

* من مواليد الاسكندرية عام ١٩٣٠م.
* دكتوراه في الأدب العربي .. موضوع الرسالة «اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري».
* أستاذ الأدب العربي في كلية اداب جامعة الاسكندرية
* يعمل حاليا استاذا بكلية آداب جامعة الرياض.
* له مجموعة من الكتب المؤلفة منها «مشكلة السرقات في النقد العربي»، «تيار الشعر العربي المعاصر في السودان» .. والترجمة منها «الاسلام» تأليف «الفريد جيوم»، «يوميات هيروشيما»، تأليف الطبيب الياباني ميشيكوهاشيا.





احمد صالح الصالح
(مسافر)

* مواليد مدينة عنيزة في المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٢هـ.
* ليسانس تاريخ، جامعة الامام محمد بن سعود، كلية العلوم الاجتماعية.
* يعمل في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.
* يوقع اشعاره باسم **«مسافر»**.
* له ديوان «عندما يسقط العراف» .. وآخر مازال مخطوطا.
* له مقالات نثرية وجدانية كان يكتبها في الصحف تحت عنوان **«غصن زيتون»**.



الدكتور صالح رياض

– من مواليد الأقصر سنة ١٩١٦م.
– خريج جامعة القاهرة سنة ١٩٣٩م.
– استاذ في التربية ودكتور في علم النفس من جامعة لندن.
– عضو الجمعية البريطانية لعلماء النفس
– عضو الرابطة البريطانية للعلاج النفسي الاجتماعي
– عضو هيئة خريجي جامعة لندن
– عمل في التدريس في معاهد اعداد المعلمين لعدد كبير من السنوات، في انحاء مختلفة من القطر المصري.
– قام بتدريس علم النفس في جامعة لندن لبضع سنوات.
– له خبرة واسعة في الحقل الصحفي والاذاعي
– نشر مقالات عديدة في عدد من المجلات الثقافية العربية لاسيما في مصر والعراق.

الطريق إلى المستقبل.. الحلم

اذا كان المستقبل في حياة الفرد عددا من سنوات الحصاد المصحوبة بالفشل .. او النجاح .. او بهما معا .. فانه في تاريخ الامة ميراث الماضي. وعطاءات الحاضر بسلبياته .. وايجابياته من اجل صناعة المستقبل.

ومستقبل الامة ليس في «حيازة» الطاقة .. و«امتلاك» وسائل الانتاج .. ولكن في مبادرة العقل القادر على استغلال الطاقة .. وتوظيف وسائل الانتاج بشكل فعال ومؤثر .. مراعيا في حساباته كل العلائق الاخرى الاجتماعية .. والفكرية .. والنفسية المرتبطة بعملية الانتاج الكاملة..

فانشاء مصنع عملية قد تبدو سهلة اذا اخذنا في الاعتبار مجرد توفير الآلات والاجهزة اللازمة للتحريك مع توافر السيولة المالية الكافية وهما عنصران اساسيان من عناصر انتاج المشروع .. لكن هذين العنصرين (الآلة..والمال) لا يقوم مشروع المصنع عليهما في غياب «الخبرة» التي تشكل اكبر عقبة تعانيها الامم في عملية الانتاج.

والخبرة تعني القدرة على ادارة المشروع لتحقيق اقصى طاقاته الانتاجية .. كما تعني العقل «المنتج» لا «المستهلك» .. والعقل المنتج هو القدرة على توظيف الامكانات المادية .. والبشرية الموجودة بشكل جيد.

امام هذه النتيجة نجد انفسنا امام قضية المستقبل المتمثلة في «العقل المنتج» وهي صفة تنسحب على الشباب على اساس انهم الجيل الواعد .. والقادر تحت كل الظروف على صناعة المستقبل.

ولكن .. هل يكفي ان يكون للامة شباب كي يكون لها مستقبل ؟

لو اتفقنا جميعا على ان المستقبل هو «العقل المنتج» .. وان كل أمة هي جماعة من المنتجين .. والمستهلكين اعترافا بقاعدة الفروق الفردية فان جماعة الشباب المرشحة لقيادة امتها وبلادها هي «الفئة المنتجة» .. لا «الفئة المستهلكة».

والامة الناضجة الحريصة على صناعة مستقبل رائد .. ومنتج هي الامة التي تسعى لتكوين «الاطر المنتجة» .. وترشيد «الاطر المستهلكة» .. ومن خلال هذه الموازنة يمكن تحقيق المستقبل المنشود .. وهذه النتيجة تقودنا الى سؤال آخر يمس مستقبلنا كعرب ومسلمين .. وهو:

هل استطعنا ان نحقق هذه الموازنة .. وما هي الاساليب التي يتم بواسطتها تكوين الاطر المنتجة .. وترشيد الاطر المستهلكة في بلاد العرب والمسلمين .. ومدى مواءمة هذه الاساليب لبيئتنا .. وعلاقتها بغيرها من العلاقات المختلفة والمرتبطة بالعملية الانتاجية ؟

وقبل ان نجيب لابد من الاعتراف اولا ان البلاد العربية والاسلامية تمر بمرحلة هامة من مراحل صناعة مستقبلها ..

وهي مرحلة «التنمية» بكل ابعادها .. وهذه المرحلة تتطلب قدرا كبيرا من الخبرات اللازمة لتسيير حركة التنمية تسييرا يحقق اهداف خططها المطروحة .. وهي في سبيل هذا تستعين بخبرات بعضها – على قلتها وندرتها – في الوقت الذي تنهض الخبرات الاجنبية بالقسط الكبير من تنفيذ الخطط .. هذه الخبرات مع كل ما تحمله من روح المبادرة تظل محكومة بظروفها الخاصة .. وبيئتها .. الى جانب وعيها الكامل للصراع الذي يدور في المنطقة بفعل مجموعة من العوامل ابرزها عامل الوجود الاسرائيلي في المنطقة العربية.

واذا ما عدنا الى موضوع سؤالنا المتعلق بتحقيق الموازنة في تكوين الاطر المنتجة .. وترشيد الاطر المستهلكة .. والاساليب المتبعة في بلاد العرب والمسلمين .. ومدى مواءمة هذه الاساليب للظروف البيئية أرضا .. وبشرا. لوجدنا ان عملية «التكوين والترشيد» تم من خلال ابتعاث شبابنا الى جامعات ومؤسسات اوروبا واميريكا العلمية.

ومع الاعتراف بفوائد «الابتعاث الخارجي» وما يحققه من نتائج علمية الا أننا نجد ان لها أيضا مساوئها .. وابرزها تكوين جيل من «الغرباء» .. داخل المجتمع الواحد .. والوطن الواحد .. والامة الواحدة.

غرباء نفسيا .. وفكريا..

جيل غالبيته منفصل شعورا ومعاشا ليس عن مجتمعه .. وبيئته فحسب بل عن اسرته ايضا.

جيل يقرأ «هيجل» و«ديكارت» و«كركيجارد» ويسخر من ابن رشد .. والغزالي .. والفارابي..

جيل يشعر بالسعادة حين يسمع اغاني الجاز .. وفرقة البيتلز .. وتوم جونز ويعتريه الحزن .. والشعور بالضيق حين يسمع «الموشحات» .. و«الميجانا والعتابا» و«الدان دان» .. و«الطارق» .. و«السامري» .. و«الهجيني»..

وهذه الطريق لا تقود الى «مستقبل الحلم» .. مستقبل الامة التي يجمعها الشعور الواحد .. والفكر الواحد .. والعقيدة الواحدة.

والطريق الامثل اذا اردنا ان نكون امة لها شبابها المنتمي اليها علميا .. واجتماعيا .. ونفسيا .. وفكريا .. هو في تطوير جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية والثقافية وهذا التطوير يهم اولا بتطوير كل المناهج .. «التلقينية» بحيث تتحول هذه الجامعات الى مراكز بحث علمية .. وفكرية .. وتربوية .. واجتماعية مفتوحة تنبع من البيئة وتصب فيها .. لتحقق اروع واعظم موازنة تتطلبها مرحلة التنمية .. كما تحفظ للامة وحدة افرادها ومجتمعاتها. وتصونها من عوامل التخلخل الاجتماعي .. والضياع النفسي .. والتشتات الفكري المستورد.

رئيس التحرير



نظرات في التاريخ

ومن وعى التاريخ في صدره أضاف أعمارًا إلى عمره

بقلم: علي أدهم

من كلمات المؤرخ البريطاني «ماكولي» قوله في فصل كتبه عن التاريخ والمؤرخين «ان يكون الانسان مؤرخا عظيما حقيقة، ربما كان من اندر الامتيازات العقلية، والمؤلفات التي بلغت حد الكمال في العلم والشعر والاحاديث كثيرة، ولكن لا يوجد كتاب تاريخ بلغ حد الكمال، «**فهيرودوت**» يجيد رواية الاحداث، و«**توكوتيدس**» أعظم استاذ في استيفاء عرض الاحداث ولكنه لم يكن مفكرا عميقا، و«**بلوطارخ**» تغلب عليه روح الطفولة و«**بولبياس**» كتابته مملة، ولا أعرف مؤرخا أقل اكتراثا بالبحث عن الحق من «**ليفي**»، و«**ناسينوس**» اقدر من يقدم صورة واضحة واعظم كاتب درامي في العهد القديم، ولكن لا يمكن الثقة به والاعتماد عليه، والمؤرخون المحدثون من ناحية اخرى اكثر عناية بتحري الصدق واقدر على التعميم، ولكن نزوعهم قد يؤدي بهم الى تشويه الحقائق.

واكتفي بهذا القدر من التقدير الذي نقله المؤرخ «**جوش**» عن **ماكولي** لأضرابه من المؤرخين القدامى والمحدثين، لأبين رأيه في صعوبة الكتابة التاريخية، وشدة تأبيها على الاجادة والاتقان، وتحري الصدق والنزاهة في اصدار الاحكام حتى



عند الاعلام والسباقين في كتابة التاريخ، وقد كان ماكولي من كبار المؤرخين البريطانيين في القرن التاسع عشر.

و«**جيبون**» وهو في طليعة المؤرخين البريطانيين في القرن الثامن عشر يقول «**الحقيقة أن التاريخ اكثر قليلا من سجل جرائم الانسان وحماقاته ونكباته**»، ووصف الكاتب البريطاني «**جولدسمث**» تاريخ اوروبا بقوله «**انه نسيج من الجرائم والحماقات والنكبات**».

ولكن كبار الكتاب والمؤرخين لا يجمعون على هذا الرأي ولا يتفقون في مساندة هذه النظرة البائسة الحزينة للتاريخ، فالكاتب الامريكي المتفائل «**امرسن**» يقول «**التاريخ جميعه يمكن ان يفسر بسهولة بأنه ترجمة حياة قليل من الرجال الاقوياء المتحمستين**» و«**كارلايل**» الذي عاصره وكان من اصدقائه يقول عن التاريخ «**انه الشعر الصادق**».

والذي يمكن استخلاصه من هذه الآراء القليلة المتعارضة عن قيمة التاريخ، أنها تكشف عن اختلاف وجهات النظر الى طبيعة الانسان، فبعض قراء التاريخ والباحثين في زواياه يقصرون اهتمامهم على حياة الرجال الممتازين، الذين عاشوا في هذه الدنيا، وقاموا باعمال عظيمة سواء في عالم الأدب والفن أو في عالم السياسة والحياة العملية، وفريق آخر يحصر اهتمامه في ما ارتكب الانسان من سخافات وحماقات وجرائم ومنكرات، ولا يرى في التاريخ سوى النكبات والكوارث، ويغضون الطرف عما تم من الاعمال الباهرة المشرقة للانسانية ومواقف البطولة والاقدام والتضحية وانكار الذات التي تكشف عن عظمة الكثيرين واستحقاقهم للحب والتقدير.

ولا نزاع في ان تاريخ الاديان والكتب المقدسة تزودنا بمعلومات تاريخية مؤثرة وموحية، وترينا العناء الشديد والتضحيات الكثيرة التي تعرض لها الانبياء والهداة والمصلحون، وكيف كانت عوامل الشر تعترض تقدمهم، وتكاد تغلبهم في بعض المواقف على أمرهم، لولا ما أتوه من قوة العزم، وصدق الايمان، ولولا العناية التي كانت تناصرهم وتبعث الأمل في نفوسهم، وفي حياة نبينا الكريم مواقف كثيرة موحبة، وأمثلة ملهمة. للصبر على المكارة ومقاومة الشدائد، والثبات في المواقف الحرجة، والأزمات الشديدة.

وفي سفر «**القضاة**» مثلا وهو احد أسفار العهد القديم في الكتاب المقدس، نرى ان الاسرائيليين سرعان ما ينزعون الى الشر وينحرفون عن طريق الخير، فبعد موت **يشوع بن نون** نسوا مثاله الرفيع وقدوته الحسنة ونشأ من بعدهم جيل لا يعرف الرب ولا ما صنع لاسرائيل، ففعل بنو اسرائيل الشر في عيني الرب - **كما روى السفر** - وعبدوا- البعليم، وعاقبهم الرب على ذلك واستنفذ منهم رحمته، ولكنهم ما لبثوا ان عادوا بعد ذلك الى مقارفة الشر، والتورط في الاخطاء والذنوب، ويرينا هذا السفر كيف كانت حياة بني اسرائيل سلسلة متتابعة من الاخطاء، وكلما عاقبهم الرب التمسوا رحمته، وحينما يسبغ عليهم



عطفه وتشملهم رحمته يعودون الى الشر.

وقد عجز اليونانيون القدامى عن أن يتحدوا ويجمعوا شملهم، ويوحدوا كلمتهم وحطموا بذلك دولتهم، ولكن من ناحية اخرى يمكن ان ننقذ انفسنا من اليأس واساءة الظن بالحياة والتاريخ. والتفكير في ان حوادث الخير والتقدم والنهوض، تتكرر كذلك في التاريخ، فالتاريخ ليس كله شرا ونكرا، **وانما هو مزيج من الخير والشر**، وليس هو سجل جرائم الانسان واخطائه وحماقاته وتخلفه فحسب. وانما هو كذلك سجل مواقفه العظيمة وبطولاته المجيدة، ولكل أمة من الأمم رجالها الأخيار العظاء، وأبطالها الذين يزدان بهم تاريخها، وتفخر بهم ابناؤها، ويستردون بحياتهم المثلى ثقتهم بأنفسهم، ولها رجالها الأشرار الذين اساؤوا الى تاريخها، وعملوا على هدم كيانها، والإطاحة بمجدها، والواقع أن من الدروس التي نتعلمها من التاريخ، أن الحياة في مختلف الأمم والحضارات لا تستطيع ان تسير بغير انقطاع في طريق الخير والتقدم، والدرس الذي يمكن ان نتعلمه من الحياة والتاريخ، هو ان الجهاد من اجل الخير والتقدم لا بد ان يتجدد من جيل لجيل، وارجح ان ماكولي قد وفق في قوله «**الرجل الذي يعرف الماضي معرفة صحيحة لا يميل الى ان ينظر الى الحاضر بعين اليأس الحزين**».

وللكاتب الناقد الحربي البريطاني **ليدل هارت** كتاب قليل الصفحات، ولكن له قيمته، عنوانه «**لماذا لا نتعلم من التاريخ**» وقد استهله بقوله «اذا كان هناك اية قيمة للرأي الشخصي الذي أقدمه، فمرد ذلك الى حد كبير لفضل الظروف الشخصية، فإنني مثل الغالبية الكبرى من الناس، علي أن أعمل لأعيش، ولكن كان من حظي الحسن النادر انني كان علي أن اعمل لأعيش عن طريق محاولة كشف حقيقة الحوادث بدلا من سترها وإخفائها، وهو أمر يضطر اليه الكثيرون ضد رغبتهم، نزولا على حكم الظروف المحيطة بالأعمال التي يباشرونها» ولا نزاع في ان هذا الرجل يغبط على الحظ الحسن، الذي مكنه من ان يقدم لنا بعض الافكار اللامعة عن مدى استفادة الانسانية من تجارب التاريخ.

والتاريخ نفسه يوضح لنا ان التجارب قد تكون معلما وقد لا تعلمنا تجارب التاريخ جميعا في وقت واحد، ولكنها قد تعلم بعضنا في بعض الاوقات، ولو اتسع علم الأمم بالتاريخ لتجنبت الكثير من الثورات الدامية والانقلابات الخطيرة.

وقد ضمن هذا الناقد الحربي رسالته الكثير من الاراء السديدة، ولكن الغريب ان هذه الرسالة نفسها ترينا صعوبة التعلم من التاريخ والافادة من عبره. وذلك لان التاريخ بطبيعته يعلم الاقوام المختلفين دروسا مختلفة، والآراء في تفسير التاريخ، ومحاولة اكتناه معناه كثيرا ما تتناقض وتتعارض، وحينما نقرأ لكبار المؤرخين نجد ان كلا منهم قد استخلص منه نتائج قد لا تتفق مع النتائج التي استخلصها غيره من المؤرخين وما رآه في التاريخ مثلا مفكر مؤرخ مثل **توماس كارلايل** يخالف ما لحظه مفكر آخر مثل **تولستوى** وكبار المؤرخين انفسهم غير متفقين على ما تعلموه من التاريخ – وقد ظن **هتلر** انه قد تعلم من التاريخ درسا قصر عن ادراكه قبله الامبراطور **غليوم** ومستشاروه. ومن غرائب التاريخ انه وقع في نفس الخطأ الذي تورط فيه الامبراطور غليوم، فحارب في جبهتين كما حارب الامبراطور غليوم **واستخف بقوة اعدائه كما استهان بها غليوم قبله**.

والمشكل هو أن نفس الذين يريدون ان يتعلموا من التاريخ، ليس من السهل اتفاقهم على الدروس التي يجب ان

يتعلموها ويسترشدوا بها، والحقيقة المحزنة هي أن الكثيرين لا يريدون ان يتعلموا من التاريخ، وذلك لان المطامع الشخصية والمآرب – الذاتية والاهواء والشهوات تضل طريقهم، وتصرفهم عن الإفادة من التاريخ وتجاربه.

والتاريخ هو تجارب الإنسانية، ولكن هل يستفيد البشر جميعهم من تجاربهم الخاصة؟ واذا كان اكثر الناس لا يستفيدون من تجاربهم الخاصة، فما اقل الاستفادة من تجارب الآباء والأجداد، وتجارب الأمم السالفة والعصور الغابرة.

واذا كانت تجارب التاريخ لا تفيد الفائدة المنتظرة، فليس الذنب بطبيعة الحال ذنب التاريخ ولا العيب عيبه، وانما هو ذنب البشر وتقصيرهم في تفهم الاحداث واستخراج العبر، ودروس التاريخ كثيرة، وعبره ماثلة، وعظاته متكاثرة، ولكننا نتجاهلها لأنها كما ذكرت تحد من أطماعنا وتعترض اهواءنا وشهواتنا، وقد أشار **المتنبي** الى ذلك في احدى قصائده التي نظمها بمصر واستهلها بقوله:—

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
وعناهم من شأنه ما عنانا

ومنها قوله:

كلما انبت الزمان قناة
ركب المرء في القناة سنانا

وذلك نتيجة عدم الاستفادة من التاريخ وتجاربه.

وقد استهل «**ليدل هارت**» رسالته بقوله عن التاريخ «التاريخ هو سجل خطوات الانسان وعثراته، وهو يرينا أن الخطوات كانت بطيئة وقليلة، وان العثرات كانت سريعة وكثيرة، وهو يتيح لنا فرصة الاستفادة من عثرات المتقدمين وسقطاتهم، ويجب ان يجعلنا ما نشعر به من قصور وعجز، مقتصدين في ذم هؤلاء الذين تورطوا في الخطأ، ولكن يجب أن نحاسب انفسنا اذا فاتنا ان نعرف الاخطاء، وهناك نزعة عامة لاعتبار التاريخ موضوعا للمتخصصين وهذا هو الخطأ الاول، لأن التاريخ – على نقيض ذلك – هو المصحح الجوهري لكل لون من الوان التخصص – واذا نظرنا اليه نظرة صحيحة فهو أوسع – الدراسات مجالا، وهو يشمل كل وجه من اوجه الحياة، فهو يضع أساس التربية لانه يرينا كيف يكرر البشر اخطاءهم. ويكشف لنا هذه الأخطاء، ولقد كان «**بسمارك**» هو الذي قال التعليق الذي ينم عن الاحتقار، والذي يناسب هؤلاء الذين يصفون انفسهم بأنهم «**رجال عمليون**» تمييزا لهم من (**النظريين**) أو «**الخياليين**» وهو قوله: «**ان الحمقى يقولون انهم يتعلمون من التجارب، وأنا افضل أن اتعلم من تجارب الاخرين**» ودراسة التاريخ تتيح لنا هذه الفرصة فهو التجربة العامة، وهي تجربة أطول الى اقصى حد وأوسع واكثر تنوعا من تجربة اي فرد، وطالما سمعنا من الناس انهم يدعون معرفة الدنيا لأنهم بلغوا الستين او السبعين، ولا عذر لرجل متعلم اذا كان عمره اقل من ثلاثة آلاف سنة».

ويتبع ليدل هارت ذلك بذكر ملاحظات له تبين كيف يصنع التاريخ أو كيف يكتب. وهو يؤكد ان المصادفة تلعب دورا هاما في التاريخ، وحديثه عن التاريخ يذكرني بكلمة **هيجل** المأثورة «**اننا نتعلم من التاريخ، ان البشر لا يفيدون من تجارب التاريخ**».

وارجح ان الانسان كلما اتسعت معلوماته التاريخية عرف اشياء كثيرة عن سائر الامم، وأصبحت احكامه على الناس والامم اقرب الى الصحة، وأنأى عن التعصب والضيق، ومن كلمات الفيلسوف البريطاني **بيكون**: «**الشعر يجعل الانسان حاضر البديهة، والرياضة تعلم الانسان الدقة، والعلوم الطبيعية تجعله يتعمق الامور، والعلوم الاخلاقية تجعل الانسان جادا، والمنطق والبلاغة يجعلانه قادرا على الجدل والنقاش، والتاريخ يجعل الانسان حكيما**».

ولا نزاع في ان الانسان كلما كثرت تجاربه واتسع نطاقها كان اقرب الى الحكمة في تصرفاته، والتاريخ هو مجموع تجارب الانسانية، فكلما اخذنا منه بنصيب اتسعت تجاربنا، وقد لمح ذلك الشاعر الذي قال:—

ومن وعى التاريخ في صدره
اضاف اعمارا الى عمره

وبعض الناس يحذروننا من قراءة التاريخ، لانه في رأيهم يشمل الكثير من الحماقات والسخافات وحوادث القدر والخيانة وجرائم القسوة والطغيان، ولكن التاريخ في الوقت نفسه حافل بالاعمال المجيدة والمواقف المشرفة والتضحيات والبطولات. وتحقيق الوثائق التاريخية من اهم الرياضات الفعلية، فهو يعلم الانسان الأناة في اصدار الاحكام، وعدم الاخذ بالظواهر الخداعة، كما يعلمنا محاولة تفهم البواعث الكامنة وراء اعمال الانسان، التي تحركه وتثير اطماعه.

وموجز القول ان الدراسة التاريخية عامل هام في التربية والتثقيف لانها تعودنا البحث عن اصول الاشياء، وتوسع افاق تفكيرنا، وتوحي الينا الاعتدال، وايثار الانصاف في إصدار الأحكام على الناس والاحداث.

تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام

في المصادر الأدبية



بقلم: د. محمد مصطفى هداره

اذا كان موضوع التاريخ هو الجهد الانساني في شتى **مجالاته، فان هدفه معرفة الانسان بنفسه وهذه المعرفة لا تتم الا بالكشف عن اصوله المستمدة في اغوار التاريخ.**

وما اصدق قول احد الباحثين ان اقرب العلوم الطبيعية شبها بالتاريخ الجيولوجيا، **فكما ان الجيولوجي يدرس الارض كما هي الان ليعرف كيف صارت الى حالتها الراهنة فكذلك المؤرخ يدرس الاثار المختلفة من الماضي ليفسر بوساطتها ظاهرة الحاضر، وكما يجد الجيولوجي مادته الاساسية فيما سلم من ادلة تثبت التطورات الجيولوجية القديمة، فكذلك المؤرخ يعتمد في معرفة الوقائع على آثار مادية أو سجلات أو تقاليد من عوادي الزمن.**

واذا كانت جهود الباحثين قد نجحت في اكتشاف نقش هنا وأثر مادي هناك على امتداد المنطقة التي عاشت فيها الممالك العربية القديمة، مما ألقى بعض الضوء على التاريخ العربي قبل الميلاد وبعده، فلا يزال تاريخ الجزيرة العربية يكتنفه غموض، ولا تزال دلائل الوجود الحضاري للعرب مختلطة مشوشة تمتزج بالخرافات والأساطير.

وقد بذلت في السنوات الاخيرة جهود كبيرة لتجميع الوثائق التاريخية التي تلقي اضواء جديدة على تاريخ الجزيرة العربية قبل الميلاد وبعده، كما بذلت جهود اخرى لاكتشاف آثار مختلفة من هذه الحقب التاريخية، غير ان المصادر العربية الموجودة بين ايدينا التي تؤرخ للجزيرة العربية لا تزال بحاجة الى الاستجلاء وحسن الفهم لمعرفة كل ما تناقلته الرواة العرب قبل عصر التدوين من أخبار الأمم السالفة.

وما من شك في اننا محتاجون الى الاستعانة بهذه المصادر للاطلاع على نواحي الحياة العربية المختلفة من سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية وفكرية. ومن بين هذه المصادر التي تؤرخ للجزيرة العربية بالمعنى الواسع لعلم التاريخ «**المصادر الادبية**» وقد عني المؤرخون المحدثون بهذه المصادر عناية حسنة منذ كتب **محمود شكري الألوسي** كتابه (**بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب**)، وتبعه **جورجي زيدان** في كتابه (**العرب قبل الاسلام**) واشتدت عناية **جواد علي** بالمصادر الادبية في كتابه القيم (**تاريخ العرب قبل الاسلام**)..

بيد اني لا ازال اعتقد ضرورة التركيز على هذه المصادر ومحاولة استخراج كل ما فيها من اشارات تاريخية تؤلف لحياة العرب في جاهليتهم شكلا منتظما في ملامح حضارتهم وفكرهم واسلوب معيشتهم ونظام مجتمعهم، **ومن المعروف ان علماء الشعر ورواته اهتموا – منذ القرن الاول للهجرة – بجمع اشعار العرب**



انَّ علماء الشعر ورواته، اهتموا بجمع أشعار العرب وتدوينها، وكانت الأخبار القديمة والقصص المتداولة من بين ما جمعوه من الأشعار والخطب، ولهذا حفلت المصادر الأدبية الخالصة بقدر كبير من العناصر التاريخية القديمة.

وتدوينها وكانت الاخبار القديمة والقصص المتداولة من بين ما جمعوه مع الأشعار والخطب ولهذا حفلت المصادر الادبية الخالصة بقدر كبير من العناصر التاريخية القديمة.

بين التاريخ والخرافة

وأول ما ينبغي ان اشير اليه ان روح الاسطورة والخرافة تتلبس بمعظم اخبار الامم البائدة، ولكن ليست المصادر الادبية وحدها هي التي تتميز بهذه الظاهرة، فالمصادر التاريخية العربية نفسها التي تتعرض لتاريخ العرب قبل الاسلام، مليئة بالغرائب والخرافات والمبالغات وليس العرب بدعا في ذلك فقد كان ذلك شأن الامم القديمة. والمؤرخ لا ينبغي ان يرفض الاسطورة رفضا تاما بدعوى بعدها عن الواقع التاريخي، صحيح ما يقوله احد الباحثين من أن «**اساطير الجاهلية ومعارفها بقايا انباء غامضة تداولتها الأجيال فاستقبلتها عقول خضعت لوثنية كلها خرافة وتدجيل**». ولكن الخرافة موضع اهتمام علماء الانثربولوجيا الذين يعكفون على دراستها وتصنيف دلالتها على اسس حضارية مقارنة، وهم يرون ان المعتقدات الخرافية هي من صميم الفولكلور أو الاثار الشعبية القديمة، ذات الدلالة على المستوى الحضاري الذي بلغته اية امة بل يرى علماء الانثربولوجيا انه يمكن اعادة بناء الفترات التاريخية الغابرة التي لا توجد عنها الا شواهد عن طريق الدراسة «**الانثربولوجية**» والحقيقة انني لا اريد رفض الاساطير رفضا باتا على اساس بعدها عن الواقع التاريخي، ولا اريد اعتمادها وثيقة تاريخية صحيحة، بل ارى الا تغيب الاساطير ومدلولاتها عن اذهاننا في محاولة استجلاء تاريخ العرب القديم.



القيمة التاريخية للمصادر الأدبية

وما من شك في ان الشعر يأتي في مقدمة المصادر الادبية التي يمكن ان نستقي منها أطرافا من تاريخ العرب ما قبل الاسلام، ولكن علماء الشعر العربي يقرون بأن ما وصل الينا منه اقل من القليل، وانه كان علم قوم لم يكن لهم علم اصح منه، ولهذا استحق ان يطلق عليه **(ديوان العرب)** اذ تتمثل فيه معارفهم واخبارهم وحكمتهم وايامهم.

ويثير **محمد بن سلام الجمحي** في كتابه القيم **(طبقات فحول الشعراء)** عدة قضايا مهمة في مقدمته، منها أثر الاخبار بين الذين لا بصر لهم بالشعر في تناقل اشعار مدخولة منحولة، وقد ضرب مثلا لذلك **بابن اسحق** في سيرته، ومنها ايضا اسباب كثيرة لوضع الشعر كرغبة بعض القبائل في تعويض ما فاتها منه في الجاهلية لقلة شعرائها ورغبة بعض الرواة في التزيد من اجل الكسب. وما الى ذلك. غير ان ابن سلام قد أبان في كتابه قدرة علماء الشعر الثقات على اكتشاف الصحيح من المنحول، مما يجعلنا نطمئن – الى ان ما بين ايدينا من مجموعات شعرية رواها علماء فحول **كالاصمعي وابي عبيدة والمفضل الضبي** صحيح، او هو اقرب ما يكون للصحة وان اعتمادنا عليه في استخراج الاشارات التاريخية وفهم حياة العرب في الجاهلية ليس بناء على هواء.

ثم تأتي بعد ذلك الشروح القيمة التي كتبها العلماء لتفسير الاشعار التي جمعوها كشروحهم على المعلقات وعلى دواوين الشعراء الجاهليين، ودواوين شعراء القبائل كديوان الهذليين، وشرح نقائض جرير والفرزدق وشروح دواوين الحماسة والمجموعات الشعرية المختلفة، كالمفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب وما اليها. وهذه الشروح تتضمن قدرا عظيما من المعلومات التاريخية عن حياة العرب في الجاهلية وعاداتهم ومعتقداتهم ونظمهم الاجتماعية في الحرب والسلام.

كذلك تعني كتب طبقات الشعراء التي تترجم لحياتهم وتروي اشعارهم بالاخبار التاريخية القديمة للجزيرة العربية. ويأتي في مقدمة هذه المجموعة كتاب **(طبقات فحول الشعراء) لمحمد بن سلام الجمحي** وكتاب **(الشعر والشعراء) لابن قتيبة.**

وقد اهتمت مصادر الادب الجامعة بأخبار العرب في جاهليتهم، وما يتصل بها من عادات ومعتقدات ضمن ما ترويه من شعر ونثر واذكر في هذا المجال **(الكامل في اللغة والادب) للمبرد.** و **(الاغاني) لابي فرج الاصفهاني** و **(العقد الفريد) لابن عبدربه** و **(البيان والتبيين) للجاحظ** وكتابه الجامع **(الحيوان)** و **(نهاية الارب)** للنويري.

كذلك نجد في المصادر الادبية التي اختصت بدراسة الامثال العربية (كالمستقصي) للزمخشري و (الامثال) لأبي فيد السدوسي. و (مجمع الامثال) للميداني. وغيرها معينا ثرا من الصور التاريخية لحياة العرب في الجاهلية.

بل لانعدم وجود اخبار تاريخية مهمة عن الحياة العربية الجاهلية في كتب النقد الادبي، واخص بالذكر هنا كتابين هما: **(عيار الشعر) لابن طباطبا العلوي و (الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء) للمرزباني.**

وليس هدفي في هذا البحث استقصاء المصادر الادبية ذات القيمة من ناحية التاريخ القديم للجزيرة العربية، كما انني لن اهتم بجمع المادة التاريخية الموجودة في هذه المصادر، ولكن غاية ما أهدف اليه ان القي الضوء على هذه المصادر، وخاصة ما غاب منها عن اعين الباحثين، وأن أقدم بعض نماذج المواد التاريخية الغنية التي يمكن استخراجها من تلك المصادر.

ولاشك ان هذه المواد بحاجة الى جهد المؤرخ لاستقصاء ما فيها ومقابلته بالمصادر الاخرى للتأكد من صحة ما جاء في ثناياها، وان كان بعض اصحاب المصادر الادبية ينبهون الى ما يشكون فيه مما يروونه عن غيرهم وقد صرح بذلك أبو فرج الاصفهاني حين قال: «هذه الاخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعة كلها، والتوليد بين فيها وفي اشعارها، وما رأيت شيئا منها في ديوان **دريد بن الصمة** على سائر الروايات وأعجب من ذلك هذا الخبر الأخير فانه ذكر فيه ما لحق دريد من الهجنة والفضيحة في اصحابه وقتل من قتل معه وانصرافه منفردا، وشعر دريد هذا يفخر فيه بانه ظفر ببني الحارث وقتل أمثالهم وهذا من اكاذيب ابن الكلبي، وانما ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء وقد رواه الناس وتداولوه».

وقد لا نجد مثل هذا الموقف النقدي عند جميع علماء الادب ولكن تبقى المواد التاريخية التي أوردها ذات قيمة علمية مؤثرة.



المواد التاريخية في المصادر الادبية

واول هذه المواد الاخبار التاريخية البعيدة عن روح الخرافة والاسطورة، وهذه الاخبار، تتصل بحوادث متعددة في حياة العرب، منها مثلا ان **عمرو بن لحى** هو أول من دعا العرب الى عبادة هبل، قدم به من هيت وأول من اوقد نار المزدلفة التي يراها من دفع من عرفه قصي بن كلاب، واول من كتب الكتائب من العرب هو **معلم بن سويط الضبي**، وان الافيال كانت مستخدمة عند حمير والتبابعة والمقاول والعباهلة من ملوكهم وان الكتابة قديمة في الجزيرة العربية وكان لتسجيلها طرق مختلفة بحسب الموضوع الذي يريدون تسجيله يقول الجاحظ «**كانوا يجعلون الكتابة حفرا في الصخور ونقشا في الحجارة وخلقة مركبة في البنيان، فربما كان الكتاب هو الناتئ وربما كان الكتاب هو الحفر اذا كان تاريخا لأمر جسيم او عهدا لأمر عظيم او موعظة** يرتجى نفعها او احياء شرف يريدون تخليد ذكره او تطويل مدته، كما كتبوا على قبة غمدان وعلى عمود مأرب وعلى ركن المشقر».

فكأن العرب في جاهليتهم عرفوا الحفر والنقش والانصاب القائمة بذاتها، وكأن نقوشهم كانت ماثلة معروفة في ابنيتهم القديمة التي ذكر منها **الجاحظ** ثلاثة مختلفة في طبيعتها: فغمدان قصر، ثم هناك عمود مأرب والثالث حصن كان بالبحرين.

بل نجد **الجاحظ** يفصل في الأغراض التي كانت تستخدم الكتابة فيها ابان الجاهلية وخاصة الاحلاف والمهادنات حيث يقول: (**لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكاك وكل اقطاع وكل اتفاق وكل امان وكل عهد وعقد، وكل جوار وحلف ولتعظيم ذلك والثقة به والاستناد اليه كانوا يدعون في الجاهلية من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة تعظيما للأمر وتبعيدا من النسيان**. ولذلك قال **الحارث بن حلزة** في شأن **بكر وتغلب**:

واذكروا حلف ذي المجاز وما
قدم فيه العقود والكفلاء
حذر الجور والتعدي وهل
ينقض ما في المهارق الأهواء

علاقة العرب بالامم القديمة

وفي المصادر الادبية اخبار كثيرة عن ملوك العرب الاقدمين ودولهم، كما تكثر أخبار علاقاتهم بالأمم المجاورة **وهي تبين بجلاء**

أن العرب لم يكونوا منعزلين في جزيرتهم بل كانت لهم علاقات وثيقة بجيرانهم بحيث كان التأثير متبادلا بين الفريقين.

وكانت العلاقات بين القبائل العربية والفرس اهم ما دارت حوله الاخبار التاريخية في المصادر الادبية وقد كشف **الأعشى** في شعره عن الكثير من اصول هذه العلاقات التي كانت تتشابك في الحيرة فنراه يهجو بني شيبان لعلاقاتهم القوية بالفرس حين يقول **ليزيد بن مسهر الشيباني** ان طعام العراق يأتيك رغدا وانت قاعد، ويفيض عليك ملوك العراق الحلل والدراهم بصورة منتظمة.

بل نعرف من شعر الأعشى ان **المنذر بن ماء السماء** كان يحرق السبايا لأن الاعشى يمدح واحدا ممن شفع لسبايا بني شيبان خاصة، وكأن علاقة بني شيبان بالفرس كانت مضطربة مذبذبة.

ونعرف من شعر الأعشى أيضا ان كسرى كان يطالب القبائل العربية بتقديم رهائن من ابنائها ليضمن ولاء تلك القبائل له، وكان هؤلاء الأبناء يتعرضون للقتل ومن الطبيعي ان يوجد من العرب بعض العملاء لكسرى بل فرضت الظروف ان تضطر قبيلة مثل اياد التي تقع مساكنها في اطراف الجزيرة الى ممالأة الفرس، ولهذا نرى الأعشى يهاجم عملاء الفرس ويخص ايادا بهجومه فيشبه اهلها بالأنباط، ويسخر منهم لانهم يعتمدون على الزراعة، ولهذا اعتادوا القعود والجبن.

ياقوم لا تأمنوا ان كنتم غيرا
على نسائكم كسرى وما جمعا
هو الخلاء الذي تبقى مذلته
ان طار طائرهم يوما وان وقعا
هو العفاء الذي يجتث اصلكم
فمن رأى مثل ذا يوما ومن سمعا
وقد بذلت لكم نصحي بلا دخل
فاستيقظوا ان خير العلم ما نفعا

ويحكي لنا **ابو عبيدة معمر بن المثنى** اخبارا كثيرة توضح علاقات العرب بالفرس فهو يقول: «وكانت بكر تحت يد كسرى وفارس، فكانوا يقودونهم ويجهزونهم ولاشك ان ذلك كان في مرحلة من مراحل العلاقات بين بكر والفرس لاننا سنرى الخلاف يدب بين الفريقين بعد ذلك».

وفي مجال العلاقة بين بكر والفرس، يقول **ابو عبيدة** ايضا كان **الحارث بن عمرو الكندي** بعث به تبع مع **بكر بن وائل** ملكا عليهم وقد ضيق على **المنذر بن ماء السماء** ملك عذار العراق حتى الجأه الى هيت وتكريت، وكان الحارث اكثر ملوك معد غزوا حتى غلب على قبائل جمة من الغرب غير بكر وائل. وكان يقيل وينزل بطن عاقل، وكان المنذر يستجيش الملك الذي وضعه بالحيرة وهو **أنو شروان** فلا يمده، فأشار سفيان بن



ولكن العلاقة بين الفرس واياد لم تكن سلما خالصا كما ينبئنا **ابو الفرج الاصفهاني** والمصادر الأخرى، ففي عهد كسرى غزت اياد سواد العراق واعتدت على ملوك ال نصر فغزاهم كسرى، ولكنهم انتصروا في أول الأمر حتى قالوا ان جماجم الفرس كانت كالتل العظيم، وبعث كسرى في اثرهم **مالك بن حارثة**، ومعه أربعة الآف من الأساورة فبغتهم وكان **لقيط بن يعمر الايادي** قد حذر قبيلته بعد انتصارها قائلا:

مجاشع بن دارم على المنذر ان يخطب ابنة الحارث اليه فقال: لا يزوجني وبيننا دق منشم ومن لي بمن ينهي ذلك اليه، قال: انا لك بذلك، فلحق بالحارث فخطب اليه **هندأ ابنة الحارث** فزوجها اياه.

ويقول ابو عبيدة في موضع ثالث: وكان عمال الاكاسرة لم يكن احد من العرب اكثر غارة على اهل مملكتهم من بني يربوع فصار لجؤهم على ان جعلوا لهم الردافة وان يكفوا عن الغارة

على اهل العراق، وكانت الردافة ان يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه، فاذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس واذا غزا الملك جلس الردف في مجلسه، وخلفه الملك على الناس حتى يرجع من غزاته.

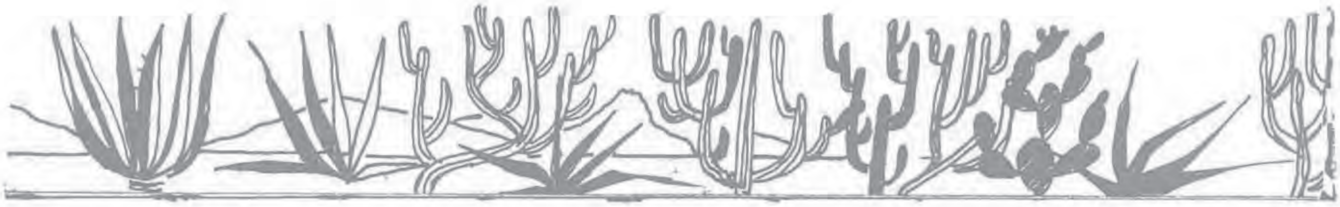
ومن الامثال العربية التي تشير الى معرفة العرب بالفرس وحلفائها في ميدان القتال قولهم **(أبطش من دوسر)** وهي احدى كتائب النعمان واشدها بطشا ونكاية، يقول الشاعر:

ضربت دوسر فيهم ضربة
اثبتت اوتاد ملك فاستقر

اخبار القبائل العربية

اما اخبار القبائل العربية نفسها فنجد في المصادر الادبية فيضا زاخرا منها: قسم يتصل بأخبار تاريخية خاصة بكل قبيلة أو اخبار تاريخية عامة، وقسم آخر يتصل بأنسابها وتقاليدها وعاداتها ومعتقداتها، وثالث يهتم بوقائعها والعلاقات القائمة بينها.

فمن القسم الأول مثلا يعرفنا ابو عبيدة بقيون العرب، ونحن نعلم ان هذه المهنة لم تكن موضع احترام بين العرب بصفة عامة، فيقول في شرحه بيت جرير:



ويرسم لنا **النويري** صورة عن التبادل التجاري بين ملوك الحيرة والقبائل العربية فيقول ان النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة كان يبعث الى سوق عكاظ في كل عام لطيمة **(اي العير التي تحمل الطيب)** في جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له تباع هناك، يشتري له بها من أدم الطائف ما يحتاج اليه، وكانت سوق عكاظ تقوم في أول يوم من ذي القعدة، فيتسوقون حضور الحج ثم يحجون.

ومما تذكره المصادر الأدبية ايضا في مجال العلاقة بين العرب والفرس ان **اياس بن قبيصة الطائي** وامه **امامة بنت مسعود** اخت **هانئ بن مسعود** الذي اودع عنده النعمان اسلحة قبل ان يقدم على كسرى، كان عامل كسرى على عين التمر واولاها الى الحيرة، وقد اطعمه كسرى ابرويز ثلاثين قرية على شاطئ الفرات واستعمله على الحيرة ولما غزا كسرى بني بكر بعد مقتل النعمان في ذي قار كان إياس أحد قواده.

ويستدل الباحثون بشعر للأعشى على ان النعمان مات عند كسرى سجينا في ساباط، خلافا لما ورد في روايات اخرى، وذلك حيث يقول:

ولا الملك النعمان يوم لقيته
بأمنة يعطي القطوط ويأفق
فذاك وما انجى من الموت ربه
بساباط حتى مات وهو محزرق

مصاليت يوم الروع تلقى عصينا
سريجية يخلين ساقا ومعصما

السريجة نسبها الى بني سريج من بني معرض بن عمرو بن اسد بن خزيمة وكانوا قيونا.

ويعرفنا الجاحظ بأن ازد عمان كانوا ملاحين ويقول ابو عبيدة في تعريفنا ببعض الحكام في الجاهلية وأول من حابى منهم: «كان حكام بني تميم في الجاهلية ستة: ربيعة بن فحاش أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم وزرارة بن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم، وضمرة بن ضمرة النهشلي، واكثم بن صيفي، وابوه صيفي من بني أسيد ابن عمرو، ويقال ان الأقرع بن حابس أول من حابى الحكومة في منافرة جرير بن عبدالله البجلي وخالد بن أرطأة الكلبي.

كذلك يخبرنا ابو عبيدة عن **صعصعة** احد اشراف بني تميم الذي كان يلقب بمحيي الوئيدات بأنه كان كلما ولدت امرأة جارية يكفل ابنتها لئلا توأد. وقد حكى **المبرد** ان عدة من احياهن من الجواري ثمانون ومائتا مؤودة، ويصل العدد في بعض المصادر الأخرى الى اربعمائة. وهذا الخبر يؤكد ان وأد البنات كان سببه الأول الفقر.

ويزودنا الجاحظ بمعلومات طريفة عن القبائل العربية حين يتحدث عن اسمائها وعلاقة تلك الأسماء بالحيوان أو المظاهر الطبيعية فيقول في ذلك: ومن ولد ربيعة ابن نزار كلب وكلاب



ومكالب ومكلبة، ومن هذا الباب كليب بن يربوع، وكلب بن وبرة، ومنه بنو الكلبة، والكلبة لقب مية بنت علاج بن شحمة العنبري.

كذلك يصف لنا الجاحظ لعب الأعراب الشائعة بينهم كالبقيري وعظيم وضاح والخطرة والدارة والشحمة والحلق ولعبة الضب، ويعقب عليها بعد ان شرحها فيقول «**وهذا كله في ليالي الصيف عن ضب ربيع مخصب**.

وقد اعتادت القبائل العربية ايقاد النار في مناسبات كثيرة منها الاستسقاء وكانت الجاهلية الأولى فيما يقول **النويري** اذا تتابعت عليهم الأزمات واشتد الجدب واحتاجوا الى الأمطار يجمعون لها بقرا معلقة في أذنابها وعراقيبها السلع والعشر ويصعدون بها الى جبل وعر ويشعلون فيها النار ويضجون بالدعاء والتضرع وفي ذلك يقول **أمية بن أبي الصلت**:

ويسوقون باقر السهل للطود
مهازيل خشية ان تبورا
عاقدين النيران في بكر
الاذناب منها لكي تهيج النحورا
سلع ما ومثله عشر ما
عائل ما وعالت البيقورا

وكان العرب في الجاهلية اذا لم يحبوا رجوع شخص رحل عنهم، أوقدوا خلفه نارا وفي ذلك يقول الشاعر:

وجمة قوم قد أتوك ولم تكن
لتوقد نارا خلفها للتندم

كذلك كانوا اذا عقدوا حلفا شبوا نارا ويدعون الله بالحرمان والمنع على الذي ينقض العهد ويطرحون فيها الكبريت والملح فإذا فرقعت هول على الحالف.

وكانوا اذا غدر الرجل بجاره اوقدوا له نارا بمنى ايام الحج على الأخشب، وهو الجبل المطل على منى، ثم صاحوا: هذه غدرة فلان، **تقول امرأة من هاشم** في ذلك.

فان نهلك فلم نعرف عقوقا
ولم توقد لنا بالغدر نار

وواضح من هذه العادات ان العرب في جاهليتهم كانوا يعتقدون بوجود قوة سحرية في النار، قد تصل في بعض الأحيان الى حد التعبد لها. وللعرب الجاهليين في حروبهم عادات كثيرة تذكرها المصادر الأدبية منها ايقاد النار في الحرب للأهبة والإنذار ومنها ان الفارس اذا قتل رجلا مشهورا وضع سيفه عليه ليعرف قاتله، يقول **متمم بن نويرة** في ذلك:

لقد كفن المنهال تحت ردائه
فتى غير مبطان العشيات أروعا

وكانوا يمسكون عن بكاء قتلاهم حتى يدركوا ثأرهم فاذا ادركوه بكوا حينئذ، يقول **الربيع بن زياد العبسي**:

من كان مسرورا بمقتل مالك
فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه
يلطمن أوجههن بالأسحار
قد كن يكنن الوجوه تسترا
فالآن حين برزن للنظار

ومن عاداتهم في الحروب انهم اذا اسروا رجلا ومنوا عليه

فأطلقوه جزوا ناصيته ووضعوها في «الكنانة» تقول **الخنساء**:

جزرنـــا نـواصي فرسانهم
وكانوا يظنون ان لا تجزا

اما عاداتهم في طعامهم فتفيض المصادر الأدبية في ذكرها. ومن العادات التي تفسر علاقة الرجل بالمرأة في المجتمع الجاهلي ما يسمى بالرتائم (واحدتها الرتيمة) وهي ان يعقد الرجل اذا اراد السفر شجرتين أو غصنين، فإن رجع وهما على حالها كانت زوجته محتفظة بوفائها له، فإن لم يجدهما على ما تركها فقد خانته.

ومن المعتقدات الغريبة في هذا المجال ان الرجل اذا احب امرأة واحبته فلم يشقّ برقعها ولم تشق هي رداءه فان حبها فسد، يقول في ذلك **سحيم عبد بني الحساس**:

فكم قد شققنا من رداء محبر
ومن برقع عن طفلة غير عانس
اذا شق برد شق بالبرد مثله
دواليك حتى كلنا غير لابس

وكانت المرأة في الجاهلية اذا توفى عنها زوجها دخلت حفشا (أي خصا) ولبست شر ثيابها فلم تمس طيبا ولا شيئا حتى تمر لها سنة، ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتفتض به، أي تتمسح به، ويزعمون انه قلما تفتض بشيء الا مات وكل هذا مرتبط فيما ارى بمعتقداتهم في السحر الذي يسيطر عادة على الأمم القديمة.

ومن عادات العرب في جاهليتهم ما يتصل بمعتقداتهم الدينية. فكانوا يعظمون الاشهر الحرم الأربعة ويتحرجون فيها من القتال، وكانت قبائل منهم يستبيحونها فاذا قاتلوا في شهر حرام حرموا مكانه شهراً من اشهر الحل ويقولون نسيء الشهر.

وكان أهل الوبر يقدمون لآلهتهم من اللحم، واهل المدر يقدمون لها من الحرث فكانت الناقة اذا انتجت خمسة ابطن عمدوا الى الخامس – **ما لم يكن ذكرا** – فشقوا اذنها وسموها البحيرة.

وكانوا اذا عرض لهم امر يريدون ان يصح لهم وجه فيه يأتون الى السادن من سدنة الأوثان ليستقسموا بالأزلام وكان من عاداتهم في رجب أن يأخذ الرجل الشاة فيذبحها ويصبب دمها على رأس الصنم وتسمى العتير والمعتورة.

كذلك تحكي المصادر الأدبية اخبارا كثيرة عن المتألهين والمتحنفين الذين كرهوا عبادة الأصنام في الجاهلية، ومنهم **زيد بن عمرو بن نفيل** الذي يعلن توبته عن الأصنام في قوله:

تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها
ولا صنمي بنى غنم ازور
ولا هبلا ازور وكان ربا
لنا في الدهر اذ حلمي صغير

واذا كانت المصادر الادبية قد اهتمت بذكر انساب القبائل العربية واصولها وفروعها فهي لم تغفل كذلك انساب الخيل الأصيلة والابل الكريمة، فمن ذلك مثلا ما ذكر من ان اكرم فحل كان للعرب من الابل يسمى عصفورا وتسمى اولاده عصافير النعمان، كذلك يذكر ابو عبيدة فحلين نجيبين أحدهما يسمى اعوج والآخر ذا العقال.

وكانت الملوك حين تهب الابل تغرز الريش في اسمنتها علامة لحباء الملك وحماية لها وتشريفا لصاحبها قال الشاعر:

يهب الجلاد بريشها ورعائها
كالليل قبل صباحه المتبلج

وقيل في الأخبار: رجع **النابغة الذبياني** من عند **النعمان** وقد وهب له مائة من عصافيره بريشها وكان الملوك يستخدمون



الريش اذا جاءتهم الخرائط بالنصر. فكانوا يغرزون فيها قوادم ريش اسود. وتكشف لنا حرب داحس والغبراء عن اهتمام العرب البالغ في جاهليتهم بتربية الخيل واعداد السباق وعقد المراهنات عليها لأهميتها العظيمة لهم في الحروب.

ايـــام العرب

وبما لاشك فيه ان ايام العرب تحفل بصور تاريخية دقيقة توضح بجلاء طبيعة العلاقات السائدة بين القبائل العربية، وتزخر المصادر الادبية باحاديث هذه الحروب والوقائع. ولعل من اهمها وأبرزها ما قيل في طسم وجديس من العرب العاربة، وكان منزلهما اليمامة واسمها في ذلك الوقت (جو) وقد ذكرت اشعار كثيرة مع تفصيلات القصة وهي بلاشك من وضع الرواة المتأخرين، ولكن القصة نفسها لها نصيب من الصحة، وقد اشار اليها **الاعشى** ذاكرا **زرقاء اليمامة** التي كانت تبصر على مسيرة ثلاثة ايام فرأت جيش الاعداء ولكن اهلها كذبوها ولم يأخذوا للأمر اهبتهم فاقتحم الاعداء – بقيادة تبع حسان – ديارهم وخربوها. وقد اقبلت وفود العرب على **سيف بن يزن** تهنئه بطرد الحبشة بعد ان دام احتلالها لليمن فترة طويلة، وسجل **أبو الصلت** والد امية مسيرة ابن ذي يزن الى الروم في طلب معونتهم وانفضاضهم من حوله، ثم ذهابه الى الفرس الذين امدوه بقوة نجح بها في طرد الأحباش.

واذا كان الشعر الجاهلي قد مدح الفرس لمعاونتهم ابن ذي يزن في طرد الأحباش فإنه زخر بتحدي الفرس وهجائهم في «**يوم الصفقة**» وتوجد في المصادر الأدبية أخبار تاريخية كثيرة تتصل بهذا اليوم.

الخرافات والأساطير ودلالاتها

واذا تركنا ايام العرب التي تزخر بالأخبار التاريخية المهمة ونظرنا فيما نقلته الينا المصادر الادبية من خرافات العرب وأساطيرهم وهي – **كما سبق ان ذكرت** – لها دلالات عند الانثربولوجيين قد تفسر بعض الاحداث التاريخية او تكشف عن طبيعة التبادل الثقافي والحضاري للأمم القديمة، وما من شك في ان ثارات العرب كان لها دور كبير في اشعال نار كثير من الحروب التي وقعت في الجاهلية، ونستطيع ان ندرك قيمة الثأر فيما لو ربطناه بما يعتقده العرب في جاهليتهم من انه اذا قتل قتيل خرجت من رأسه هامة تصيح على قبره اذا لم يدرك بثأره:





اسقوني فاني عطشى، فإذا ادرك بثأره سكتت واعتقاد العرب الجاهليين في الجن يحتاج الى دراسة تحليلية لاستخلاص دلالاته الحضارية والنفسية، فكانوا لا يصيدون يربوعا ولا قنفذا ولا ورلا من اول الليل، وكذلك كل شيء يكون عندهم من مطايا الجن كالنعام والظباء، فان قتل اعرابي قنفذا أو ورلا من اول الليل او بعض المراكب لم يأمن على فحل ابله، ومتى أصابه شيء حكم بأنه عقوبة من قبلهم.

وكانوا يعتقدون ان من الابل وحشيا وكذلك الخيل، وان تلك الابل تسكن ارض وبار لأنها غير مسكونة وقال آخرون: هذه الابل الوحشية هي الحوش من بقايا ابل وبار فلما أهلكهم الله تعالى كما اهلك الامم مثل عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس وجاسم بقيت ابلهم في اماكنهم لا يركبها انسي، فإن ذهب أحد الى تلك الاماكن حثت الجن في وجهه فإن ألح خبلته.

وتفيض المصادر الأدبية في ذكر المعتقدات الخرافية عند العرب الجاهليين فكانوا اذا اصاب ابلهم الجرب يكوون السليم ليذهب المرض عن السقيم، كما كانوا يعلقون الحلي والجلاجل على الملدوغ ليفيق. وكانوا يفقأون عين الفحل اذا بلغت الابل عند أحدهم الفا، فإن زادت عن الألف فقأوا العين الأخرى وذلك بدعوى دفع الحسد. وكانوا يعتقدون ان المقلات التي لا يبقى لها ولد اذا وطئت قتيلا شريفا بقي ولدها.

ومن معتقداتهم الغريبة انه اذا مات الرجل يشدون ناقته الى قبره ويعكسون رأسها الى ذنبها ويغطون رأسها بوليه وهي البردعة، فان افلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى ويزعمون انهم انما يفعلون ذلك ليركبوا صاحبها الميعاد ليخشر عليها فلا يحتاج ان يمشي.

صورة الحياة في العصر الجاهلي

وتعكس المصادر الادبية صورة الحياة في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي وهي تطلعنا على التاريخ الحضاري وعلى الظروف الطبيعية التي كانت سائدة آنذاك ويبدو ان شهرة الروم في مجال الأبنية كانت ذائعة بين العرب حتى انهم اذا ارادوا تشبيه ضخامة الناقة وصفوها بأنها كقنطرة الرومي.

ولم تكن الأبنية المشهورة وحدها القائمة في الجزيرة العربية بل كانت هناك ابنية اخرى ضخمة من الحجارة اقامها افراد عاديون ذوو يسار وان لم يكونوا ملوكا. فهذا الشاعر الجاهلي، **راشد بن شهاب اليشكري** يفخر بالقصر الذي بناه في البحرين فيقول:

بنيت بتاج مجدلا من حجارة
لأجعله عزا على رغم من رغم
اشم طوالا يدحض الطير دونه
له جندل مما أعدت له إرم
ويأوى اليه المستجير من الردى
ويأوى اليه المستعيض من العدم

ويفيض الشعر الجاهلي في تصوير أوقات الجدب والخصب في الجزيرة العربية، وكان يقال: اذا ظهر البياض قل السواد، واذا ظهر السواد قل البياض، ويفسر **الأصمعي** ذلك بقوله: اذا كانت السنة مخصبة كثر الأقط واللبن وقل التمر، واذا كانت السنة مجدبة كثر التمر وقل اللبن والأقط.

ويصف الأعشى في شعره حياة الجدب فيذكر ان الابل تسقط من الجوع والاعياء وان دخان الطبخ يشبه في وقتها البخور في ندرته، وأن الناس يقعدون حول القدر يرقبونها وينتظرون ما فيها من خير قليل.

ويحكي لنا شعراء اخرون ان الجدب يدفع كرام العرب الى شرب اللبن مخلوطا بالماء وان الميرة تنفد من القرى.

أما في الخصب فيروى العرب وتختال الابل بقوتها وفتوتها وتدر اللبن الغزير ويكثر اللحم، بل يرى الأعشى من آثار النعمة عند ممدوحه وجود اللحم المقدد والرطب المعلق فوق الحظائر.

ترى اللحم من ذابل قد ذوى
ورطب يرفع فوق العنن

كما أن النعمة ان تكون الجياد منعمة تعلف الشعير في الصيف وتجلل بالاكسية التي تصونها وتمنع عنها اذى الرياح، يقول **الأعشى**:

جيادك فتى الصيف في نعمة
تصان الجلال وتعطى الشعيرا

وبعد فهذه بعض نماذج الجوانب التاريخية التي تصورها لنا المصادر الأدبية وهي بلاشك وبرغم ما يمكن ان يكون للمؤرخين ومن تحفظات بشأنها، تسهم الى حد بعيد في سد الفجوات في تاريخ الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، وهي بحاجة الى استقصاء وتنظيم وتبويب ومقابلة الوثائق التاريخية لتصير مادة لا غنى عنها لمؤرخ الحياة العربية قبل الاسلام..

لقاء مع :

سهير القلماوي

من رائدات الأدب العربي

إن حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية متقدمة ومسايرة للعصر.

النقد الأدبي لا يمكن أن يزدهر إلا حين تزدهر حرية القلم.

نحن في حاجة للنقد الغربي ليغذى نقدنا العربي الحديث.

إعداد: هالة سرحان

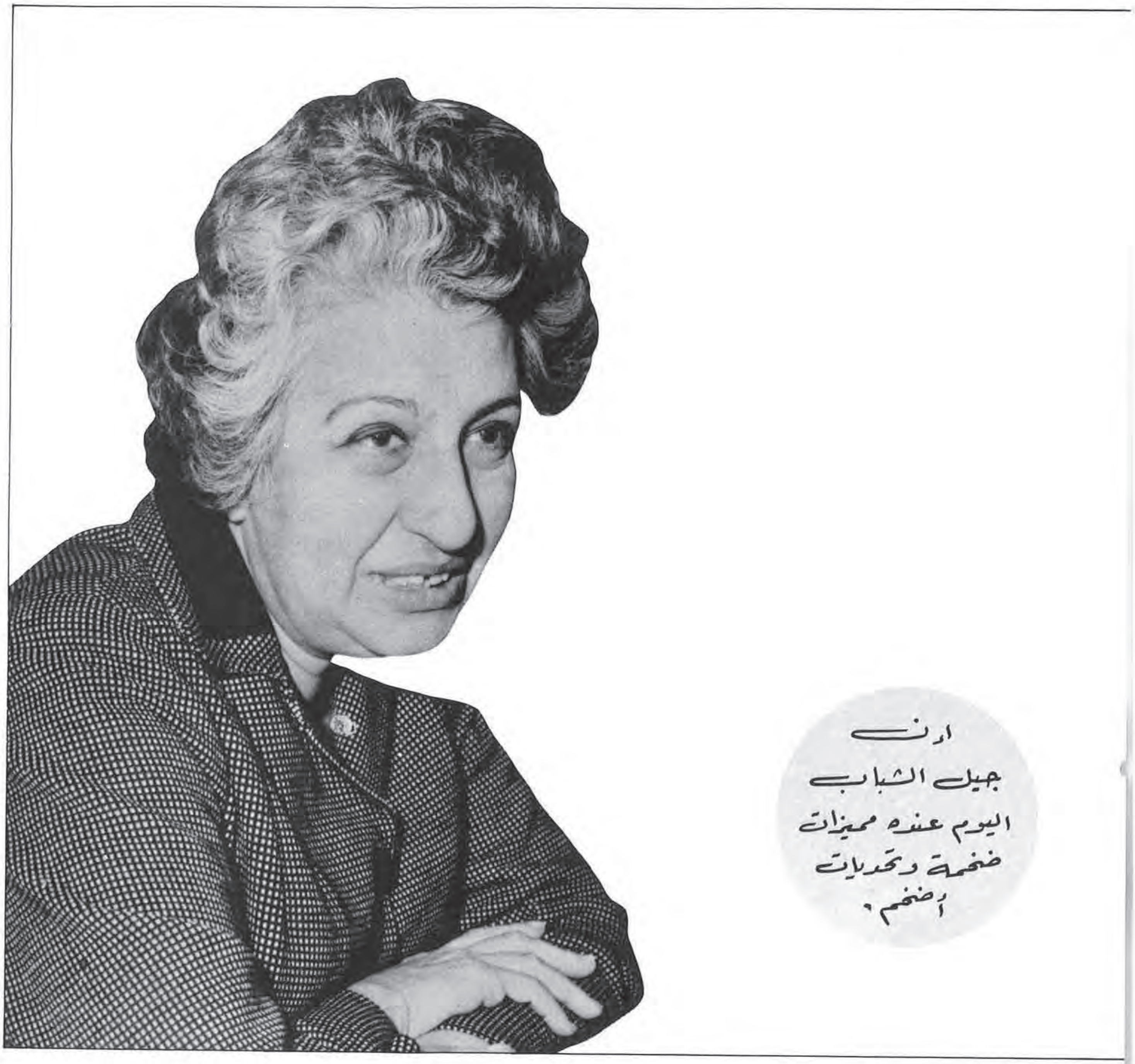
* أصبح السؤال الذي يلح على ضمير الكاتب المعاصر، هو لمن نكتب وعدد القراء قليل، بل يقل بالفعل بسبب الثقافة السهلة في السينما والإذاعة والتليفزيون ؟

* أمام هذا العصر الحديث المتطور تبرز مشكلة، وهي لمن يكون الحكم الادبي، للجمهور المثقف بحيث يستطيع أن يتذوق الأدب، أم للناقد المتخصص الذي أنفق حياته في اتقان هذا الفن ؟

* كيف يمكن إحياء التراث العربي بحيث يلائم روح العصر ؟ والسؤال عن التراث يجرنا الى السؤال عن العالمية، كيف يمكن لأدبنا العربي ان يخرج من نطاق المحلية الى آفاق العالمية ؟

عندما كانت شابة في الثلاثين كان لها وقار سيدة في الستين، والآن وهي في الخامسة والستين، في حيوية ونضارة فتاة العشرين.

الحديث معها متعة .. شديدة التواضع .. لماحة .. حاضرة الذهن متفتحة على التجديد .. موضوعية .. محافظة في اطار



عصري .. انيقة جدا .. لا تشكو من ارهاق، ولا تعتذر عن عمل .. شخصية اجتماعية من الدرجة الاولى .. واذا كانت هذه هي السمات الانسانية لشخصيتها فإن نشاطاتها العملية متعددة الى أقصى حد.

فهي اول من أدخل دراسة الادب العربي المعاصر الى الجامعة المصرية، حيث نادت بضرورة دراسة روايات نجيب محفوظ في مادة النقد الادبي الحديث، وكان ذلك في الخمسينات، وهي الاستاذة التي اشرفت على اكبر عدد رسائل دكتوراه وماجستير في العالم العربي، رائدة في المجال الجامعي، رائدة في المجال النسائي، وتعمل الآن رئيسة الاتحاد النسائي العربي، ناقدة ادبية عرفت بالموضوعية، استاذة من الطراز الاول تتسم بالامانة العلمية، وتعمل حاليا استاذا غير متفرغ للنقد الادبي المقارن والحديث بجامعة القاهرة، وهي الى جانب ذلك كله كانت اول من درس الادب العربي الشعبي، وكان موضوع رسالتها للدكتوراه: «حكايات ألف ليلة وليلة» ولها دور بارز في الترجمة وكتابة القصة والنقد الادبي..

الدكتورة سهير القلماوي نموذج جيد للمرأة العربية ولذلك فقد مثلت مصر والعالم العربي في عدد كبير من المؤتمرات

لقاء مع :
سهير القلماوي

الثقافية والفكرية والعلمية.

المرأة العربية

كان لابد ان يكون سؤالي الاول لها عن المرأة العربية والحركة النسائية العربية .. تاريخها وآفاقها ؟

تقول الدكتورة سهير القلماوي : اولا لابد ان نؤكد مبدأ اساسيا ، إن الحركة النسائية العربية تختلف اختلافا جذريا عن الحركات النسائية المشهورة في انجلترا وفرنسا وامريكا ، خاصة لانها لا تتسم بالعنف ابدا لسبب بسيط وهو ان حقوق المرأة الموجودة في الشريعة الاسلامية وهي اساس القوانين في البلاد العربية الى آخر القرن التاسع عشر على الاقل ، حقوق متقدمة ، مثلا حق حرية الزواج ، حق الملكية والبيع والشراء ، اي الذمة المالية المنفصلة.

الاتحاد النسائي العربي

سألت الدكتورة سهير القلماوي عن الاتحاد النسائي العربي .. ما هو ؟ وما هو دوره على صعيد المنطقة العربية ؟ وكانت الاجابة :

«الاتحاد النسائي العربي بدأ كفكرة راودت بعض الرائدات في عام ١٩٣٧م عن الخطر الصهيوني ومستقبل فلسطين ، وتبلور التفكير في قيام اتحاد نسائي عربي عام ، وكان ذلك في ديسمبر١٩٤٤م ، كتلبية للحاجة الى تكتيل الجهود العربية ، وتوالت على الاتحاد رياسات هدى شعراوي (مصر) وابتهاج قدورة (لبنان) وعادلة بيهم (سوريا) حتى عام ١٩٦٩م عندما اراد الجيل الثاني تطوير الاتحاد ، فعقد مؤتمرا بالقاهرة واصبح للاتحاد امانة عامة ومقر دائم ، بعد ان كانت الاجتماعات تعقد من قبل في بيت الرئيسة مثلا ، كما تكونت له سكرتارية ، ثم لائحة تتعامل بها الاتحادات المحلية مع بعضها البعض ، وهي ١٧ اتحادا اليوم.

وفي عام ١٩٧٤م تطور العمل مرة اخرى الى ان ابتعد ما أمكن عن المؤتمرات وذلك لتكرار التوصيات بشكل ممل ، وبدأ الاهتمام بحلقات الدرس ودورات التدريب ، والضغط الاساسي الآن على التدريب ، ولنا في بغداد مركز تدريب دائم ، وفي دمشق مقر لاجتماع مسئولات التدريب عن كل اتحاد لوضع برامج الدورات التدريبية ، وهي الآن اربع دورات سنوية ونريد لها ان تصل الى عشرات تعقد في آن واحد في الخرطوم وتونس والرياض وبغداد مثلا ، وكل دورة لها هدف مختلف ، ولقد شرفت بأن انتخبت ثلاث مرات امينة عامة لهذا الاتحاد.





والدكتورة امينة الحفني وهي خبيرة تدريب وادارة تقوم بكل مسئوليات التدريب المركزية في مكتب الامانة، وكل امينة مساعدة عندها مسئولة عن التدريب في كل اتحاد.

ازمة النقد الادبي

والدكتورة سهير القلماوي الرائدة في المجال النسائي، رائدة ايضا في مجال النقد الادبي، ومعروفة في العالم العربي بأنها ناقدة موضوعية وصريحة للغاية، سألتها عن رأيها في ازمة النقد الادبي العربي، فقالت بمنتهى الصراحة:

«النقد لا يمكن ان يزدهر الا في مجتمع تزدهر فيه حرية القلم، وحرية القلم في الوطن العربي مازالت الى اليوم تعاني الكثير من الضغوط ومحاولات التحريف على اشكالها المختلفة، وبدون حرية حقيقية لا يمكن ان ننتج ادبا حيا، وبدون الادب الحي لا يجد النقد ما يعلق عليه نظرياته ودراساته. كذلك تفشي الامية، بل ازديادها حتى اصبح السؤال الذي يلح على ضمير الكاتب المعاصر هو لمن نكتب وعدد القراء قليل، بل هو يقل بالفعل بفعل الثقافة السهلة في الاذاعة والتليفزيون والسينما، عدد المتعلمين يزداد ولكن نسبة الامية في ارتفاع مستمر ايضا، لعدم تناسب الزيادة مع عدد المحرومين من التعليم، حتى نظام التعليم يعاني من مشكلة الأعداد الكبيرة في المدارس والجامعات، مشكلات معقدة. هذا الى جانب ان الكتاب انفسهم مهملون في تثقيف انفسهم، مشغولون بالسياسة غالبا، او بغيرها عن ان يقرأوا ويتعمقوا ويتناقشوا، مستوى المناقشات الادبية انحدر بشكل ظاهر، فلكل منهم غايات وتطلعات وانشغالات اخرى، والسؤال الآن لا يجب ان يكون عن سبب الأزمة ولكن السبيل الى تداركها ؟

تدارك الأزمة

وعلى الفور سألت الدكتورة سهير القلماوي عن السبيل الى الخروج من ازمة النقد الادبي، او على حد تعبيرها: **كيف يمكن تدارك ازمة النقد الادبي ؟**

وقد أجابت: «سبق ان ذكرت في كتابي النقد الادبي ان الذي نلاحظه على نشأة النقد الادبي عامة في كل زمان ومكان انها تميل الى ان تجعل الحكم في العملية النقدية اساسا، وماذاك الا لان التحليل والدرس يتطلب درجة من درجات الرقي الفكري تأتي بعد درجة مجرد الاستجابة الذوقية، ولننظر في نقدنا العربي، فسنجد السمة البارزة في نشأته هي الإسراف في هذه الناحية بحيث اقتصرت عملية النقد زمانا طويلا على مجرد إصدار الاحكام، مهما كانت الحيثيات تافهة، لا يمكن ان تقف امام اي ميزان نقد حديث عربيا كان ام اجنبيا. كأن يقال هذا الشاعر افضل من ذاك لانه قال هذا البيت، بل انه ليقال هذا الشاعر افضل الشعراء لانه قال هذا البيت بعينه. وكانت احكام النقاد في الماضي شاملة عارمة صارمة محددة بعكس ما نرى في النقد الحديث. وهذا هو عنوان التقدم في كل علم. فكلما زاد علمنا بشيء، ازددنا معرفة بأننا نجهل منه اكثر مما نعرف، ولذلك يملي علينا هذا الاحساس الجديد بجهلنا الاحتياط في الحكم والتريث، بل البعد كل البعد عن الاحكام الشاملة والاعتراف التام بأن المعرفة هي معرفة من زاوية، فهي ليست كل المعرفة ولا يمكن ان تكون.

وهناك مشكلة اخرى ان الجمهور بعد بعدا نهائيا عن ان تكون له مكانته في مقام الحكم او النقد الادبي، واخذت المسافة تتسع في شرقنا العربي بين الشعب والفن حتى اخذ الشعب يكون لنفسه فنا خاصا يحكم عليه حكما قاطعا تلقائيا ساذجا دون درس. ويحيا حياته الخاصة التي تمليها عليه ظروفه، بينما اخذت الخاصة تكون لنفسها ادبا خاصا يتميز عن

لقاء مع :
سهير القلماوي

ادب العامة حتى اصبحت هذه الظاهرة التي لم يكن منها بد، وهي الاختلاف بين لغة العامة ولغة الخاصة نتيجة الاختلاف بين ادب العامة وادب الخاصة. وفي نفس الوقت فإن الصحافة ووسائل توثيق الصلات بين الفن ومتذوقيه، والثقافة ووسائل نشرها من اتساع حركة التعليم وكل ما يعين على نشر الثقافة من وسائل معنوية وآلية كالطباعة والاذاعة وغيرهما عملا على تقريب العامة والخاصة قربا كاد يقضي على تفرد كل طبقة، وأمام هذا العصر الحديث المتطور تبرز المشكلة. وهي لمن اذن يكون الحكم، للجمهور المثقف الى حد ما، بحيث يستطيع ان يتذوق الادب سواء نزل الادب اليه ام صعد نحوه. ام الناقد المتخصص الذي انفق جزءا من حياته في إتقان هذا الفن والتوغل في مصاعبه حتى اصبحت له الى جانب الذوق الفطري ملكة اخرى هي ملكة الدرس والتحليل والحكم التي جاءته بالاكتساب وطول المران. وفي رأيي ان يكون حكم الناقد ممزوجا بحكم الجمهور. فهناك حقيقة يجب ألا نغفلها. ان المتلقي هو الجماعة والعمل الادبي ليس موجها الى الناقد وحده. فلو تناولنا احد الانواع الادبية ولتكن المسرحية مثلا، سنجد ان المسرحية تتجه اولا وقبل كل شيء الى جمهور. فيجب إن يكون حكم الناقد ممزوجا ولا شك بحكم النظارة التي ترى معه. لان تجاوب الاثر بين الممثلين والنظارة بفضل نصوص المؤلف يحدث على هذا النحو الجماعي ويكتسب من جماعيته خصائص معينة.



وتستطرد الدكتورة سهير قائلة: ان النص الادبي كما يقول ناقد حديث كالبلد العجيب الذي نود زيارته. يسرنا ان نسمع عنه الاخبار. وان نعرف عنه المعلومات ولكنه مما يفسد علينا التجربة او المتعة بزيارته ان نتلقى في شأنه احكاما. والناقد كالدليل لهذا البلد العجيب. من مهمته ان يشير وان يرينا ما يجب ان نرى ولكنه يجب ان يكون حذرا كل الحذر في اصدار الاحكام. فلعل اكثر ما يفسد علينا متعة التأثر الحر بالنص الادبي ان نتلقى في شأنه احكاما قبل ان نواجهه. ان لذة المشاركة في اصدار الحكم لا تعدلها لذة. والقارئ يجب ان يتمتع بلذة المشاركة في اصدار الحكم.

مشكلة الكتاب العربي

قلت للدكتورة سهير القلماوي: لماذا اذن توقفت عن كتابة المقال النقدي خاصة انك كنت تنشرين مقالات ثقافية متوالية من بداية الستينات وحتى بداية السبعينات ؟

قالت: «مقالاتي تراعي قارئا غير متخصص. وان يكن مثقفا لذلك تتنوع. وفيها المقال النقدي وهو قليل. واكثرها ثقافي لشعوري ان القارئ محتاج الى هذه المعلومات والدراسات. والواقع ان الحديث عن الازمة الثقافية وحاجات القارئ العربي يسوقنا الى الحديث عن الازمة الاساسية وهي ازمة الكتاب العربي. وتقول الدكتورة سهير: ان مشكلة الكتاب العربي تحمل طابع الازمة الاقتصادية بعنف. ومشكلات الورق اساسا مازالت قائمة والكتاب السيئ الطبع لا يغرى بالقراءة. ونحن نحتاج الى مغريات كثيرة لنقرأ. لان الترفيه السهل يأكل اوقات الفراغ. والطفل اذا تعامل مع كتاب سيئ الطباعة يشب كارها للكتاب ولا يحتفظ به. وبالتالي يصبح انسانا غير قارئ.



الادب الشعبي

والدكتورة سهير القلماوي كانت من الرواد الذين اهتموا بالادب الشعبي، وكتبت رسالتها «للدكتوراه» حول الادب الشعبي عن «حكايات ألف ليلة وليلة». سألتها عن سر انشغالها عن هذا القطاع في الادب العربي ؟

فأجابت: إن اهتمامي بالادب الشعبي بدأ قبل عام ١٩٣٩م وحتى خرجت رسالتي عن الادب الشعبي عام ١٩٤١م ولكني انصرفت عن هذا الميدان لانشغالي بعملية التدريس في الجامعة، ولم تكن مادة الادب الشعبي قد تقبلتها الجامعة بعد، فعكفت على النقد الادبي والاشكال الادبية الرسمية لانها مادة الدراسة، ولما اعترفت الجامعة بالادب الشعبي كنت قد سرت اشواطا في الاتجاه الآخر واحسست انه ضروري جدا، وانه ربما يفيد الطلاب في هذه الآونة فائدة اكبر، لان دراسة الادب الشعبي تحتاج الى معدات غير موجودة.

مركز الفنون الشعبية مثلا، من المفروض ان نجد به التسجيلات ووثائق الدرس. ولكن هذا المركز مايزال يافطة، مجرد يافطة، فكيف تتم الدراسة، المجهودات الفردية كثيرة ومجموعات الدارسين بدأت تعمل منذ سنوات قليلة .. لكن المجهود المطلوب يحتاج الى ان تتبنى الدول الادب الشعبي بكل صوره لانه عنوان الشخصية العربية، ولا أصالة لنا بدونه، ولا ننسى انني مازلت مهتمة بالادب الشعبي والتراث العربي الاصيل. فأنا مقررة لجنة الفنون الشعبية في المجلس الاعلى للفنون والآداب، ونحاول رغم عدم توافر الإمكانات ان نقدم شيئا له قيمته، وانا اكتب احيانا في الادب الشعبي، وقد نشرت في مجلة عالم الفكر الكويتية منذ عامين بحثا طويلا في الحكاية الشعبية، واذيع احيانا احاديث نقدة في الادب الشعبي من اذاعة القاهرة.

تراثنا .. وعالمية الادب

وبمناسبة الكلام عن التراث سألت الدكتورة القلماوي عن رأيها في قضية التراث العربي، **وكيف يمكن احياء هذا التراث بحيث يلائم روح العصر ؟** والسؤال عن التراث يجرنا بدوره الى السؤال عن العالمية **كيف يمكن لادبنا العربي ان يخرج من نطاق المحلية الى آفاق العالمية ؟**

وكانت اجابتها: «ان ادبنا العربي ظل محافظا على بعض انواعه محافظة عجيبة تستمد اصولها ولا شك من طبيعة الفن الشرقي ومن ظروف قاهرة في مسائل التعبير وتوحدها عند الادباء عامة بفضل حقائق كثيرة. ان هناك عوامل خاصة بنا قد لعبت دورها في ثبات بعض الانواع الادبية وفي ثبات صورها الداخلية ايضا قرونا طويلة دون تغيير. لابد من تقييم الابحاث التي يمكن ان تعمل في الادب العربي من حيث تطور الخطبة الى مقال، وتطور المقال نفسه من مقال ادبي فني الى مقال عقلي يعنى بالفكرة، او دراسة القصة القصيرة او المسرحية كيف نبتت في الادب العربي الحديث. وما هي العوامل خلاف التيارات الاوروبية الجارفة التي يمكن ان تندرج تحت هذا الباب، باب التطور، التي دخلت في تكوينها ونمائها. مثل هذه الدراسات مجدية ولا شك وتحتاج الى صبر وتدقيق واتساع دائرة البحث اتساعا لا يمكن ان يقاس باتساع الدائرة في دراسة الآداب الغربية، وكلها حديثة جدا بالنسبة للادب العربي، وكل هذا يحتاج الى ان نكون جادين متعمقين نأنف من السطحي ونأبى السهل. ولابد ان نشير الى ان هناك طائفة كبيرة من ادبنا العربي لم تدرس اقل درس واجب لها، سواء اكانت شعبية ام راقية، مما يصعب ولا شك امام الباحث ان يطبق كل نظريات الغرب. فإن اي دراسة تحتاج الى طائفة كبيرة جدا من الدراسات الداخلية الفرعية التي لابد منها لتقديم المادة الحقيقية باستخلاص النتائج منها في اي بحث قيم او نظرية لها وزنها. واضيف ايضا اننا في حاجة الى الترجمات والتأليف

لقاء مع :
سهير القلماوي

إن عدونا الحقيقي هو الأمية
ولا بد لنا أن نحاربها كما لو كانت هي الخطر الحقيقي .

إن الاستراتيجية الحقيقية لأي
أثر ثقافي ، لا يمكن أن تتم إلا بالكتاب !

الدقيق على اساس علمي في النقد الغربي ، الذي نريد منه ان يغذي نقدنا العربي الحديث ، كما نريد من نقدنا القديم ان يغذيه ، لذلك لأبد ان نبدأ في الجامعات دراسة النقد الاوروبي الحديث دراسة علمية سليمة الوسائل تسير جنبا الى جنب مع دراسة النقد العربي».

كتابة القصة القصيرة

المعروف ان الدكتورة سهير القلماوي قد عالجت القصة القصيرة ولها مجموعة القصص القصيرة «**الشياطين تلهو**» والسيرة الذاتية «**حكايات جدتي**» وقد سألتها لماذا اهملت الكتابة في القصة القصيرة فلَم تنشر لك مجموعات قصصية اخرى؟ وقد اجابت : «ابدا .. انا لم اهمل القصة القصيرة ، فأنا أكتبها منذ كنت طالبة الى اليوم ، وكل ما في الامر اني انشرها في المجلات والصحف ولكنني في الحقيقة استسلم للكسل فيما يتعلق بعملية جمعها ونشرها في كتاب او في مجموعة قصصية ، لعله اهمال ، او لعله موقف من صعوبات النشر في الداخل ، وعدم الرغبة في النشر في الخارج اذا كان هذا هو الحل الوحيد».

الأستاذة .. والطلبة

والمعروف ان الدكتورة سهير كانت تلميذة للدكتور **طه حسين** عميد الادب العربي، كانت تلميذته المرموقة، وحظيت بتزكيته لها وتنويهه بتلمذتها الاولى له، وعن استاذها تحدثت الدكتورة الطالبة:

«طه حسين اكثر من والد، تحدثت عن صلتي به في كتابي الصغير الذي صدر في الذكرى الاولى لوفاته بعنوان «**ذكرى طه حسين**» وذكرت جملة من مواقفه التي لا أنساها ابدا، وان كانت هذه المواقف وتلك الصلة تحتاج الى كتاب طويل آخر ارجو ان افرغ له يوما ما.

هذا عن اساتذتها — فماذا عن طلبتها ؟

طلبتي كثيرون ومنهم في العالم العربي عدد وفير، وبحكم السن فقد وصل كثيرون من طلبتي الى مناصب قيادية في بلادهم وزير التعليم في نيجيريا كان تلميذي .. في جامعة الخرطوم اكثر من ثلاثة اساتذة من طلابي، في العراق تولى ثلاثة من تلاميذي وزارة الثقافة ووزارة البرق، في جامعات دمشق والجزائر والكويت والسعودية وغيرها كثيرون من طلابي، افرح بهم كما تفرح كل ام بأبنائها واحس انني لم اعش عبثا عندما اراهم ناجحين موفقين في اعمالهم ومع طلبتهم. اما عن تلاميذي المصريين فما اكثرهم في سنة واحدة تخرج في القسم مثلا الشاعر صلاح عبدالصبور، عزالدين اسماعيل، وفاروق خورشيد وغيرهم وقد جربت معهم تجربة النقد على انتاجهم.

علاقتي تبدأ بأستاذية وتنتهي بصداقة واحترام رأي الغير، والرغبة الشديدة في ان يكون كل منهم ذاته هو لا ظلا لا لغيره.

شباب اليوم

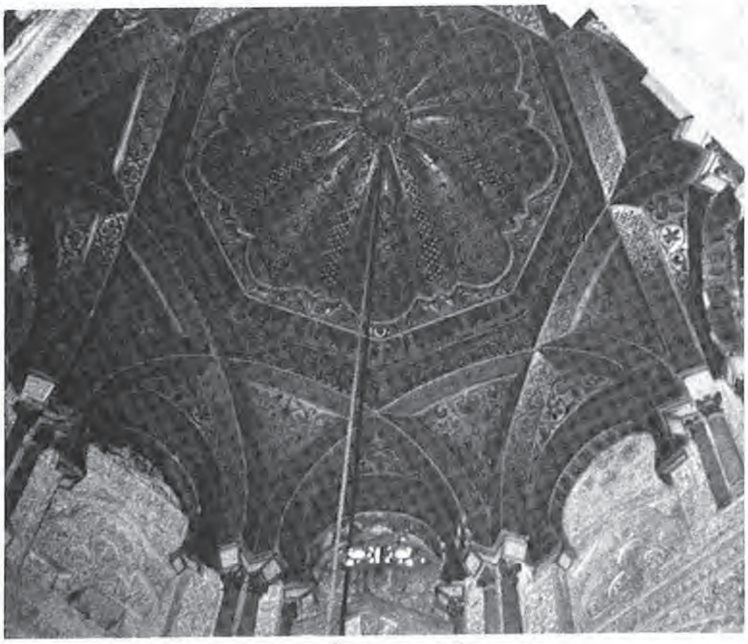
وعن شباب الجيل قالت: «ان جيل الشباب اليوم عنده مميزات ضخمة وتحديات اضخم، ونحن نبذل جهدا لابد ان يستمر ويزداد لكي نتفهم ظروفهم، انهم يقبلون على عصر ليست عندنا ولا عندهم صورة تقريبية له، بينما نحن كنا نواجه المستقبل في شيئ من الوضوح والنور .. هذا القلق .. هذا الشعور بالضياع طبيعي، ولابد ان يستمر الى آخر هذا القرن، على الاقل حتى يتأقلم الشباب على عدم الاستقرار، **ويصبح الاستقرار على عدم الاستقرار غير متعب ولا يسبب اي قلق او انشغال**، انه جيل من الصعب جدا ان يتثقف بالطريقة التي تثقفنا بها، واساليب الثقافة تتطور، ومؤلفونا في واد والتطورات العالمية الجارفة في واد آخر .. **فماذا يقرأ الشباب ؟**

الكتاب الوحيد الذي يجذب جيل الشباب هو الكتاب السياسي، لانهم يتصورون السياسة اذا ما انصلح حالها، سينصلح الحال بوجه عام، كما يقولون، وهم غافلون ان السياسة لا يمكن ان تنعدل الا اذا انعدل الحال فعلا .. ان عدونا الحقيقي هو الامية، لابد ان نحاربها كما لو كانت الخطر الحقيقي، ثم نبني تطورات التعليم والتثقيف على قاعدة عريضة من القرار السياسي الضخم.

ان الاذاعة والتليفزيون والسينما وسائل تثقيفية لها خطرها، ولكن الاستراتيجية الحقيقية لأي اثر ثقافي لا يمكن ان تتم الا بالكتاب .. لا تعصبا للكتاب ولكن تطبيقا لما وصل اليه البحث الحديث في كثير من ارجاء العالم، فلماذا لا ننتفع بتجارب ونتائج الغير مادامت تنطبق على حالنا.

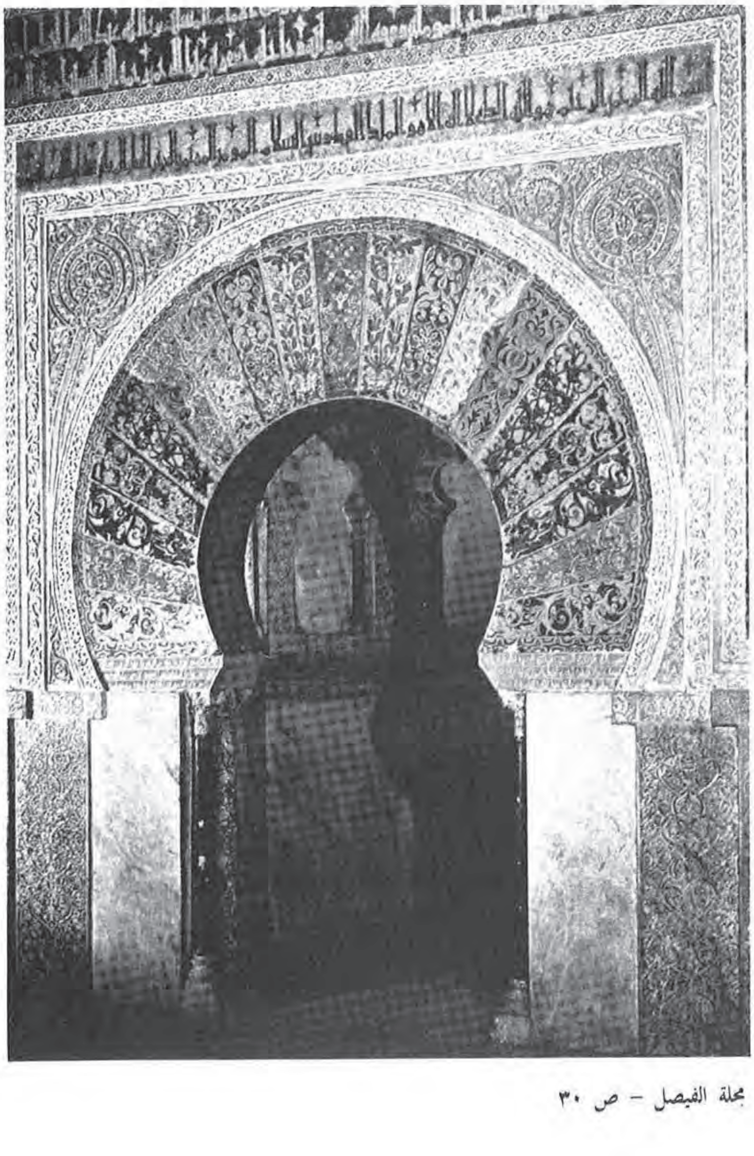
هذا هو السؤال المحير والعجيب، ان الازمة الاقتصادية هنا يمكن وبسهولة ان تكون عاملا ثانويا يؤخر اي شيئ حق».

بقلم : فاروق شوشه



"كيف يستطيع المسيحي أن يقدر الإسلام والمسلمين دون تقدير نبيهم ، والقيم التي بثها ولا يزال يبثها في حياة أتباعه ؟"

روح قرطبة



"إن تقدير إيمان المسلمين بمحمد قد يكون أفضل طريق لتقدير قيمه الدينية في حد ذاتها ، وفي المجال الإلهي للنجاة ، وقد يكون مساعدة لحياتنا العقيدية نفسها"

لم تكن البداية سهلة ميسورة ، ولا الطريق اليها ممهدة ، او مفروشة بالورود . .

فالفكرة تنبت في أشد قلاع المسيحية تعصبا وتشددا ومحافظة في اسبانيا الكاثوليكية ، ويتبناها في الاساس لفيف من المشتغلين بدراسة اللاهوت والفلسفة ، ويخوضون من اجلها معارك ضارية بينهم وبين زملائهم ممن لا يملكون الرؤية نفسها ، ولم يتزودوا بالزاد نفسه .

جديد بين العالمين الإسلامي والمسيحي

والمثير للدهشة حقا، ان تولد في قلب اسبانيا خلال السنوات الأخيرة جمعية للصداقة الاسلامية المسيحية، هدفها الأساسي هو العمل على التقارب بين هذين العالمين اللذين يشكلان غالبية المؤمنين بالرسالات السماوية في العالم، والقضاء على كل ما يباعد بينهما في مجالات الفكر والعقيدة، وصولا الى فهم مشترك ومناخ افضل وتعاون ارحب في مواجهة ما يسود العالم الآن من موجات الإلحاد والتشكك والانحلال والمادية المتطرفة.

وعلى الارض التي شهدت فظائع محاكم التفتيش، رمزا للاضطهاد والعنف والتعصب حتى الموت، والتي شهدت حرب ابادة للوجود الاسلامي العربي في الاندلس وكراهية عميقة لاثاره في الحضارة والحياة الاجتماعية والفكرية والادبية استمرت طيلة قرون عدة، على هذه الارض نفسها اجتمع المؤتمر الاسلامي المسيحي الاول في قرطبة عام ١٩٧٤ وشهدت وفودا وشخصيات بارزة تنتمي الى ثلاث وعشرين دولة اسلامية ومسيحية وطيلة اسبوع كامل دارت المناقشات والمحاضرات حول فكرة أساسية هي تعميق ميادين العمل المشترك التي يمكن ان يتعاون فيها المسلمون والمسيحيون وبحث ازمة العقيدة والتجارب التربوية في كل من الاسلام والمسيحية.

ثم كان الملتقى الثاني في شهر مارس من هذا العام، في مدينة قرطبة ايضا، تلك المدينة البيضاء الوادعة التي ظلت عاصمة للوجود العربي الاسلامي في الأندلس طيلة قرون ازدهاره وتماسكه، والتي شهدت ابان الحكم العربي أسمى آيات التسامح وحسن الجوار بين شتى أصحاب الديانات، وهكذا قدر لقرطبة ان تستعيد سيرتها الاولى وتعود الى وجهها السمح الأصيل، ونسي الناس كلمات **لوركا** شاعر اسبانيا الكبير عندما قال: «**مهما بحثت عن طريق فإنك لن تصل الى قرطبة..**».

ولابد ان **لوركا** قد قال كلمته هذه، متأثرا بمناخ الحرب الاهلية في اسبانيا وبقايا عصر محاكم التفتيش التي خنقت حرية الرأي وحرية العقيدة، واشاعت روح العداء والتعصب الذي كانت قرطبة ساحة له، خاصة بعد طرد العرب من الأندلس وانهيار الحضارة العربية التي استمرت طيلة ثمانية قرون.

وقبل ان يبدأ الملتقى الثاني حواره ومناقشته، كانت أمامه توصيات المؤتمر الأول تحدد معالم الطريق وترسم الغايات والأهداف، متمثلة في اقامة تعاون اسلامي مسيحي لتأكيد الإيمان بالله وتعميق القيم الدينية والإنسانية، وتيسير سبل البحث العلمي والتعاون بصفة خاصة في مجال الوثائق والمخطوطات الاسلامية والمسيحية وتشجيع تبادل الزيارات والإكثار من اللقاءات وتوسيع دائرتها بين المسلمين والمسيحيين لمواصلة الحوار في الموضوعات المشتركة وتأكيد الحقوق الوطنية والإنسانية للشعب الفلسطيني وتأكيد عروبة القدس، ورفض مشروعات التهويد والتقسيم والتدويل، وإدانة الاعتداءات التي تقوم بها سلطات الاحتلال الاسرائيلي على الشعوب وعلى المقدسات الاسلامية والمسيحية وبخاصة المسجد الأقصى، واعتبار الآثار الاسلامية والمسيحية في العالم تراثا انسانيا ينبغي الحفاظ عليه والإشادة بالمنجزات التي قامت بها اسبانيا في هذا المجال.

وفي الحادي والعشرين من مارس الماضي انعقد المؤتمر الثاني تنفيذا لاحدى توصيات المؤتمر الاول، لمواصلة دراسة الموضوعات التي تهم الجانبين، ولمتابعة ما تم من انجازات، وكان الموضوع الرئيسي هذه المرة هو: **التقييم الايجابي لنبي الاسلام محمد ﷺ، من وجهة النظر المسيحية، والتقييم الايجابي لعيسى عليه السلام من وجة النظر الاسلامية.**

ولم يكن هذا كله هو الأمر الوحيد المثير للدهشة .. ان العالم المسيحي والفكر المسيحي يبدو من خلال هذا الحوار وكأنه يقدم اعتذارا الى العالم الإسلامي عن سوء الفهم الذي ظل يحمله له عدة قرون، وعن امتلاء كتبه ومؤلفاته الدينية والعلمية بالمغالطات والاكاذيب حول الإسلام ونبي الإسلام، وجاء هذا الملتقى ليعلن انتهاء هذا الفهم الخاطئ وهذه الروح المتعصبة المعادية، وهذا الموقف المسرف في العداوة والبغضاء، من غير اساس يرتكن اليه او فكرة يقوم عليها. وها هو ذا الكاردينال «**ترانكون**» مطران مدريد

ورئيس أساقفة اسبانيا يفتتح المؤتمر بكلمة حارة كأنها قصيدة من الشعر المتوهج، تنبض سماحة ومودة وسعة أفق. ودارت كلمته حول «**روح قرطبة**» التي اوجدها مناخ المؤتمر الأول وما ترتب عليه من نتائج، فهذه الروح التي تتلخص في العمل المشترك هي الهام روحي يجب ان يخلص له الجميع، وهي ايضا روح علمية، لأنها تبحث عن الممكن ولا تدع مناسبة تمر دون ان تتقدم نحو الخير، وهي – في الوقت نفسه – تدرس الميدان قبل ان تشرع في اعمال جديدة تهفو ابدا الى تحقيق المثال. لقد كان حديثه عن روح قرطبة باعتبارها دعوة الى العمل من أجل الخير، على أساس أن التوحيد بين المثالية والواقعية – اي الرغبة في الفاعلية الحقة يجب ان يكون ميزة عمل المسلمين والمسيحيين، الذين ينبغي ان يسعوا للتفاهم بإخلاص ويدافعوا بشجاعة وتضامن عن العدالة الاجتماعية والقيم الاخلاقية والسلم والحرية لجميع الناس.

وكانت المفاجأة في حديث الكاردينال عندما وصل الى أشد النقاط حساسية في المؤتمر، وهي نقطة الحديث عن نبي الاسلام، فاذا به يقول في صراحة ووضوح قاطعين معلنا هذا الموقف باسم العالم المسيحي الممثل في المؤتمر:

«**كيف يستطيع المسيحي ان يقدر الاسلام والمسلمين، دون تقدير نبيهم والقيم التي بثها ولايزال يبثها في حياة اتباعه؟ ان ذلك سيكون دليلا على عدم المحبة، وعلى عدم احترام هؤلاء المسلمين الذين يجب ان ننظر اليهم بعين التقدير أليس الإصغاء الى ما تقوله العقيدة الاسلامية عن محمد هو أحسن سبيل الى الاقتراب بكل احترام ومودة من اخواننا المسلمين، حتى بالنسبة لهذا الموضوع الذي كان في الماضي عنصرا للتوتر؟**

ان تقدير ايمان المسلمين بمحمد قد يكون أيضا افضل طريق لتقدير قيمه الدينية في حد ذاتها وفي المجال الإلهي للنجاة، وقد يكون مساعدة لحياتنا العقيدية نفسها».

ثم يقول رئيس أساقفة اسبانيا:

«لن أحاول هنا تعداد قيم نبي الاسلام الرئيسية: الدينية منها والانسانية، فليست هذه مهمتي، غير اني اريد ان ابرز جانبين ايجابيين – ضمن جوانب اخرى عديدة – وهما:

** **ايمانه بوحدة الله**.

** **وانشغاله بالعدالة**.

أما ايمانه بالله الأحد فهو سمة رسالته وحياته، انها اهم عقيدة تركها لأمته فالشهادة بوحدة الله وجلاله هي احدى القيم الانسانية التي لا تزال حية في عالمنا خاصة بالنسبة لنا نحن المؤمنين.

واما دعوته الى العدالة – مع شتى التطبيقات الدينية والاجتماعية – فهي ماتزال كذلك قائمة. وأود ان اخص بالذكر دعوته الى سواسية الناس رجالا ونساء والى تحقيق العدالة بينهم. ولم يقف الأمر عند هذا الاعتراف التاريخي والاعلان الخطير من كاردينال اسبانيا، فقد تلاه كثيرون من العلماء وأساتذة الجامعات والدارسين والباحثين – **أسبانيين وأوربيين** – كان من أبرزهم الدكتور «**نوجاليس**» الرئيس المسيحي لجمعية الصداقة الاسلامية المسيحية، وعميد كلية الآداب ورئيس قسم الدراسات الفلسفية بالمعهد الأسباني العربي للثقافة، فقد قدم هو الآخر بين يدي المؤتمر فكرته عن محمد نبي الاسلام وصاغها في هذه الكلمات التي تحمل حروفها الاعتراف نفسه الذي القاه كاردينال اسبانيا، يقول:

«لا تستطيع الكنيسة اليوم الا ان تنظر في المقام الاول الى البعد الانساني لدى كل مسيحي، فالمسيحي هو انسان قبل كل شيء، لذلك فكل محاولة لبلوغ الانسان الحقيقي لا تتنافى مع المسيحية، والهدف الانساني لمحمد – سواء في واقعه الشخصي او في تكوينه – هو البعد الانساني للمسلمين، وهو شيء جدير بالاستحواذ على كل احترامنا وتقديرنا.»

هذا بالاضافة الى ان محمدا ليس انسانا اي انسان، بل هو انسان أثري بالقيم الانسانية والدينية التي تركت اعمق الاثر في التاريخ. انه واحد من هؤلاء الرجال الذين خصصهم الله لدعم القيم الدينية والروحية للإنسانية. ان محمدا له من الأبعاد الانسانية والتاريخية ما يستحق معه احترامنا وتقديرنا. خاصة اذا اخذنا في الاعتبار تاريخه بكل ابعاده وسعته على انه تاريخ الخلاص.

ثم يقول الدكتور **نوجاليس** وهو يتحدث عن نبي الاسلام:

«انني افعل الآن ما فعله الراهب بحيرى الذي رأى في الشاب محمد اثناء احدى رحلاته الى الشام علامات واضحة على صفاته الدينية السامية.

ولكي نقيم نبي الاسلام يجب علينا ان ننطلق من عامل أساسي وهو انه بالنسبة للمسلمين ليست هناك قيم اسلامية لا تتعلق بمحمد. وطبقا للدين الاسلامي فإن محمدا هو الرجل الذي اختاره الله لكي ينقل قيم الاسلام. كما ان الاستجابة التي ينتظرها الله من المؤمن هي الاستجابة الاسلامية، والتي ليست في جوهرها اكثر من الاستسلام الكامل لله. **لذلك لا يمكن احترام وتقييم الاسلام والمسلمين تاركين محمدا جانبا فهو مفتاح كل القيم الدينية والانسانية**.

لقد حانت اللحظة لتغيير العقلية تجاه

محمد وما يمثله الاسلام بالنسبة للمسيحيين، ان محمدا -كما يعتبره المسلمون - هو المثل والمثال لكل الفضائل الاسلامية وهو الذي يلهم القيم السامية، وهم يكادون لا يقبلون فضيلة غير موجودة به ومحمد هو مثال المسلم الكامل والمؤمن الكامل الذي يسلم لله، ويجب على المسيحي ان يعترف بقيمة محمد هذه بالنسبة للمسلمين.

ثم يختتم الدكتور نوجاليس كلمته بقوله:

«اليوم لا يجوز الاساءة الى نبي الاسلام كما حدث في الماضي لان ذلك ضد محبة القريب وضد احترام العقائد والحياة الروحية للاخرين وضد التعايش الجماعي بين الطوائف المختلفة في المجتمع الحديث.

وواجبنا الآن - في مواجهة تحديات العصر - ان نسير جنبا الى جنب بكل القوى الروحية الكامنة في ديننا».

وفي ظل هذه الروح السمحة، القائمة على الاحترام المتبادل والفهم الموضوعي المستنير، دارت ابحاث المؤتمر ومناقشاته، كل منها يضيف لبنة الى هذا البناء التاريخي الذي شارك في اقامته صفوة من علماء الاسلام والمسيحية على أرض قرطبة، التي وصفها البعض بأنها قد اصبحت **«قدس الغرب»**، رمزا لهذا التألف بين اصحاب الديانتين الكبريين في عالم اليوم، وتجسيدا لهذا الاحترام المتبادل، الذي كانت صورته الواقعية - خارج قاعات المؤتمر - تتمثل في اقامة المسلمين لشعائر صلاة الجمعة داخل مسجد قرطبة التاريخي الشهير، ثم في اقامة المسيحيين لقداس الأحد في الكاتدرائية التي تشغل جزءا من ساحة هذا المسجد الكبير، **وحرص المسلمون والمسيحيون على ان يشاركوا في الموقفين معا تأكيدا لروح قرطبة وتجسيدا لها.**

* * *

ولما كان الهدف الاول لجمعية الصداقة الاسلامية المسيحية هو التقريب بين اهل الايمان لدى كل من الطرفين، رؤي ان يكون الموضوع الأساسي الذي يمكن ان يصحح حتى يتم اللقاء على **ارض صحيحة وفكر مشترك هو موضوع تاريخ النبي محمد ﷺ.**

والواقع ان الفكر الغربي المسيحي قد امتلأ بأخطاء كثيرة عن نبي الاسلام. وهناك كتابات كثيرة صدرت من مؤلفين اوروبيين حول شخصية محمد، أمتلأت بالاخطاء او بسوء النية او بالزيف، ترجع الى عداوات قديمة او مواقف تاريخية معينة دفعت المؤرخين الى اتخاذ هذا الموقف، خاصة مع بعدهم عن المصادر التاريخية الحقيقية الموثقة وهي المصادر الإسلامية.

لقد اعتمدوا كثيرا على اساطير وخرافات واحاديث مكذوبة واسرائيليات، وكل هذا كون في آخر الامر فكرة غير صحيحة عن شخصية محمد نبي الاسلام.

وهكذا تم اقناع مجموعة ممتازة من الأكاديميين الأسبان وغير الأسبان بالمشاركة في هذا المؤتمر ليبحثوا مع علماء الاسلام عن الجوانب الايجابية في شخصية النبي محمد، وهكذا كان هذا الحوار بمثابة دعوة الى قراءة جديدة ودراسة جديدة يقوم بها المنصفون الذين اهتدوا الى الكثير من جوانب العظمة والجلال في شخصية الرسول العظيم.

ومن هنا فقد استهدفت هذه الجهود التعريف بالمصادر التاريخية الدقيقة الموثقة التي يمكن ان ينتفع بها الباحث في هذا الموضوع، والتعريف بالمنهج الذي ينبغي ان يسير عليه الدارس خاصة بين الغربيين، فلابد في هذا المجال من الاعتماد على المصادر الاسلامية اساسا وأولها القرآن الكريم، الذي هو باعتراف الكثير من المؤرخين المنصفين الكتاب الموثق الاول الذي وصل الى البشرية منذ اربعة عشر قرنا من وجهة نظر علمية خالصة تعتمد على التوثيق والتحري والتحقيق والضبط. فكل ما جاء فيه عن محمد ينبغي الاعتماد عليه كمصدر موثق.

اما المصدر الثاني فهو السنة المطهرة وما كتبه المؤرخون الثقات ممن تلقوا عن الصحابة والتابعين. فلا شك ان تلك المصادر الاسلامية ككتابات **ابن اسحق وابن هشام** وغيرهما وما رواه الصحابة والتابعون تشكل جميعا مصدرا بالغ الدقة من الناحية التاريخية، يقوم على تقاليد علمية راسخة في تحري صدق الرواية وضبط صحتها وسندها، وهو امر يعرفه العرب من قبل الاسلام. ومن هنا نشأ في الاسلام «**علم مصطلح الحديث**» وهو علم يقوم على تحري الضبط والتحقيق فيما يروى عن النبي ﷺ.

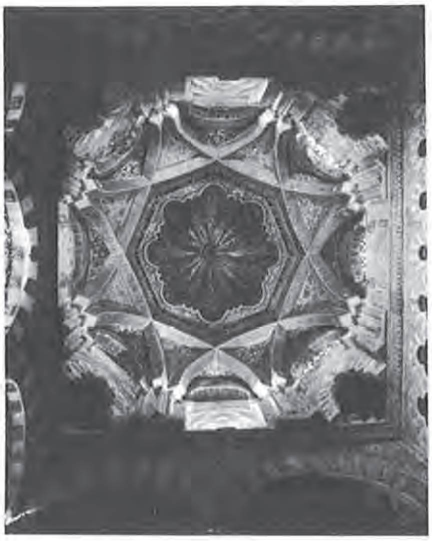
كما استهدفت هذه الجهود ايضا الاشارة الى اهمية الاقتراب وجدانيا من عصر النبي الكريم وبيئته التي عاش فيها، ذلك ان الاتصال بهذه البيئة وتمثل روح العصر وتقاليد ذلك الزمان وعادات القوم حينئذ، ثم بناء الاحكام في ضوء ذلك كله هو امر ادنى الى الصواب وادعى الى الانصاف واقرب الى المنهج العلمي من الجهل بتلك البيئة والناس عن روح عصرها، والحكم بعد ذلك عليها بما يجري به العرف في بيئات اخرى وأزمان

اخرى.

والتفتت هذه الجهود كذلك الى اهمية التساؤل عما كان يمكن ان يكون عليه تاريخ البشرية لو لم يأت محمد بإصلاحاته العقيدية والتشريعية والخلقية.

اما قيم محمد الناصعة التي خلد بها في التاريخ فهي أرقى قيم وصل اليها الانسان في كل تاريخه، بل ان بعضها مايزال المجتمع المتحضر في القرن العشرين دون الوصول اليها، وأبرز تلك القيم «**الحرية**» فلا اكراه في الدين ثم «**المساواة**» فليس لعربي على اعجمي فضل الا بالتقوى والناس سواسية كأسنان المشط، ثم «**الاخاء**» فالمسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ثم «**العدل**» فلا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى. وهكذا كان واضحا وجليا امام المؤتمر – ومن خلال المحاضرات والكلمات التي ألقيت – كيف ان محمدا نبي الاسلام بهر التاريخ بحياته الرائعة وبما اصلح سيرة التاريخ برسالته الساطعة وبما خلد على التاريخ كمثل اعلى لكل فضيلة ناصعة.

هذا الجهد المبذول لتوضيح حقيقة نبي الاسلام ردا على مزاعم غير المنصفين من المتهجمين على الاسلام ونبيه – اضطلع به في وعي ومثابرة **الدكتور أحمد هيكل** مدير المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد والرئيس الاسلامي لجمعية الصداقة الاسلامية والمسيحية – واحد القلة التي تحمل على عاتقها اقامة هذه المؤتمرات والحوارات. ومن هنا كان حرصه على بيان دعائم ومقومات الشخصية التاريخية عند محمد نبي الاسلام لروعة حياته التي بهرت التاريخ، ولتوجيهه وتصحيحه لمسيرة التاريخ، ولبقائه مثلا خالدا لما ينبغي ان يكون عليه الإنسان في كل عصور التاريخ.



وينفض المؤتمر، وتختتم جلساته، وتصدر توصياته، متضمنة الدعوة الى اقامة المؤتمر الثالث، حيث يبحث علماء الاسلام والمسيحية موضوع **الفتح العربي الإسلامي للأندلس**، وخروج العرب من الأندلس في ظل نظرة عصرية، موضوعية منصفة بعيدة عن التعصب والتوتر والكراهية.

ينفض المؤتمر الاسلامي الثاني في قرطبة. وتبقى في الأسماع كلمات واحد من أبرز المشاركين فيه والمحاورين فيه والمتصدين للدفاع عن الاسلام ونبي الاسلام. انه **الدكتور عبدالعزيز كامل** من خلال بحثه الجامع الى المؤتمر عن محمد المؤسس لمجتمع سياسي ونظام اجتماعي عادل وانساني حيث يقول في خاتمته:

«**هذه رحلة مع المصطفى عليه الصلاة والسلام والذين معه، رأينا فيها كيف يبني الحياة في الانسان اولا، الدولة ثانيا، الحضارة ثالثا، على أسس من الايمان والعمل والقدوة**، ودعوة المجتمع الى القوة، قوة الايمان، وقوة العلم. وشجع العلم في مجتمعه حتى جعل فداء الأسير في غزوة بدر تعليم عشرة من ابناء المسلمين **وجعل العلم قرين الحرية**. ولقد عاش الرسول حياته في زهد كبير كأفقر ما يعيش الناس، سعادته ان يسعد من حوله، ونحن حين ننظر الى تخطيطه لبناء الفرد والأسرة والمجتمع، ثم لتخطيط السياسة والحرب، نرى كيف ينسج هذا كله في رداء واحد متجانس رغم تعدد المجالات والآفاق التي يعمل فيها.

ولقد كان في بيته وأهله مدرسة لهذا كله، وعاش اهله معه هذا الزهد، وخيرهن بين ترك البيت النبوي بسراح جميل، ان أردن الحياة الدنيا وزينتها او البقاء فيه على الزهد والإقلال والقيام بمسئولية تعليم كتاب الله والحكمة كأمهات للمؤمنين فاخترن البقاء في هذه المسئولية السامية.

وإذا ما كان تأثير الرسول يقاس بما ترك وراءه من أثر، وما بنى في حياته من رجال، وما استطاع ان يلهم الاجيال من تقدم وتطوير، فلقد كانت دولة الاسلام في المدينة ورجالها، نموذجا للدولة العالمية: **ايمانا بالله وحبا للانسان، وتقديرا للعمل والعلم. ودعوة الى الاسلام وحماية له.**

* * *

ويفترق الجمع الكبير، ويعود كل الى وطنه واهله، وتبقى في الأعماق روح قرطبة رمزا لحوار جديد، خصب وبناء بين العالمين الاسلامي والمسيحي واعتذارا حارا يقدمه الغرب عما ارتكبه في حق الإسلام ونبيه من اكاذيب ومفتريات، وما دونه في كتبه ومؤلفاته من اباطيل واراجيف ووعدا بغد مشرق جديد، تنقشع فيه غيوم العداوة والبغضاء وسوء الفهم وروح التعصب، لتبقى روح قرطبة دعوة الى الحب والأخوة والتسامح بين الجميع.



منظر القرية بدءاً
من طريق كارتاج

سيدي بوسعيد التونسية

سيمفونية الطبيعة والحياة!

بقلم : ماكس پول موشيه
ترجمة : فتحي العشري

الإنسان في قرية "سيدي بوسعيد" يمتع كل حواسه، العين ترى الجمال والأذن تسمع الأنغام، والأنف تشم رائحة الزهور والعطور، واللسان يتذوق أشهى الفواكه والطعام، واليد تلمس الطبيعة وأفخر منتجات الحياة.!

الانسان في قرية «سيدي بو سعيد» يمتع كل حواسه، العين ترى الجمال، والأذن تسمع الأنغام، والأنف تشم رائحة الزهور والعطور، واللسان يتذوق اشهى الفواكه والطعام، واليد تلمس الطبيعة، وأفخر منتجات الحياة. ! !

ايها المسافر أود أن أتوجه اليك بلا كلفة، اذا سمحت لي بذلك، فمحدثك رحالة، وليس لي صفة اخرى غير صفة الرحالة، على الرغم من أني حديث العهد بالأسفار، وان كنت قد زرت جميع القارات .. ومع هذا أتوقف فجأة معك في هذا المكان، بشعور ليس بالعابر.

فكم من عجائب معروفة، بعضها تلقائي والبعض الآخر مخترع! وها نحن نتوقف أمام ما يمكن الحكم عليه بأنه أصيل أو قد اوجدته الصدفة، وهما معا جاءا نتيجة للعلم ولفن الحياة: جدران بيضاء وسط الزهور والأشجار على شاطيء البحر.

وكمسافر يمكنك أن تضع اسفل هضبة «سيدي بو سعيد» مرشديك وكتبك ومعرفتك المحدودة أو الواسعة. فالحقيقة أن معرفة الماضي ستتيح لك أن تحب القرية اكثر، بعد أن تعرف المزيد عن خفاياها، وأن تضيف الى انفتاحها على الفضاء انفتاحها على العصور.

ومع ذلك فان هذا المكان لا يتطلب كل هذه المعارف، فهو لا يفرض نفسه كطريق قديم كأنه في الماضي، حيث امتزجت خطوط الحضارات المختلفة والمتتابعة تتناقض في الكثير من الاحيان.

فهذا المكان قد تعرض لغزوات عديدة، اذا عرفتها فسيكون حكمك اكثر صدقا على الاحساس الذي يحكم المكان، الراغب في انكار التاريخ والزمن مدفوعا بحبه للسلام. واذا كنت تجهلها فان الرغبة في حب السلام ذاتها ستنتقل اليك حتما

وثمة معرفة وحيدة وضرورية هنا هي «المشاهدة». وكعابر .. ينبغي الا تكتفي بالرؤية العابرة، بل عليك ان تتعلم كيف ترى، كن حساسا اكثر من ان تكون عالما.. لا تتسرع، تهادى وتروّى.

فاذا كنت على عجلة من أمرك، فعليك أن تستمتع بالبقاء، وستنزلق الساعات كلما ازدادت رغبتك في البقاء.

عندئذ ستردد معنا كلمات المديح.

تاريخ .. له تاريخ

وأنت في طريقك الى قرية «**سيدي بو سعيد**» تلك القرية التونسية الرائعة، تأخذك شوارعها وطرقاتها وأسواقها، خاصة اسواق الزهور .. فتحس على الفور انك في جو اسلامي، دون أن تفقد الاحساس بانك في حوض البحر المتوسط.

وكان «**الترام**» هو وسيلة المواصلات الوحيدة التي تربط القرية بالعاصمة التونسية ثم حلت «**السيارات**» محله، وان كان من الأفضل للزائر أن يترك سيارته على مشارف القرية ليصعد هضبتها على قدميه، حتى يصل الى قلبها مستمتعا برائحة الفاكهة والخضراوات والأسماك أيضا، منجذبا الى منظرالحوانيت الصغيرة التي تبيع اقفاص العصافير أو قبعات القش أو الحلي الصناعية او التحف والبطاقات التذكارية، مشدودا الى الفلاحات بملابسهن المزركشة وبساطتهن، وهن يتكلمن أو يعملن أو يأكلن أو ينظرن الى السياح بشيء من الغرابة والاستغراب.

وهضبة «سيدي بو سعيد» تقع في مواجهة هضبة «قرطاج»، وقد تحدث عنهما الاديب الفرنسي الشهير «**فلوبير**» في روايته المعروفة «**سالامبو**»..





قادمون من «أريانا» القرية من تونس

أما هضبة «سيدي بو سعيد» فتحكم خليج تونس، وتتميز بالمعمار القديم والالوان الزاهية والاضواء الساطعة، فيها يتجمع الفنانون والمصطافون الذين ينشدون الهدوء والراحة، بعيدا عن الضوضاء وارهاق العمل ... وقريبا من الطبيعة والحياة!

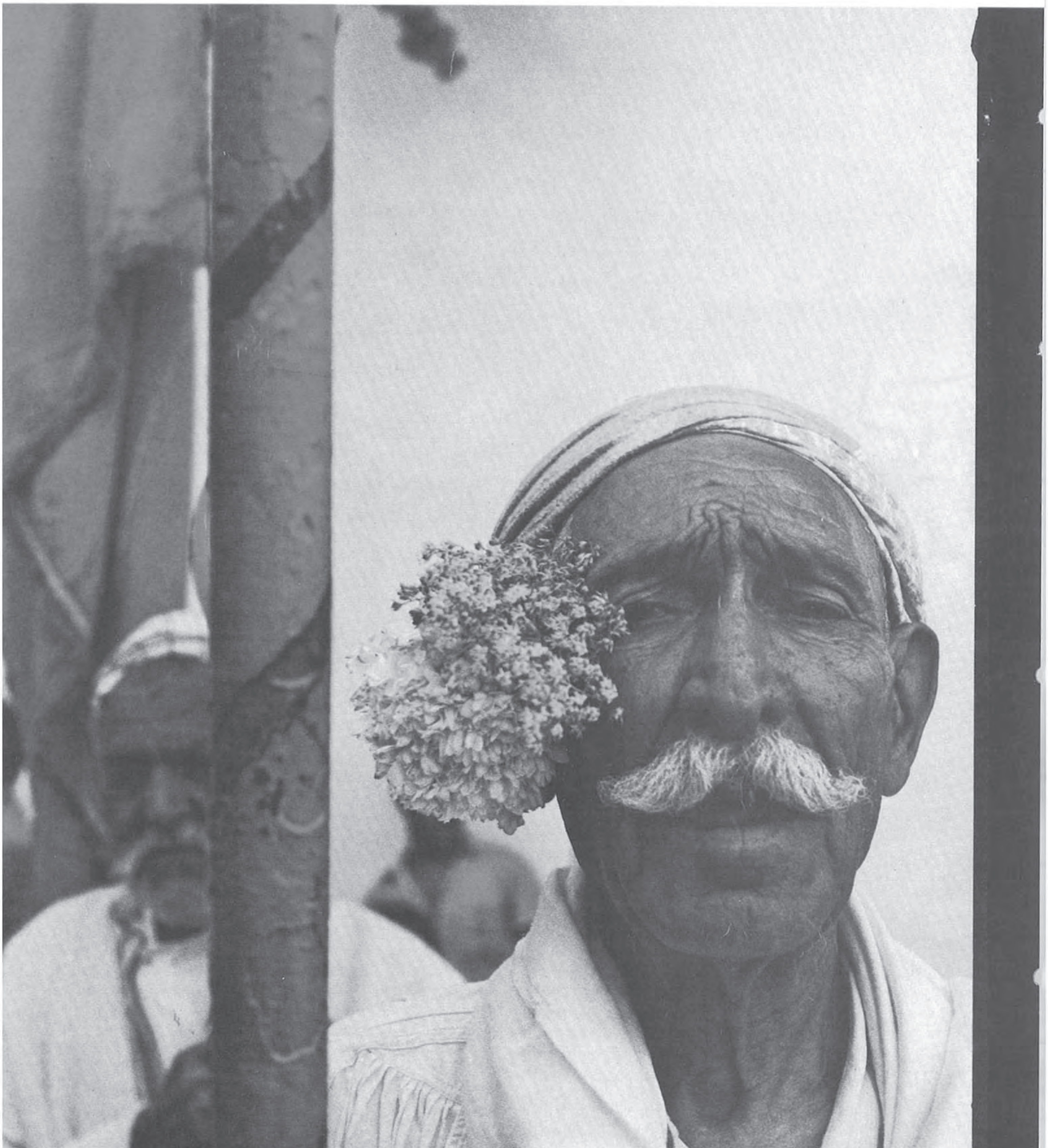
ويرجع تاريخ المنطقة الى عام ٨١٤ قبل الميلاد، حين أرادت الملكة «**اليسا**» التي يسميها «**فرجيل**» «**ديدون**» – أن تنعم بحبها أو تموت من اجله .. وبعدها تعرضت المنطقة للغزو الروماني ثم الى الغزو التتري في عام ٤٣٩ الميلادي ثم الى الغزو البيزنطي في عام ٥٣٣ثم الى الفتح العربي في عام ٦٩٨ على يدي **الأمير حسن بن النعمان** ..

ولكن المنطقة وعلى رأسها «**سيدي بو سعيد**» تعلمت كيف تواجه الغزوات بعد ذلك، فنجحت في التصدي لحملة الملك «**لويس التاسع**» الفرنسي في عام ١٢٧٠، ومن بعده «**شارل كنت**» الاسباني في عام ١٥٣٥ .. الا ان الامبراطورية العثمانية باسم الاسلام وفي مواجهة الصليبيين، جعلت من المنطقة في عام ١٥٧٤ ولاية عثمانية .. وعندما انشأ **حسين بن علي تركي** في عام ١٧٠٥ المملكة الحسينية، ظلت «**سيدي بو سعيد**» منطقة عسكرية حتى القرن التاسع عشر .. ولكن القرية الصغيرة ظلت محتفظة بروحها ورحيقها حتى انتزعت حريتها ونالت استقلالها.

اسم القرية

بين البحر والجبل اذن تقع هضبة «**سيدي بو سعيد**» في دائرة ترتفع وتمتد الى مائة كيلومتر .. وهذا معناه أن تكف عن التفكير، فالعالم يفكر من اجلك، وعليك ان تسلم نفسك له، وان تتقبل بنفس راضية سعادة أن تكون حلما في حقيقة جميلة .. لك أن تتخيل الخليج تحت ضوء القمر ثم تتخيله وقت الاصيل، مرة حين يصدح العندليب وأخرى حين يغرد الكناريا .. وتشعر بالهدوء وأنت جالس في «**مقهى الحصائر**» الشهير، تشرب الشاي والماء المثلج ثم تهبط درجات سلم شيدته الطبيعة ليصل الى مسجد «**سيدي بو سعيد الباجي**» أبو القرية الروحي قبل رحيله وبعد أن رحل، وواحد من مريدي الصوفي الأكبر «**أبو مادين**» المتوفي عام ١١٩٧ والذي عاش طويلا في تونس، يستقبل أئمة الصوفية من دمشق وبغداد وعواصم الشرق الاوسط وشمال افريقيا ..

وقد اعتاد اهل القرية الذهاب الى مسجد «**سيدي بوسعيد**» **في المناسبات الدينية بل وفي الايام العادية وخاصة يوم الجمعة،**

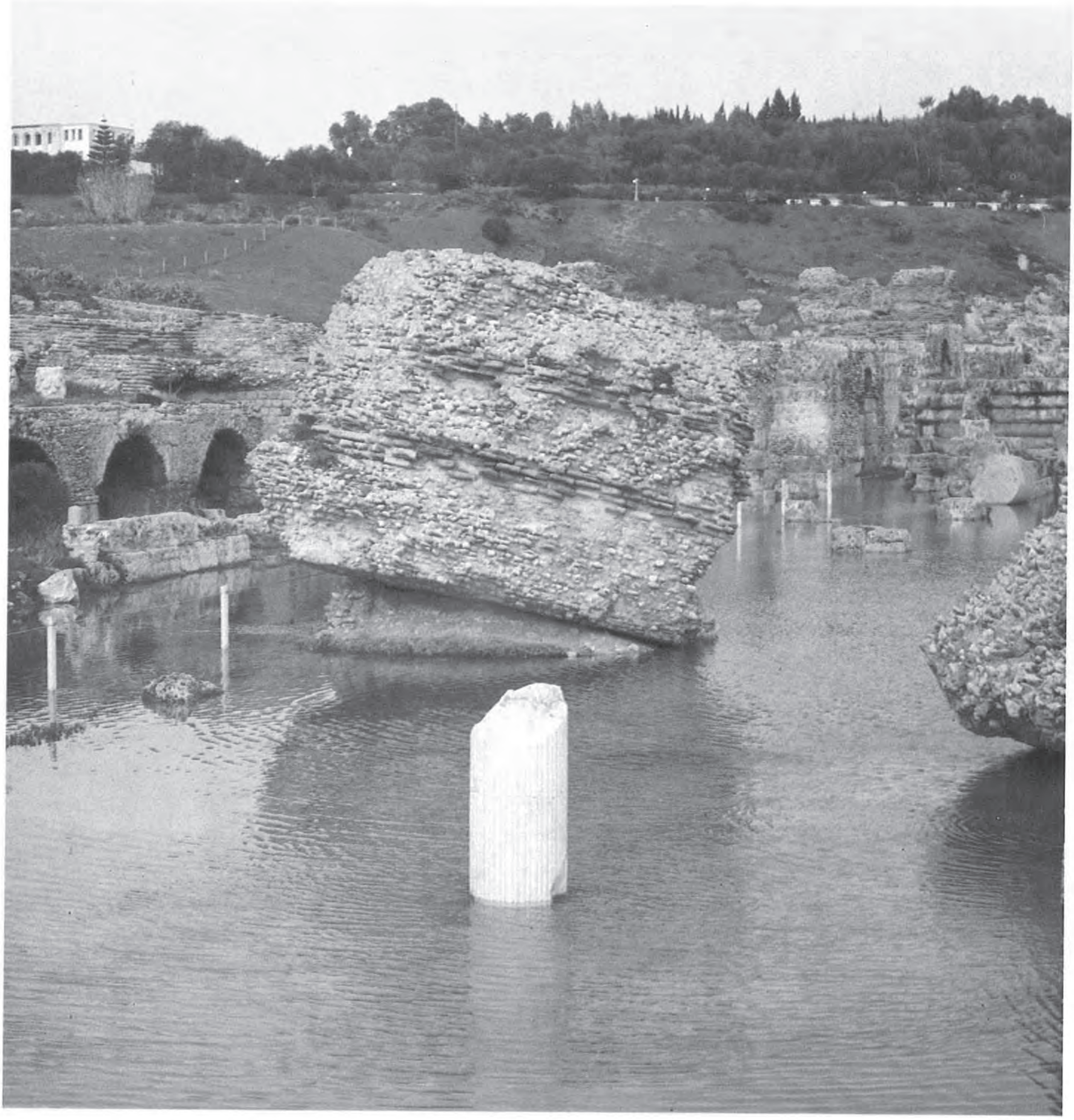




مواطن من سيدي بو سعيد في بيته

يؤدون الصلاة، فهم مؤمنون بالله سبحانه وتعالى، وهو الحق وهو المصير.. ولذلك عرف اهل القرية بأنهم ممن، أمسكوا بالسلاح في يد وأمسكوا بالسبحة في اليد الأخرى، حتى في ساعات القتال الضاري، ولا غرابة بعد ذلك في خلو القرية – السياحية – من أي أماكن للملذات مثل «**علب الليل**» أو «**الملاهي**» وما الى ذلك.. أما تاريخ وفاة «**الشيخ**» أو «**سيدي بو سعيد**» الذي سميت القرية باسمه، فيرجع الى عام ١٢٣٦ وهو في السابعة والسبعين من عمره ..

وغير «**سيدي بو سعيد**» تحفل القرية بأولياء لهم مكانتهم عند مواطني المنطقة كلها مثل «**سيدي شبريني**»، وأبو فارس الصقالي تلميذ «سيدي بو سعيد» ومساعده الخاص، ثم «**سيدي عزيزي**» .. الذي كان أسود اللون لا يحب الأجانب وخاصة



«قرطاج»

غير المسلمين .. وله مواقف كثيرة في ردهم عن زيارة القرية وبالذات زيارة «**سيدي بو سعيد**».. فيحكى أن مجموعة من الأجانب أخذت تطوف بالمدينة حتى وصلت الى القرية فتصدى لها «**سيدي عزيزي**» وصاح بأعلى صوته أن يعودوا من حيث أتوا .. وعادت المجموعة بالفعل في نفس اليوم.

ساحرة هي القصور والمنازل!

تسمح لك «**سيدي بو سعيد**» بالاستغراق في الاحلام، وخاصة اذا اتيح لك ان تقيم باحد منازلها خلال فترة الزيارة .. فمن اي نافذة يمكنك ان تطل على معالم القرية، وان ترى على البعد هضبة «**قرطاج**» ..أما المنزل على بساطته فيعطيك



الإحساس بأنك في قصر مسحور، ويدفعك الى الشعور بالزهو، ويجبرك على التعامل معه وكأنه انسان لما له من شخصية، وشخصية متميزة.. وأبرز ملامح المنزل البوسعيدي سقفه المغطى البارز، ومشربياته وجدرانه وألوانه والأخشاب النادرة المستخدمة في تشييده – ولا نقول بناءه – ثم موقعه وسط الحدائق بمساحاتها الشاسعة وأزهارها اليانعة وفواكهها الناضجة.. وأهم من ذلك كله، وحدة الشكل التي تجمع كل المنازل بحيث لا يسمح أي مالك لنفسه بإجراء أي تعديل أو ادخال أي تجديد..

وقد انشئت هذه المنازل بحيث تفيد من الشمس والهواء، ثم من الظل والضوء، صيفا وشتاء، بالقدر المستحب والمحسوب، تماما مثل فكرة تصميم الاهرامات بنظرياتها الهندسية والمعمارية المتطورة وبسحرها وأسرارها أيضا..

وقد شيدت أولى مقار للأمراء في القرن التاسع عشر، على مسافة بعيدة من مسجد بو سعيد، ثم اخذت تزحف نحو قلب القرية وحول المسجد.. وشيد **محمود بك** بين عامي (١٨١٤ – ١٨٢٤) قصره المسمى بدار «**صامور**».. وكان الحرس والحاشية يقيمون في قصور الأمراء، بينما يكتفي أعيان القرية باستضافة الزوار في منازلهم، ويعدون لهم حفلات الاستقبال.. وكانت «**سيدي بو سعيد**» لاتسكن الا في فصل الصيف، بدءا من منتصف شهر اغسطس، وتظل خالية موحشة طوال اشهر السنة غير الصيفية، الا أن الاستعدادات الخاصة بفصل الشتاء، جعلت من القرية مكانا رائعا للسكنى الدائمة طوال العام..

وقد وصف اكثر من مؤرخ ورحالة عملية «**الصعود**»، الى هضبة «**سيدي بو سعيد**» فكانت السيدات يصعدن بالعربة ذات الستائر المسدلة، بينما السادة يصعدون على ظهور الجياد او البغال



السلالم المؤدية الى مقهى الحصائر
وجماعة الحج الدينية تحمل مبخرة

.. أما الحاشية والحرس فتحملهم عربات أخرى أو يصعدون على اقدامهم، وهم يجرون عربات المؤن وسط الغناء والصياح والصخب، كأنه يوم من أيام الاعياد المختلفة..

ويلحظ الزائر لأول وهلة نوعين من البناء النموذجي للقرية، الأول على شكل مربع والاخر على شكل مستطيل .. وكل بناء يشيد بالضرورة حول فناء متسع ومثير، حيث تطل كل الغرف والقاعات على هذا الفناء.. اما تزيين الجدران الخارجية فيعتمد على مربعات السيراميك وقطع الرخام وألواح الخشب.. وكل فناء لا بد وأن يضم في منتصفه نافورة تتقيد بالشكل العربي..

أما الاثرياء فقد كانوا يغطون ارضيات الغرف بالسجاد الفاخر المستورد من بلاد الفرس او ايران، وكان الحاضرون يضطرون لخلع احذيتهم عند مدخل البيت حفاظا على نظافة

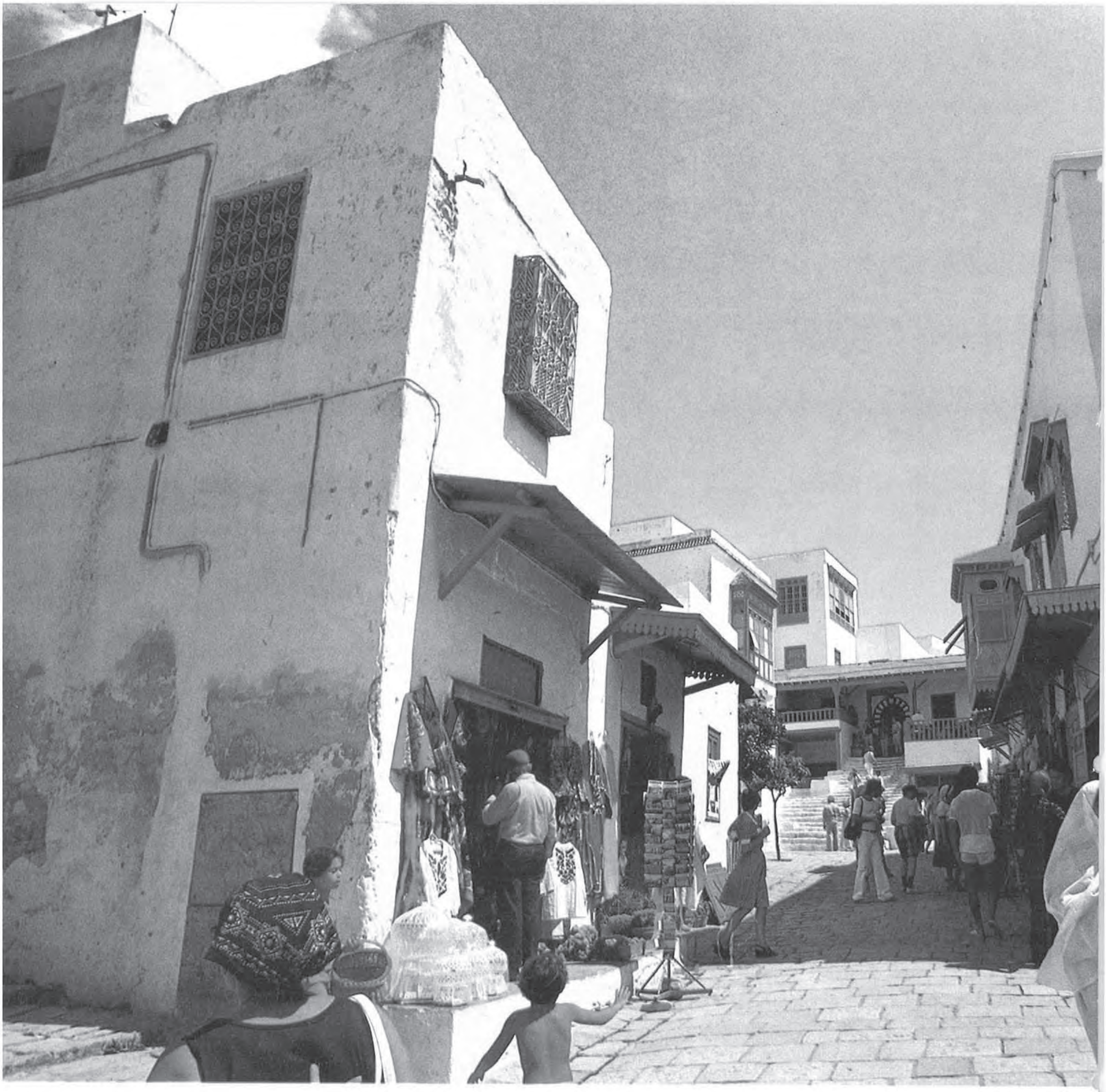




هذا السجاد النادر.. اما الجدران فقد كانت تغطى هي الأخرى بالسجاد القطيفة المستورد من دمشق.

وقبل ان تدخل الكهرباء الى القرية كانوا يعتمدون على الاضاءة الطبيعية المتسللة من النوافذ..

وتخرج من البيت بعد أن تنال قسطا من الراحة والمتعة لتلتقي مباشرة بالسماء والبحر والخضرة، فتشعر أنك قد تحررت نهائيا والى الأبد من قيود حياتك اليومية والمستقبلية، ولكنك لم تنس مع ذلك أن قرية «**سيدي بو سعيد**» بمنازلها المشيدة، التي



لا تقل سحرا عن الطبيعة ان لم تنافسها، انما تخلد فضل الهندسة المعمارية مثلما هو خالد الشعر العمودي..

بديعة هي الينابيع والأحواض!

كم هو موحي ذلك «**السبيل**» يقدم الارض بخلودها وجمالها أيضا، ينبوعا كان أو حوضا من أحواض الماء والزهور.. فالينابيع قطع من الحجارة تدعوك الى الدخول في اعماقها بنظراتك والاحواض قطع من المرمر تقتحم هي نظراتك.. وفيها جميعا تجري المياه وترقد وتقفز وتتوقف، كما لوكانت مجموعة متناغمة من أصوات الموسيقى او جماعة متحابة من الصغار، فالماء هو النقاء وهو الطفولة، و«**سيدي بو سعيد**» لا تخلو من الماء في كل شبر فيها.

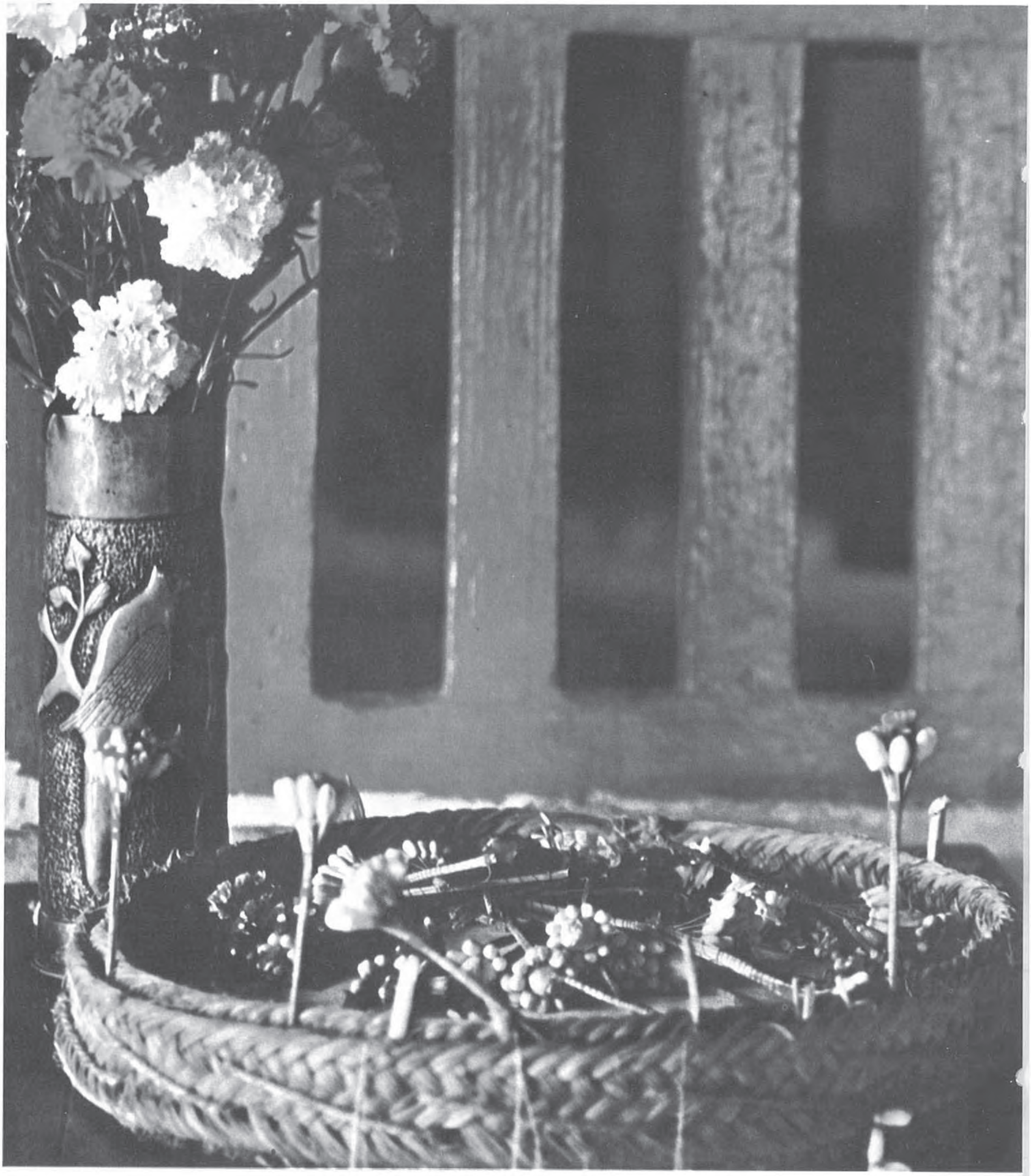
ويحمل كل سبيل اسم مكتشفه او مشيده، في القرية«**سبيل يوسف**» و«**سبيل كايت**» على سبيل المثال، بالاضافة الى «**الينابيع**» و«**النافورات**» الطبيعية.. وكأن –



بائع الياسمين

الطبيعة قد ارادت ان تحيط نفسها بالمياه العذبة اسفل الهضبة واعلاها، لكي تنال لقب «**قرية المياه العذبة**» حيث تختلف مياه الينابيع ومياه الامطار عن كل مياه اخرى..

ومع هذا فقد عرفت القرية في القديم وأيضا في العصر الحديث «**السقا**» الذي ينقل المياه الى البيوت والذي يطوف في الشوارع ليسقي المارة .. وعلى قارعة «**السبيل**» يضع اصحاب المنازل امام منازلهم بعض الأزيار والقلل .. والميسرون منهم يحتفظون بخزان — داخل فناء المنزل او بصهريج على السطح، ثم يمدون ماسورة من الخزان أو الصهريج لتصل خارج المنزل، مخترقة جدار المدخل، ومنتهية بما يسمى «**البزبوز**» ليشرب منه

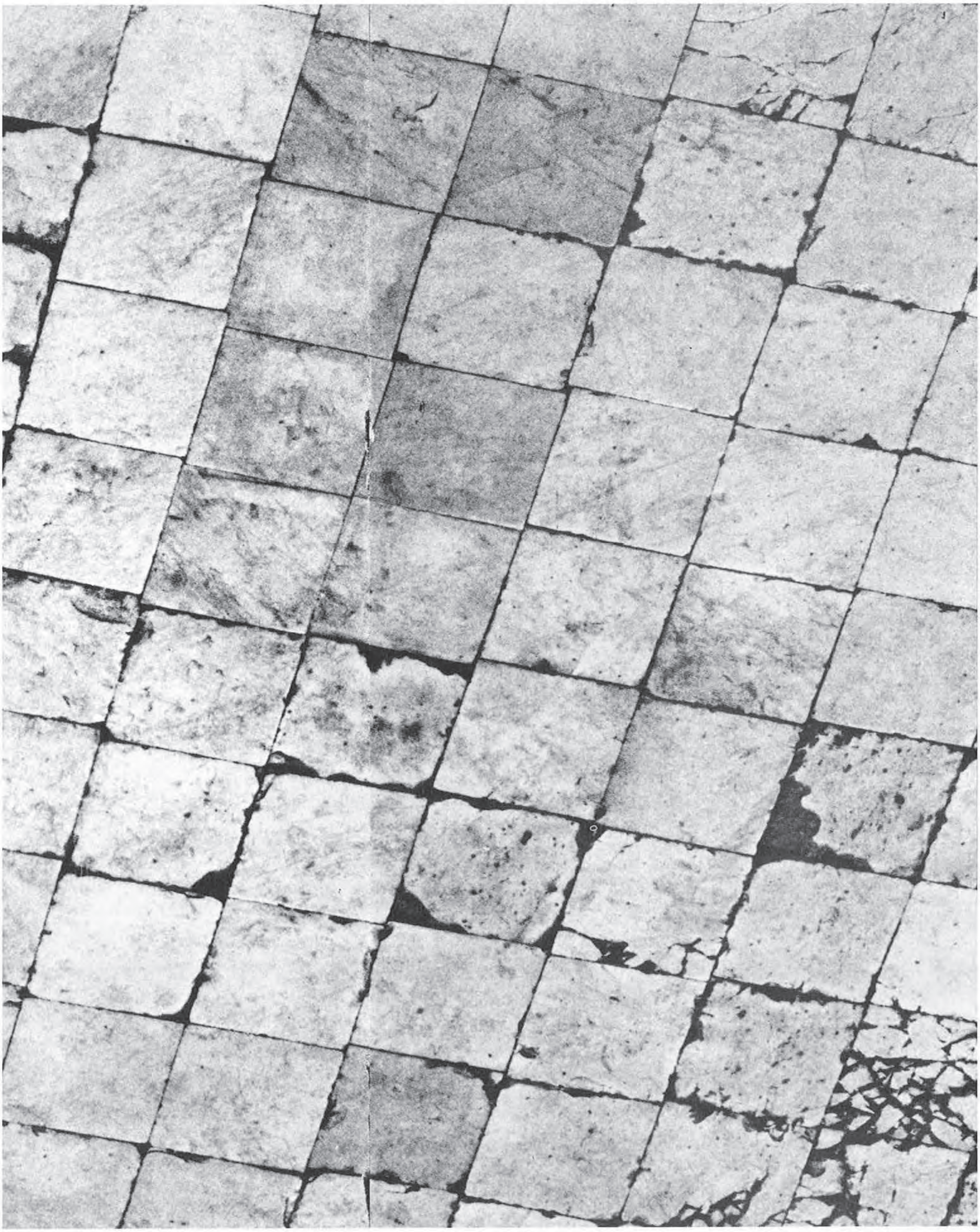


عابرو السبيل.

وهكذا تمحى كلمة العطش من قرية «بوسعيد» .. ولهذا لا يعرف أهل القرية ولا زوارها معنى «العطش».

الفنار تضيء المقبرة

وما أن تعبر القرية متجها نحو الفنار حتى تجد انه لزاما عليك أن تتوقف، فأنت الآن في القمة.. قد يبدو الفنار متواضعا ولكن لا تتسرع في الحكم، فهو تراث قبل ان يكون مرشدا



عصريا، وهو سيد البحر الشاسع يحكمه ويتحكم فيه، **ويظل شامخا كالتاريخ .. يسجل احداث التاريخ**..

انظر الى قاعدته الصلبة، مربع عرضه ثلاثون مترا وطوله ستون مترا، ويرى من جميع الجهات .. ويرجع بعض المؤرخين، منشأ الفنار ذاته الى عصر الرومان، حين كانت المنطقة تسمى باسمه قبل ان تسمى باسم شيخها .. كان الاسم هو «**جبل الفنارة**» **أو** «**جبل المرسى**»..

أما تاريخ تجديد الفنار في العصر الحديث فيرجع الى عام ١٨٤٠ حيث بدأ العمل الذي انتهى في عام ١٨٦٠.

وقد شهد الفنار مراكب وأساطيل الرومان والبيزنطيين والعرب والأسبان والاتراك والفرنسيين، ولكنه ظل تونسيا وبل بو سعيديا .. وعلى بعد خطوات من الفنار تقع المقبرة او منطقة المقابر .. تحيط بها الورود والرياحين..

وتتحرك قليلا فتصل الى الميناء، حيث المياه تداعب الأعشاب وتصارع الصخور فتسمع اصواتا تجمع بين القوة والضعف، او بين العنف واللين، أو قل بين الحياة والموت والحياة.



سيمفونية الألوان الألف

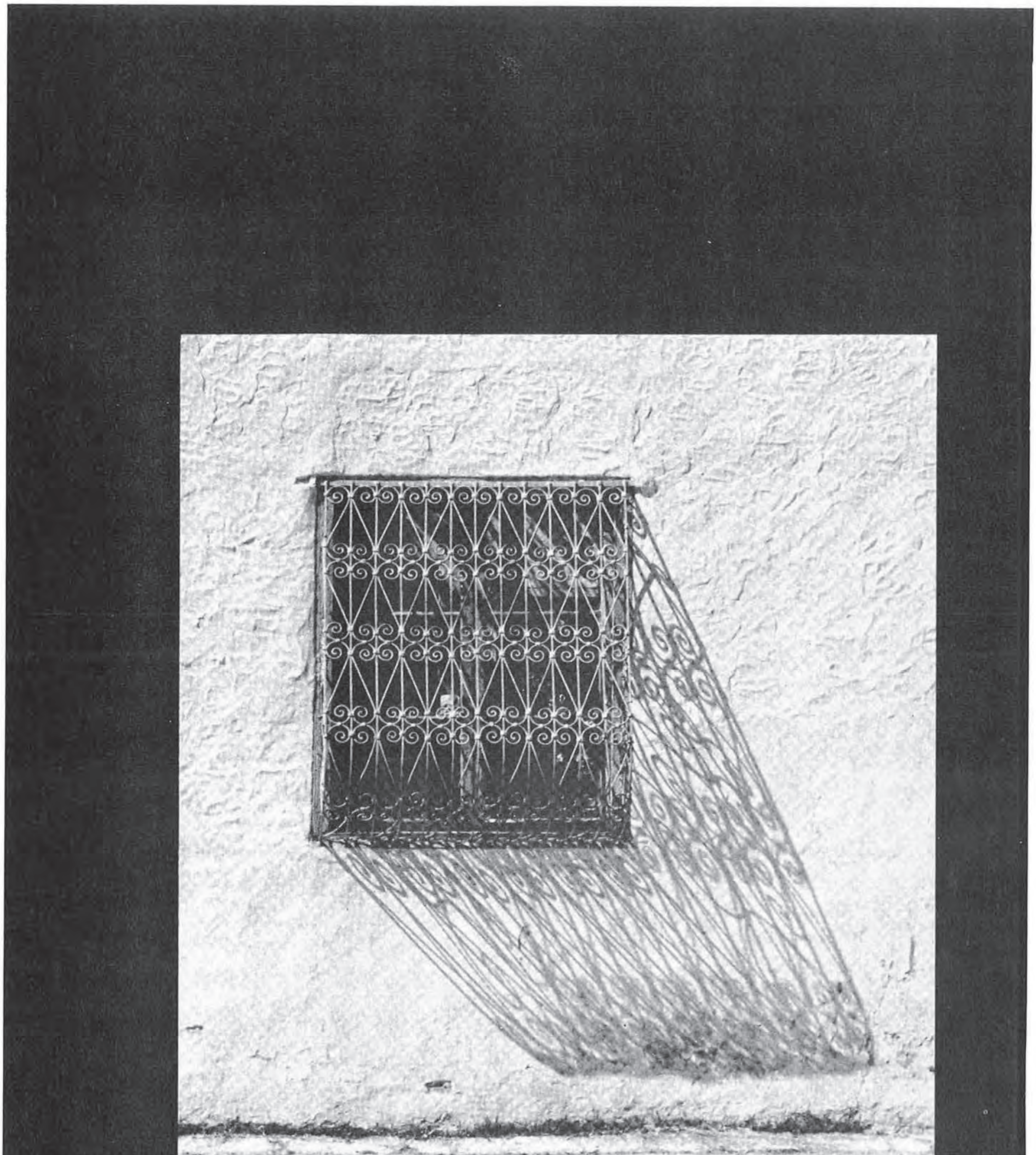
هل رأيت اللون الأبيض وهو يكتسب صفات اخرى غير البياض على مدار الليل والنهار؟ لاشك انك ستلاحظ هذا «**التغيير**» اذا زرت قرية بو سعيد، فاللون الابيض هو الغالب عليها، ولكنه اكثر الالوان استجابة لحالة القرية الطقسية، وأكثرها تعبيرا عن جوها العام. ففي الشروق يكتسب زرقة من بقايا الليل .. وفي الغروب تعلق به صفرة الشمس الذهبية، وفي الليالي القمرية يعكس الضوء الأبيض، فيشتد بياضه، ويزداد



نصاعة وقد مسح الوجه الوردي المتمسك به منذ الصباح..

ويقال ان الأبيض ليس لونا .. ألم تجد أن له ألف لون؟

ويجيء اللون الأزرق ليكمل الصورة، ويكسب اللون الأبيض بريقه ورونقه .. فالأبواب والنوافذ ترد على السماء والبحر، الكل يسبح في الزرقة وهو يحمل في أطرافه وعلى جنباته بياض الأبيض.. وهما معا الأبيض والأزرق لونا الهدوء والسكينة والراحة، ولكي تكتمل سيمفونية الألوان في «**سيدي بو سعيد**» يبرز اللون الأحمر (الأوكر) الذي يكتسب اصفرارا ورديا مع وهج الشمس المشعة، ويكسبه الليل الدامس رمادية لا تخلو من الوردية..



نافذة مغطاة بالحديد

وهكذا تبدو القرية لوحة تشكيلية بالالوان الطبيعية أو هي سيمفونية صامتة من الألوان .. مع ان الالوان فيها تتكلم.

وأيضاً سيمفونية الزهور

وكما تتميز «**سيدي بو سعيد**» بسحر الالوان التي تكسو الأبنية والاحجار والسماء والارض والبحر وايضا ملابس النساء والرجال، تتميز «**سيدي بو سعيد**» بتنوع الزهور والورود والرياحين التي تعكس هي الاخرى اصرخ الألوان.

تخرج النساء في الصباح الباكر قبل ان تهبط حرارة الشمس على القرية، **يجمعن الزهور التي تباع مع الخبز كما الخبز** .. في

كل مكان، في البيوت او في الحوانيت، في المقاهي او في المساجد، في المقابر او في وسائل النقل تصافحك باقة ملونة من الزهور .. وفي القرية يتحدثون عن «**فن تنسيق الزهور**» كما يتحدث الصائغ عن «**فن صياغة الحلي من الذهب الخالص**»

.. ولعل هذا هو ما جذب الشاعر الفرنسي «**بول ايلوار**» الذي شبه القرية بإحدى لوحات «**موندريان**» او بلوحاته جميعا، ولعل هذا ايضا هو ما جذب المصور الفرنسي الكبير «**بول كلي**» الى نقل القرية الى لوحاته..

الزكية، من الطبيعي ان تبرع في صناعة «**استخراج العطور**»، وقد تخصصت في استخراج عطر الياسمين بصفة خاصة.

وتبقى الموسيقى .. غير السيمفونية

بعد الالوان والزهور ومن قبلها الاضواء والمياه تجئ الموسيقى .. ولكنها الموسيقى المغربية الأصيلة بلا امتزاج ولا اختلاط .. والموسيقى في «**قرية بو سعيد**» تضفي السعادة وتكمل صورتها



إثنان من مواطني القرية

وقرية تضم كل هذه الزهور، من الطبيعي ان تفوح منها رائحة زكية او تتحول هي الى زجاجة عطر مفتوحة دائما، او الى سائل من العطر المركز نفذ من زجاجة وملأ الارض والجو معا!

وقرية تشم في كل لحظة ومع كل نسمة تلك الروائح

والاحساس بها .. تسمعها في الميادين والساحات والطرقات، وعلى المقاهي وداخل البيوت وقاعات المساجد، وفي الحقول وعلى شاطئ البحر.

ويرجع الاهتمام بالموسيقى الى القرن الرابع عشر، عندما



بيت من القرية،



سطح مقهى

حول فنجان القهوة



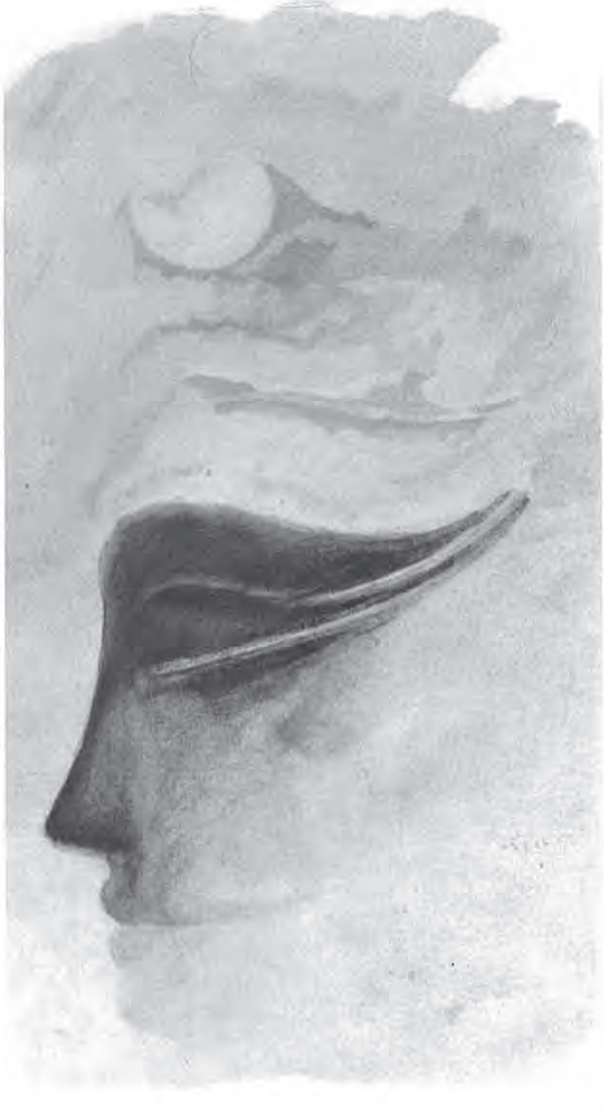
البئر وحلقاته أربع

استخدمها «**سيدي دريف**» في حلقات الذكر، ثم الى القرن الثامن عشر عندما كان «**البكوات**» يدعون العازفين والموسيقيين ليصحبوا الشعراء في «**جلسات السمر**» و«**أعياد المديح**» .. وبرز من بين هؤلاء الموسيقيين من وضعوا موسيقى خاصة، كما برز من بين هؤلاء الشعراء من اتقنوا الأداء او «الغناء» .. وكانت معظم الآلات الشرقية المعروفة للآن تستخدم في العزف، العود والناي والربابة والرق والطار والطبلة او الدربكة..

ولك ان تتخيل وسط هذا كله مدى «**السعادة**» النابعة من الهدوء و«**الطمأنينة**» و«راحة البال» التي يعيش فيها اهل «بو سعيد» وزوارهم ايضا .. فالإنسان في «**قرية بوسعيد**» يمتع كل حواسه، **العين ترى الجمال، والاذن تسمع الانغام، والانف تشم رائحة الزهور والعطور، واللسان يتذوق اشهى الفواكه والطعام، واليد تلمس الطبيعة وافخر منتجات الحياة..**

أعيذك

شعر
احمد الصالح
(مسافر)



حلولكِ .. في قلبي .. وبوح مشاعري
وفي النبضِ كم تأتينَ .. نفثة ساحرِ
سَرَتْ بي .. الى دنياكِ .. عينٌ بصيرةٌ
وتأبى الليالي .. أن تكوني .. مُسَامِري
نهابُ الهوى .. أن يَنْشُرَ الشوقَ بيننا
ونخفي حديثَ الحبِّ .. عن سمعِ عابرِ

* * *

أعيذُكِ .. من إثْمِ الصُدودِ وظُلْمِهِ
ومن رحلةِ النسيانِ .. عبر مشاعري
أعيذُكِ .. أن يغتالَ ظَنُكِ .. طيبَتي
ومثلكِ في سمعي .. وانسان ناظري
إليكِ الحروفُ الخافقات .. بأضلعي
تناهت معانيها .. فَضَجَّتْ بخاطري

* * *

لعينيكِ .. عُتْبى العاشقينَ وعشقهم
وكم جئتِ في بالي .. قصيدة شاعرِ
قرأتُكِ ياأحْلَى السّطورِ .. فما انتهت
حكاياتُ أهدابٍ .. لها كيدُ فاجرِ
نكأتِ الجراح الذابلات .. فلم أزَلْ
أعيشُ الهوى جُرحاً وأشقَى بآخرِ

* * *

يُوَسْوِسُ ليلُ الانتظارِ .. مخاوفي
ويومِضُ في لَيْلِ اللقاءاتِ سامري
تعالـي ؟!
كما تأتي الاحاديثُ بيننا
تعالـي ؟!
فما كَانَ الهوى .. أنْ تحاذري

نحو دار نشر عربية إسلامية

اشترك في الندوة :

الأستاذ الشاذلي القليبي - تونس

د. أحمد محمد الضبيب - السعودية

د. مصطفى محمود - مصر

الأستاذ عبدالله الحصين - السعودية

الأستاذ نجيب محفوظ - مصر

د. محمد علي مختار - السودان

د. رشاد رشدي - مصر

الأستاذ ثروت أباظة - مصر

د. محمد سعيد صديقي - السعودية



الشاذلي القليبي

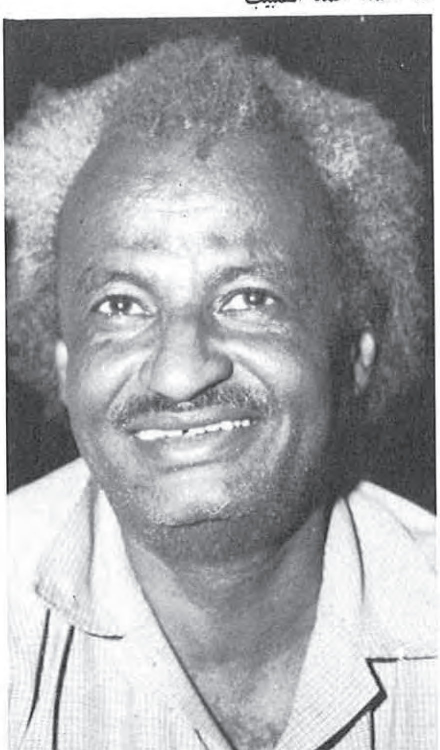


د. أحمد محمد الضبيب



د. مصطفى محمود





د. محمد علي مختار



د. رشاد رشدي



الأستاذ عبدالله الحصين

انطلاقا من ايمان هذه المجلة بجدوى الحوار الجاد .. وفعالية المناقشات الايجابية من منظور علمي .. وطرح موضوعي .. حول اية قضية من القضايا المتعلقة بالفكر .. والثقافة .. واعمال الانسان العربي المسلم الذهنية الاخرى التي تمثل مساهمتنا في ميراث الانسانية .. وحضارتها .. خاصة تلك القضايا القائم نشاطها على مشروع ينهض بها .. ويكفل لها الاستمرارية .. والديمومة .. كما يحقق النتائج المصحوبة بالايجابيات الجيدة التي تخدم القضية.

ولان الكتاب يمثل احدى الرئات التي تتنفس منها ابداعات الانسان الذهنية فان العناية به .. وتركيز اهتمامنا ابتداء بايجاد الحلول الملائمة للمشاكل المحيطة به والتي تحول دون نموه وانتشاره .. وتذليل العقبات التي تقف امامه معناه الرغبة الصادقة في الحفاظ على هذه الرئة سليمة نقية.

لهذا فقد طرحت المجلة قضية الكتاب العربي على مائدة الحوار من خلال فكرة (انشاء دار نشر عربية اسلامية كبرى) تسعى الى وضع حلول تسهم في خدمة الكتاب العربي تأليفا .. وترجمة .. وتوزيعا .. بشكل حضاري جيد ومؤثر يتسم بروح العصر ومعطياته في مجال التقنية الحديثة .. كما تسعى الى اقامة جسر فكري سليم بيننا وبين عالم الفكر الانساني .. جسر يرفد فكرنا المعاصر بثمار الفكر الانساني الجيد .. هذا الى جانب اسهامها في تخفيف المعاناة التي يلاقيها المؤلف.



الأستاذ ثروت أباظة



محمد سعيد الصديقي

نجاح المشروع مشروط

اثناء زيارة بعثة مجلة الفيصل للمغرب العربي اجرت عددا من اللقاءات الفكرية مع بعض من ادبائها والمسؤولين فيها عن شؤون الثقافة تناولت العديد من الامور الفكرية والثقافية .. من بينها لقاء مع معالي السيد الشاذلي القليبي وزير الشؤون الثقافية التونسية – سوف يطالعه القارئ في احد اعداد هذه المجلة القادمة –.

وقد ناقشت المجلة مع معاليه في هذا اللقاء جوانب فكرة المشروع باقتضاب بحكم مشاغله الكثيرة والتزاماته المتعددة .. وكان رأي معاليه في المشروع يتضمن التالي:

«اذا ما تم الايفاء بالشروط التي اشرنا اليها آنفا. فان قيام دار عربية تعني بالنشر والتوزيع في نطاق الفضاء الاقتصادي العربي لاشك انه من اهم ما يتطلع اليه للنهوض بالثقافة العربية.

ولكن نجاح هذا المشروع متوقف على امور منها:

- ضمان خبرات فائقة للتخطيط الاقتصادي.
- التنظيم الاداري
- انتخاب المؤلفات المنشورة دون هوادة او ضعف..»

الدار: يجب أن تكون هيئة مركزية

وتأتي اجابة **الدكتور احمد محمد الضبيب** الناقد السعودي وعميد المكتبات بجامعة الرياض مستفيضة، تناولت جوانب الفكرة بكل أبعادها اذ يقول:

١–ان وجود جهاز عربي عام يتولى نشر الكتاب العربي وتسويقه عربيا وعالميا أمر على غاية من الأهمية. بل أمنية يتطلع اليها كل من له صلة بصناعة الكتاب والنشر. ان من أهم العوائق التي تقف امام الكتاب العربي وتحول دون وصوله الى أيدي القارئ سوء التوزيع ومحليته. فدور النشر والتوزيع العربية الحالية قاصرة بوسائلها المحدودة عن مجاراة التطور السريع الذي يحدث في صناعة الكتاب. بل انها قاصرة ايضا في اداء الخدمات الروتينية العادية التي يتطلبها توزيع الكتاب وما يتبع ذلك من امور فنية وادارية. واذا كان لهذه الامنية ان تتحقق فاني اتصور هذا الجهاز هيئة مركزية تكون همزة وصل بين الناشرين العرب في مختلف البلاد العربية. فتستقبل جميع ما ينشر بواسطة هذه الدور لتقوم بتسويقه في مكتبات البلدان العربية التي لم ينشر فيها الكتاب. وربما كان من المناسب ان يكون لهذه الهيئة مكتب في كل عاصمة عربية يشرف على شئون توزيع الكتب في الدولة التي يوجد بها ويستقي المعلومات عن الكتب الصادرة حديثا. ويرتب امر ارسالها الى المركز الرئيسي او المكاتب الفرعية. اما بالنسبة لتسويق الكتاب العربي عالميا فاني ارى ان يتفق هذا الجهاز مع بعض دور النشر العالمية للقيام بهذه المهمة.

٢–اذا كان لابد من وجود مقياس نختار بواسطته المواد الموزعة فاني ارى ان تكون الجودة في الموضوع هي الاساس وليس الجدوى الاقتصادية لتوزيع الكتاب. ان التفكير في مدى امكانية ما يغله الكتاب من ربح لدار النشر هو امر غير وارد في حالة تكوين هذا الجهاز بل انه ضار في الحقيقة بالنسبة للكتب العلمية والمتخصصة التي لا يقبل عليها الناشرون الحاليون بزعم عدم توفر العدد الكافي من القراء. ان هذا الجهاز المقترح يجب ان يكون من القوة والقدرة بحيث يوزع جميع انواع الكتب والمواد العلمية حتى تلك التي تعالج موضوعات دقيقة في فروع العلم المختلفة وخاصة اذا تذكرنا العدد الضخم من الجامعات والمراكز العلمية الذي ينتشر في رقعتنا العربية ولذلك فان جودة المادة الى جانب التزام الناحية الموضوعية. والاعتدال في طرح الافكار موضع الجدل. والبعد عن كل عوامل الشقاق والهدم هو مطلب اساسي يجب ان نحرص عليه هذا الجهاز عند اختيار ما يوزعه في جميع البلدان العربية. واذا نجح

في ذلك فانه سيكون رابطة فكرية رائعة بين العرب تزيد من ترابطهم وتلاحمهم في زمن هم احوج ما يكونون فيه الى الترابط والتلاحم.

٣-ربما كان من المناسب ان يكون هذا الجهاز شركة مساهمة مشاعة اسهمها بين العرب في بلدانهم المختلفة. ولا بأس ان تتلقى هذه الشركة بعض الاعانات من الدول العربية. على ان لا تربطها هذه الاعانات بالروتين الحكومي المتبع في بعض هذه البلدان.

٤-ان اهم ما يميز الطبعة الشعبية هي رخص ثمنها وهذا يتأتى من الاقتصاد في نفقات الورق والتجليد وكثرة عدد النسخ المطبوعة. واذا نظرنا في كتبنا العربية بوجه عام وجدنا ان الورق في معظمها غير جيد وان التجليد لا يوجد الا نادرا. اما عدد النسخ فهو محدود. واذا استثنينا العامل الأخير فان الكتاب العربي بالمفهوم العالمي الآن هو كتاب شعبي. وان نشره بطريقة أردأ من هذه الطريقة هو انحطاط به الى ابعد الحدود.

واذا استطاع القائمون على الكتاب العربي ان يخففوا نفقات الطباعة عن طريق استخدام مطابع اكثر تطورا فانه بلاشك سيكون في متناول الجميع.

شركة مساهمة

ويدعو **الاستاذ نجيب محفوظ** الروائي العربي المصري الى ان يأتي تكوين الدار على شكل «**شركة مساهمة**» بتمويل سعودي، او بطرح أسهم يشترك فيها افراد من جميع البلدان العربية ويوضح وجهة نظره بقوله:

١- بالنسبة للنقطة الاولى .. كان المؤتمر الثقافي الذي اجتمع في عمان قد أوصى بانشاء شركة عربية لنشر الكتاب العربي وتوزيعه.

وارى انه من المفيد جدا ان تتصل مجلة الفيصل بوزراء الاعلام العرب المبدين استعدادهم لانشاء هذه الشركة.

وأرى انه من الممكن انشاء هذه الشركة بتمويل سعودي او بطرح اسهم يشترك فيها افراد من جميع البلدان العربية.

٢- لتجنب التكرار سواء فيما سيترجم او فيما سينشر ارى انه لابد من تكوين هيئة تمثل فيها وزارات الثقافة في العالم العربي .. وذلك لوضع خطة تشمل الآتي:

أ-نشر التراث.

ب-ترجمة الكتب الفكرية العالمية.

ج-توزيع الكتاب العربي في جميع البلاد العربية وحمايته من التزوير وذلك يكون بالاتصال المباشر بدور النشر والاتفاق معها على كيفية الحصول على مؤلفاتها والقيام بتوزيعها على جميع مكاتب مجلة الفيصل في البلاد العربية. وفي سبيل ذلك لا بأس من انشاء مركز للفيصل في كل عاصمة ليراقب التوزيع. وحركة النشر والطباعة في هذا البلد. وبحيث يعمل هذا المركز على توصيل الكتاب العربي الى كل قارئ عربي من المحيط الى الخليج.

٣- سبق ان تحدثت عن كيفية واسلوب التمويل ضمن الاجابة عن السؤال الاول.

٤- بالنسبة للطبعات الشعبية .. ارحب بها ولكن الهيئة التي اقترحتها هي التي من المفروض ان تبحث عن كتب التراث التي ستطبع كما هي في طبعات عادية والاخرى التي ستطبع طبعات شعبية.

مؤسسة عربية متحدة

ويشارك **الدكتور محمد علي مختار** عميد كلية الآداب بجامعة ام درمان الإسلامية في السودان برأيه في هذه الندوة قائلا:

«يمكن ان يتم تحقيق هذه الدار بتكوين مؤسسة عربية

متحدة تساهم فيها كل الدول العربية ويختار اعضاؤها من مؤسسات أو أجهزة متشابهة محلية في كل دولة وتقسم الى عدد من الإدارات أو الأقسام المتخصصة، اما فيما يختص بكيفية اختيار النماذج الأدبية الصالحة للطبع فأرى ان تكوّن لجان من أعضاء المؤسسة من ذوي الخبرة ويطلب من المجالس القومية للآداب والفنون أو ما يشابهها القيام باختيار النماذج المطلوبة عن طريق شعبها التخصصية.

أما اسلوب التمويل الذي يضمن الاستمرار والفعالية فيطلب من كل دولة مشتركة في المؤسسة ان تدفع اعانة حسب امكانياتها بصورة مستديمة.

وفيما يتعلق بفكرة الطبعات الشعبية لأهم الآثار الثقافية العربية فأقول: لكي تكون هناك طبعات شعبية لأهم الثقافات العربية فلابد ان تقوم على شكل مختصرات ومختارات ويراعى فيها ما يهم الشعب العربي جميعه من امور ثقافية وعلمية، وهذا امر مجرب فهناك مثلا اختصار جيد ومفيد جدا لكتاب الأغاني **لأبي الفرج الاصفهاني** في جزئين.

استبعاد علاقة الدار بالحكومات

ويأتي صوت **الدكتور رشاد رشدي** مدير اكاديمية الفنون من جمهورية مصر العربية مناديا بألا تكون الدار محكومة بروتين الحكومات ويرى:

١- أقترح ان تكون داراً عربية مشتركة تضم: المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي ومصر برؤوس اموال من هذه البلاد.
لكنها ليست داراً حكومية .. واقترح ان يكون مقرها السعودية او مصر.

٣.٢-اما مهام هذه الدار في رأيي فهي:
أ- البحث عن أفضل الاعمال في شتى ميادين الفكر والعلم والفن والادب والدين.
ب- تشكيل لجنة مشتركة من كل البلدان المؤسسة للدار ومن كبار مفكري عالمنا العربي لفحص الأعمال المختلفة المقدمة وابداء الرأي فيها لنشرها حسب خطة سنوية.

وبطبيعة الحال يتضمن هذا عمليات انتقاء دقيقة وبشكل موضوعي بعيد عن الاهواء الشخصية لافضل الاعمال وانفعها.

ج- تعمل هذه الدار على طبع هذه الاعمال ونشرها وتوزيعها بحيث يكون لها مراكز توزيع في كافة البلدان العربية وحيث توجد جاليات عربية في اي مكان على وجه الارض.

د- واعود فأقول انه من الافضل الا تكون هذه الدار داراً حكومية .. بل أهلية لان الدور الحكومية محكومة بميزانيات وروتين قد يقتل مشروعاً حيوياً كهذا.

٤- طبعا من الضروري تقديم طبعات شعبية لكتب اما حديثة نفدت طبعاتها العادية .. واما كتب من طبيعتها ان تكون شعبية فتقدم للقارئ في هذه الطبعات الشعبية .. واما كتب التراث القديم والحديث على حد سواء بحيث لا تتكلف كثيرا. وهذا لا يتعارض مع عمل سلاسل كسلاسل: الفكر الحديث والمسرح الحديث واعادة طبع الأعمال الكاملة من المسرح الاغريقي ومسرح عصر النهضة. واعادة طبع دواوين الشعر لشوقي والعقاد وناجي ورامي وجبران وغيرهم من شعراء العربية الفطاحل. بالاضافة الى ترجمة احدث الاعمال التي تمثل تيارات الفكر والادب والفن في العالم الحديث حتى نستطيع ان نلحق بالركب.

الصعب .. والسهل

ويدلي **الأستاذ عبدالله الحصين** المفكر السعودي ومدير تعليم جدة برأيه موضحا صعاب اقامة مثل هذا المشروع العربي الاسلامي الكبير من خلال تجارب سابقة قائلا:

في تصوري ان التفكير في ايجاد مؤسسة عربية تتولى بصفة عملية وبشخصية علمية جمع وتصنيف الفكر العربي وانتاج الادباء والمفكرين العرب لا يبدو سهلا للوهلة الاولى ..

ولكنه لا يبدو صعبا ايضا اذا وضعنا في الاعتبار قدرة المفكرين العرب على تجاوز التجارب التي مرت بها اكثر من مؤسسة عربية للنشر انتهت بعضها الى الافلاس او اتجه بعضها رغبة في الدعم المالي الى احدى الهويات العربية والمناخات السياسية المتأرجحة فأضاعت بذلك شخصيتها العلمية المحايدة والهدف من انشائها .. والامثلة يشهد بها واقع اكثر من مؤسسة نشر قامت وماتت او توقفت او ضاعت وسط ضباب كثيف

ولكي تولد مؤسسة عربية عالمية تهتم بالنشر والتعريف بالفكر العربي والمثقف العربي والثقافة العربية والاسلامية .. لابد من اعتراف سلفا بهذه المؤسسة بهويتها التي تتجاوز بها الحدود الثقافية المصطنعة.

ولكي نظل في صورة الواقع لخلفيات كثيرة تواجه المفكر العربي .. لابد ان نعترف بان كتابا ما لمؤلف عربي اذا كتب له ان يرى النور في بلد ما فانه قد لا يراه في بلد آخر وهذه حقيقة يجب ان نضعها في الحسبان ..

لهذا .. فان قيام اية مؤسسة من المؤسسات التجارية او الاقتصادية او الاتفاقات ذات الصبغة المحدودة قد تعيش في ضوء اهدافها ..

لكني اشعر بصعوبة استمرار مؤسسة عربية ذات سمات فكرية ما لم نضمن لها الحماية .. والحماية تعني اصدار نظام تعترف به جميع البلدان العربية والاسلامية والمؤسسات الفكرية في العالم.

لكي نحقق مع الحياة الكريمة للمؤلف العربي وللحرف العربي دوره في الوصول الى القارئ اينما كان بلغته العربية او مترجما.

اشعر باهمية دعوة نخبة من المؤلفين والادباء والمفكرين واصحاب دور النشر في البلاد العربية والاسلامية للتمهيد لوضع صياغة الفكرة.

ولكي ينطلق تكوين جهاز فكري عربي اسلامي .. لابد ان يستوحي طبيعة تكوينه من انسانية الفكرة وعالميته تبدأ بمؤسسة عامة من مجلس ادارة مدير عام ينتخب كل عامين ولجان فرعية تنبثق في كل دورة تخضع طبيعة العمل في هذه المؤسسة لنظام اساسي كما سبقت الاشارة اليه .. كما تخضع عضويتها لحصانة فكرية واعية تعترف السلطات العربية والاسلامية بعالمية هذه المؤسسة ونظامها وتتكفل اجهزة اعلامها بتسهيل مهمتها.

تكون ثلاث لجان من اعضاء الجمعية العمومية لاختيار النصوص او النماذج كلجنة القصة والرواية والمسرحية ولجنة الشعر ولجنة البحث العلمي والفكري على ان يوضع دائما في الاعتبار جودة النص وصلاحيته وقدرته على تعميق النفسية العربية وتطلعاتها وايمانها بالحق والخير والفضيلة دون ان تقف الاسماء اللامعة في وجه التطلعات الشابة التي تنتظر دورها في سلم العطاء والشهرة.

ولما كان التمويل من ابرز عناصر استمرار مثل هذه المؤسسة التي نشعر باهمية قيامها فانه لابد من مساهمة الدول العربية بتغطية ما لا يقل عن ٦٠٪ من ميزانيتها السنوية ويمكن في ضوء دراسة قدرتها سنويا ان تخفض هذه النسبة وفق ارتفاع دخلها وتحسن احوالها عاما بعد عام.

ونظرا لاهمية هذه المؤسسة التي ستتحمل في الغد مسئولية تحقيق الغذاء الروحي وتسهم في رفع نسبة القارئ العربي. فانه لابد من الاعتراف بان الترف في الطباعة وتقديم الكتاب المترف لم يكن في يوم من الايام طريقا لاشاعة الثقافة بين الجماهير العربية وخاصة محدودي الدخل ..

لهذا. فان فكرة اصدار الكتاب في طبعتين او ثلاث بحجم واحد واخراج واحد مع الاختلاف في التكاليف سيحقق لمحدودي الدخل من المثقفين المتعة والمتابعة والقراءة المستمرة.

الدار: يجب أن تكون هيئة مركزية

أما **الدكتور مصطفى محمود** المفكر المصري المعروف فيقول:

١-٢-أرى ان يباشر هذا الجهاز عمله عن طريق لجنة تشتمل على الاديب ورجل الدين ورجل العلم والناقد ويكونوا من جميع انحاء العالم العربي.

٣- لا أتصور مطلقا ان هناك مشكلة بالنسبة لتمويل مشروع يخرج من المملكة العربية السعودية. وعموما من الممكن ان يكون تمويلاً عربياً تشترك فيه عدة اقطار او تمويل مفرد تنفرد به السعودية.

وافضل ان يكون المشروع مفرد التمويل. وان تقوم به السعودية وحدها وذلك لان تعدد جهات التمويل يؤدي الى التعقيد ووجود اكثر من رأي واكثر من اتجاه.

٤- اوافق على فكرة الطبعات الشعبية للكتب الواسعة الانتشار والرواج.

وأهم ما أراه ولم يأت ضمن تساؤلاتكم هو المتعلق بجهاز التوزيع. فيجب ان تغطي مكاتب جهاز التوزيع كافة بلدان الوطن العربي والعالم بحيث يصل الكتاب في ٤٨ ساعة الى امريكا اللاتينية ويغمر جميع اسواق افريقيا.

وهذا هو اهم ما اراه كمؤلف لان النشر الفردي محدود القوة ولا يستطيع ان يوصل الكتاب الا الى السوق الداخلي. ويحتاج لعدة شهور حتى يعبر حواجز العملة الى الاقطار الاخرى.

ومن المفروض ان تترجم المؤلفات العربية وتعبر البحر لأوروبا. وتشمل الترجمات الكتب الجديدة في الدعوة الاسلامية.

ويجب ان نتساءل من الذي سيترجم؟ وكيف؟ لان تلك هي الوسيلة الوحيدة للخروج بالكتاب العربي عبر البحر الى اوروبا. والخروج بالدعوة الاسلامية من نطاقها المحدود الى كافة ارجاء العالم.

تشكيل لجنة عربية

أما **الأستاذ ثروت اباظة** الروائي المصري ورئيس القسم الأدبي بجريدة الاهرام فيقول:

«أرى ان تضم الدار اساتذة الجامعة المتخصصين في أدب التراث، وان تضم قصاصين على خبرة في فن القصة والرواية مع ملاحظة ان اساتذة الجامعة في هذا الميدان وجهة نظرهم نظرية لا تستطيع ان تكون صادقة في الحكم. فوجود القصاصين يتيح الفرصة لنشر القصص الجيدة والروايات الممتازة.

ونفس هذا الرأي اذهب اليه في الشعر، فيجب ان يكون بين هيئة التحرير شاعر ممتاز يحسن اختيار القصيد ويعرف نبضه ويعرف معاناة الشعر. وهذا جميعه لا يتوفر لأساتذة الجامعة».

ويتابع حديثه فيما يتعلق بقضية نشر كتب التراث عربياً.. وعالمياً:

«أتمنى ان يعاد نشر التراث، واضرب مثلا من الكتب الآتية:

الأغاني، البخلاء، لسان العرب، صهاريج اللؤلؤ، المحاسن والأضداد، وهذه امثلة على سبيل النماذج انما لاشك ان اساتذة الجامعة لهم باع طويل في اختيار هذه الكتب الى جانب نشر جميع الروايات لكبار الكتاب بأثمان معقولة حتى تتاح قراءتها للجميع.. ونشر دواوين الشعر لقمم الشعراء أمثال: **شوقي، والبحتري، وعزيز أباظة، وأبو العلاء، والمتنبي**..

ولا ننسى نشر الأدب الغربي الذي تعارف الناس على انه من التراث الضخم كأعمال: **بلزاك، مورياك، ديكنز، همنجواي**. فأعمالهم جميعا لو ترجمت وبيعت بأثمان معقولة يكون لها أثر ضخم. كما انه يمكن نشر الاعمال الحديثة لكبار الروائيين أمثال **شتاينبك، باسترناك، سولجنستين** وكل من هم على هذه الدرجة من الشهرة والقيمة الادبية مع نشر احدث الروايات في العالم الغربي مترجمة الى اللغة العربية حتى نكون على صلة بالأدب العالمي.

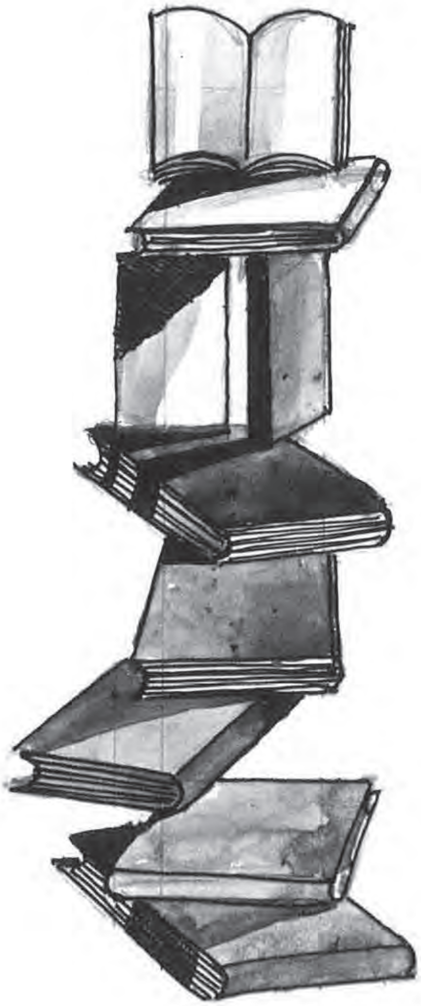
وأرى ان تشارك الجامعة العربية في تمويل هذا المشروع فهو مشروع قومي عربي يهدف الى تيسير الحصول على الكتب العربية في العالم العربي، ويقرب مناهل الثقافة الغربية الى الأدب العربي.

ولعل المشروع يستطيع اختيار بعض الكتب لكبار الكتاب العرب لترجمتها الى اللغات العربية الحية.

وبهذا تكون وظيفة الجامعة العربية داخلة في فوائد هذا

المشروع دخولاً عضوياً.

واؤكد على أهمية تقديم طبعات شعبية لأهم الاثار العربية ووجوب تنفيذه بل أرى ان يخصص بعض الموظفين لتسويق الكتب بالأسعار الزهيدة الى مكتبات المدارس في العالم العربي، والمكتبات العامة حتى يتيسر قراءتها لمن لا يملك ثمنها».



المبادرة يجب أن تأتي من السعودية

ويختتم **الدكتور محمد سعيد صديقي** ندوة «**نحو دار نشر عربية اسلامية**» برأيه في اقتضاب:

«هذه الفكرة واردة وجيدة وستكون حكومة المملكة العربية السعودية في البداية هي الممولة للمشروع ثم اذا استقام أمرها تمول نفسها بنفسها .. الى جانب تبرعات المواطنين الواعين الذين يشعرون بمسؤوليتهم. والمسؤولون في هذه الدار يجب ان يكونوا في مستوى المسؤولية وأنا شخصيا أود استبعاد اعمال الترجمة الا اذا وجدت المبررات القوية والأفضل ان تكون المختارات للنشر نابعة عن واقع المجتمع الاسلامي على انه يمكن طبع طبعات شعبية تكون في متناول ايدي عامة الناس».

تعقيب

كل الآراء التي وردت في هذه الندوة على اختلاف مناحيها واتجاهاتها تؤكد ضرورة قيام «دار نشر عربية اسلامية» تسهم في خدمة عطاءات العقل العربي الاسلامي المبدع بشكل يضمن له الانتشار عربيا .. وعالميا لاستعادة دورنا الحضاري والفكري الرائد.

وقد حان الوقت المناسب لاخراج المشروع الى حيز الوجود وعلى المستوى العملي.

واذا جاءت هذه الفكرة اليوم على شكل ندوة نظرية جامعة فلماذا لا تتحول الى حقيقة ترعاها النوايا الصادقة .. والمبادرات العربية الاسلامية الكريمة؟



شخصيّة قويّة

بقلم : د. صالح رياض

تعبير يستخدمه المتعلمون وانصاف المتعلمين عندما يصفون شخصا يعرفونه سواء أكان شخصية عامة أم خاصة. ترى ماذا يعنون بالضبط عندما يستخدمون هذا التعبير أو عكسه. ما هي معالم الشخصية القوية في نظر الاشخاص العاديين؟ أعتقد أنها تعني لدى الشخص العادي قوة التأثير والارادة وقلما تتجاوز هذه الحدود، فالمدرس ذو الشخصية القوية هو المدرس الذي يسيطر على تصرفات تلاميذه دون الحاجة للالتجاء الى العقوبات البدنية. والأب ذو الشخصية القوية هو الذي يلقى الطاعة من أبنائه دونما التجاء لأي نوع من العقوبات ودون مجرد التهديد بتوقيع اية عقوبات، وترتبط قوة الشخصية في هذا المجال ايضا بالقدرة على الاقناع وبالاعراب عن الرأي الشخصي مهما كان على خلاف آراء الاخرين. فذو الشخصية القوية هو الذي لا يتهيب من الاعلان عن رأي يعلم جيد العلم أنه لن يصادف هوىً إلا من أقلية من الناس. ولكن تعريف الشخصية القوية في علم النفس، وإن كان يشمل قوة التأثير والأرادة، أعم وأعقد من ذلك. ويستحب في هذا المقام استعمال تعبير الشخصية الناضجة، او غير الناضجة.



ومن أهم معالم النضج في الشخصية أن يفهم المرء نفسه، بمعنى ان يعرف امكانياته وقدراته ونقائصه وتحديداته وان يتصرف على ضوء هذه المعرفة. ومن علائم النضج ان يقيم الانسان نفسه تقييما واقعيا فلا يسرف في تقدير طاقاته وملكاته ومهاراته ولا يغمط حق نفسه. وعملية استطلاع الانسان لقدراته ليست لها في حد ذاتها دلالات سيكولوجية مهمة. فقد يمضي الانسان حياته كلها دون ان تتاح له الفرصة ليكتشف قدرات كانت لديه على مدى الأيام واذا اكتشف عرضا احدى هذه القدرات ربما لا تتاح له الظروف المواتية لتدريب هذه القدرة ومعرفة حدودها.

ولكن الأمر المهم هو ضبط تقييم النفس على اساس ما تسفر عنه عمليات الاستطلاع المدبرة والعرضية. فالانسان الذي

تحبوه الطبيعة بصوت جميل ربما يكتشف ذلك عرضا وعليه في هذه الحالة ان يعرف بالضبط طبقات هذا الصوت وان لا يتصور ان بامكانه تعدي حدود هذه الطبقات لانه يظن ان جمال صوته ليست له حدود، وعليه ان يرضى بما تسفر عنه عمليات الدراسة والتجريب، التي ترسم له الحدود التي لا يجوز له الخروج عنها.

العنصر الاساسي في تكوين الشخصية هو القيم التي ركزت فيها والتي تتمثل في اتجاهات يعتنقها الفرد نحو القضايا العامة والاهتمامات المتصلة بهذه القضايا. فعندما تكون اللياقة البدنية مثلا من القيم التي يؤمن بها الفرد ويحلها في نفسه المحل الاول تكون اتجاهاته طيبة ازاء أماكن ممارسة الرياضة البدنية، وتدور اهتماماته حول الشخصيات الرياضية والاحداث الرياضية. ولكل فرد قيمه في الحياة، وكل شخص يؤمن بعدد من القيم يرتبها ترتيبا خاصا به من حيث الاولوية. ومن الأسس التي لا غنى عنها لقوة الشخصية تكاملها الناجم عن عدم وجود تعارض بين القيم المختلفة التي يعتز بها الفرد. فاذا كان الفرد يعتز بوطنيته ويحل النزعة الوطنية محلاً هاماً في تكوين شخصيته ويتعشق جمع المال بنفس القوة فلابد ان تمر ظروف يجد هذا الشخص فيها تعارضا بين النزعتين. واذا كان التعارض قويا جدا وذلك في الحالات التي يكون فيها اغراء المال جارفا يجد الشخص نفسه في حالة توتر واعياء نفسي وتخبط وتناقض في تصرفاته. ومثل هذا الشخص الذي تتجاذبه الاهواء المتنازعة المتعارضة تنازعا شديدا لا يكون شخصا قوي الشخصية.

والشخص الناضج في نظر علماء النفس هو الشخص السوي العادي. ولما سئل فرويد ماذا يجب ان يعني تعبير شخص سوي عادي؟ رد قائلا ان الشخص العادي «هو الشخص الذي يستطيع أن يحب وأن يعمل». ويقصد بكلمة الحب هنا الشخص الذي يستطيع ان يكون علاقات شخصية مع الغير، خالية من المصلحة وان يستمتع بهذه العلاقات. ولكن عالما نفسيا أمريكيا يدعى ريتشارد كابوت وجه اليه هذا السؤال فقال «انه الشخص الذي يستطيع ان يعمل وان يلعب وأن يتعبد». هذه هي في نظره النشاطات التي يمارسها الشخص الصحيح العقل الناضج قوي الشخصية. ولكن تعريف الشخصية السليمة غير المعطوبة يختلف من بيئة الى بيئة. ففي بعض البيئات تكون الشخصية السليمة هي الشخصية التي يتفانى صاحبها تفانيا تاما في اتباع التقاليد السائدة والعمل من اجل رفاهية المجتمع الذي يعيش فيه. وفي بيئات اخرى حيث يسود الحياة الطابع الميكانيكي المادي الحسي، صاحب الشخصية الناضجة هو الشخص الذي يستطيع ان يستفيد من كل ما لديه من ملكات ومواهب ومن كل ما تتيحه له الظروف من فرص للتقدم في سبيل الرفاهة الفردية.

ويبدو في الوقت الراهن وجود اهتمام كبير بموضوع

الشخص الناضج يهتم بتلمس حقيقة الكون، والبحث عن الغرض من الحياة.

الشخصية ويتحدث عنه، من أقصى العالم الى أقصاه، علماء النفس والمدرسون وأطباء الامراض العقلية وآخرون غيرهم. ويرجع هذا الاهتمام الى كثرة شيوع الاضطرابات العقلية والعاطفية والى الرغبة الشديدة في الكشف عن القيم المشتركة التي يعتز بها جميع ابناء البشر بحيث تكون هذه القيم المشتركة أساسا لبناء مجتمع عالمي يسوده قدر اكبر من السلام.

ورغم اعترافنا بالفروق الفردية التي تستدعي ان ينمو الافراد المختلفون حتى يصلوا الى مرحلة النضج بطريقة فردية تخص كل فرد على حدة فسنسعى للتعرف على الأصول العامة للشخصية السليمة الناضجة. وأود اولا ان ألفت الانتباه الى ان قوة الشخصية ونضجها ليست له بالضرورة علاقة مباشرة بالسن. فكم من شاب غضّ الأهاب يتسم بالاتزان والتعقل، وكم من شخص مكتمل السن ينحصر في نطاق ذاته لا يخرج عنها ويتصرف على نحو يدل على التخبط وعدم التأكد من الطريق الذي ينبغي عليه ان يسير فيه. ولكن لاشك ان الانسان بمرور الزمن تمر به تجارب كثيرة تصقله وتعلمه الكثير عن نفسه وعن الآخرين فيصبح اكثر نضجا ممن هم أصغر منه سنا. فكلما اعترضت سبيل الانسان العقبات واصابته الشدائد والمحن واعترته الآلام على مر السنين فتغلب على الصعاب وصمد للمحن والشدائد والآلام ازداد نضجا وقدرة على مواجهة أعباء الحياة. ولكن هذه القاعدة ليست مع ذلك مطردة فكم من صغير السن يفضل كبار السن في ضبط الاعصاب وفي سداد الرأي.

يقول علماء النفس ان معالم نضج الشخصية تختلف باختلاف مراحل العمر المختلفة. فمعالم النضج في مراحل الطفولة الاولى تختلف عن معالم النضج في مرحلة البلوغ ومرحلة الشباب ومراحل العمر المتقدمة. ففي مرحلة الطفولة الاولى يتميز الطفل في مهده اذا كان قوي الشخصية بالثقة في الاخرين، ولا يفزع اذا تداولته الأيدي المختلفة وفي مرحلة الطفولة التالية أي في سن الثانية الى الخامسة، يتميز الطفل ذو الشخصية القوية بالقدرة على الاستقلال الذاتي، وفي المرحلة التي يعرفها علماء النفس بمرحلة اللعب، اي ما بين سن الخامسة والسابعة. يتميز الطفل ذو الشخصية القوية بالقدرة على المبادرة، وفي سن مرحلتي التعليم الابتدائية والاعدادية وهو من السابعة الى الثالثة عشرة تتسم الشخصية القوية بالاجتهاد والكفاية، وفي سن المراهقة الذي ينحصر بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة تتميز الشخصية القوية بادراك ووعي مستديمين لمعالم الشخصية. وعندما يدخل المرء مرحلة الشباب وهي تنحصر بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين تتميز الشخصية القوية بالتواد والألفة والتقارب المصحوبة كلها بالثقة المتبادلة، ثم يدخل المرء بعد ذلك مرحلة النضوج الزمني، ويتميز فيها المرء اذا كان صاحب شخصية قوية بالقدرة على الانتاج وعلى الإيجابية، وفي خريف العمر يميز الشخصية القوية تماسكها وقبول الانسان لنفسه كما هي، واساس ذلك ان يعرف الانسان نفسه معرفة مبنية على التجربة والواقع وان يتقبل نفسه على علاتها ويبذل جهوده لاصلاح النفس وترقيها في نطاق ما يعرفه عن نفسه بالتجربة وعلى اساس واقعي من امكانيات وقيود فرضتها الطبيعة على ذكائه وحواسه وقدراته العضلية وطاقاته العقلية والجسدية.

ويبرز علماء النفس من كل ما ذكرنا قدرة الانسان على الشعور بذاتيته المتميزة بخصائص معينة عن ذوات الغير ويعتقدون ان معرفة الانسان لخصائص ذاتيته وتمييزه لنفسه عن الغير وهي مشكلة تبرز في مرحلة المراهقة كما ذكرنا هي اساس كل نضج حقيقي.

وأساس نضج الشخصية هو البيئة المنزلية. فتكوين الشخصية القوية الناضجة يحتاج الى سجل حياة عائلية مستقرة وطفولة مبرأة من الامراض الخطيرة والتجارب الانفعالية القاسية التي تترك في النفس آثارا لا تمحى وأبوين ناجحين في

من دواعي نضوج الشخصية أن يجد الشاب فرصًا كثيرة للاتصال بالغير.

ان أصحاب الشخصيات القوية ، انما يتسمون بالتسامح العنصري والديني .

حياتهما يستحقان بصورة عامة الاحترام من ابنائهما ومن الغير. ولكن لا ينبغي ان يستقر في الاذهان ان الطفولة الوادعة والمراهقة الخالية من الأحداث والهزات هي الاساس المكين للشخصية القوية الناضجة ، وانما ينحصر سر النضوج في طريقة الاستجابة للمشكلات التي تعترض الحياة ، وذلك من جانب الوالدين وبالتالي من جانب النشئ الصاعد. وفي مرحلة التعليم الجامعي وجد ان الفوارق بين ذوي الشخصية الناضجة السليمة وذوي الشخصيات العليلة أربعة فوارق: أولها ان صاحب الشخصية الناضجة هو الذي يمكنه ان ينظم عمله تنظيما فعالا من شأنه ان يؤدي به الى بلوغ اهدافه . وهو عادة شخص اكثر اتزانا وتؤدة وأكثر استعدادا لمقاومة الضغوط التي تفرضها عليه الحياة واكثر حيوية واكثر قدرة على ملاءمة نفسه للظروف المتغيرة المحيطة به واكثر قدرة على التحايل على هذه الظروف اذا كانت غير مواتية. ويتميز صاحب الشخصية القوية بفهم دقيق لنفسه وأهم خصائصه الخلقية انه شخص يمكن التعويل عليه وله قدرة على الحكم السليم على مواقف الحياة المتغيرة وشخص جاد قادر على تحمل المسئوليات وعنده استعداد للتسامح وشخص تكونت لديه مبادئ اصبحت جزءا لا يتجزأ من كيان شخصيته فهو لا يسير على هذه المبادئ خشية ان يتعرض لعقاب القانون او لتأنيب المجتمع له وانما يسير عليها لانه يؤمن بها ايمانا راسخا ينبعث من قرارة نفسه ويلاحظ ايضا على اصحاب الشخصية القوية انهم لا يدافعون عن انفسهم اذا اخطأوا ليبرروا اخطاءهم بتبريرات مفتعلة وانما يعترفون باخطائهم ويرجعون عنها في اعتزاز وهم اكثر استعداد لوضع ثقتهم في الغير ولا يبدو على تصرفهم أي لون من الوان الشذوذ.

وقد اجرى عالم نفسي يدعى «ماسلو» تحليلا مركزا لشخصيات حية وتاريخية تعتبر في نظر الناس شخصيات قوية ووجد ان أصحاب هذه الشخصيات يتميزون بالمعالم التالية :

** اصحاب هذه الشخصيات اكثر كفاءة في ادراك الواقع واكثر ارتياحا في مواجهته وهم يحكمون على المواقف والاشخاص بدقة وهم اقل توجسا من المجهول ولا يبدون كضعاف الشخصية احتياجا بالغا للاطمئنان والأمان والتحديد والوضوح.

** يتقبل هؤلاء الاشخاص انفسهم والاخرين ويتقبلون الطبيعة الانسانية على علاتها ولا يبدون غضاضة في تقبل احتياجات الجسد ويتقبلون الوظائف الطبيعية لاعضاء الجسم دون اشمئزاز ولكنهم في نفس الوقت يقدرون الصفات العليا للانسان التي تضع الانسان في مرتبة اعلى من مرتبة الحيوان.

** يبدي أصحاب هذه الشخصيات قدرا من التلقائية وفي هذا المقام يعلق «ماسلو» أهمية على القدرة على تقدير الفن وعلى تقدير التنوع في الحياة والاستمتاع به ولا يحس هؤلاء الناس انهم عبيد للعرف وما جرى عليه الأولون ولا يحسون بانهم قد صبوا في قوالب جامدة صلدة بل لديهم القابلية على ان يستمتعوا بالحياة كلما سنحت الفرص المواتية التي تهيئ الظروف والوسائل التي يقرها المجتمع للاستمتاع بمباهج الحياة المشروعة.

** يتميز أقوياء الشخصية بالقدرة على الدأب على العمل لانجاز مهام موضوعية والانصراف انصرافا كليا لحل المشكلات ذات الصفة الموضوعية دون الانشغال بما يمس انفسهم من مجد شخصي او متعة شخصية.

** لا يعامل أصحاب الشخصيات القوية الاخرين وكأنهم ملك لهم كما انهم لا يتعلقون باذيال الغير ولا يركنون الى الفضول لمعرفة كل ما يخص الغير.

** لا يعبأ اصحاب الشخصيات القوية بالتملق ولا يهنون بسبب ما يوجه اليهم من انتقاد ولا يغير التملق أو الانتقاد مجرى حياتهم.

صاحب الشخصية الناضجة يشعر أكثر من غيره ، بالرابطة الإنسانية التي تجمع بين أبناء البشر .

●●

ان معالم نضج الشخصية، تختلف باختلاف مراحل العمر المختلفة.

●●

** يتميز أصحاب الشخصيات الناضجة بالتلقائية وبالاستجابة لتجارب الحياة الجديدة.

** يقول العالم النفسي «ماسلو» **ان النضج يتسم بعنصر ديني** وان الشخص الناضج يهتم بتلمس حقيقة الكون والغرض من الحياة وعلى ذلك فآفاق الشخص الناضج لا تعرف الحدود.

** يتحلى صاحب الشخصية الناضجة بالقدرة على تصور نفسه في موقف الغير من الناس ومن ثم يكون لديه القدرة على التعاطف معهم ومشاركتهم في مشاعرهم واحساساتهم.

** يتمكن صاحب الشخصية الناضجة من تكوين ارتباطات انسانية قوية مع عدد محدود من الافراد وتبلغ هذه الارتباطات درجة من القوة بحيث تذوب فيها ذاتيته ولابد ان يكون لصاحب مثل هذه الشخصية ارتباطات اخرى سطحية نسبيا مع عدد من الافراد ويعرف عن صاحب الشخصية الناضجة انه يتعامل في يسر مع هؤلاء الناس.

** يلاحظ العالم النفسي «ماسلو» على اصحاب الشخصيات الناضجة انهم يشعرون باحترام ازاء سائر افراد البشر وهم يشعرون باحترام ازاء الغير لمجرد ان الغير هم كائنات بشرية فهم يحترمون انسانية الفرد بغض النظر عن جنسه أو دينه وعلى ذلك يتسم اصحاب الشخصيات الناضجة بالتسامح العنصري والديني.

** لاحظ العالم النفسي «ماسلو» ان ذوي الشخصية القوية ليس لديهم اي شك في الفارق بين السلوك القويم والسلوك غير القويم. فهم يميزون في تأكد في حياتهم اليومية بين ما يرونه سلوكا حسنا مرغوبا فيه وسلوكا سيئا غير مرغوب فيه. ومثل هؤلاء الاشخاص يعرف عنهم انهم لا يخلطون بين الوسائل والغايات ويتابعون في غير كلل أو ملل الغايات المرجوة التي يشعرون انها الغايات السليمة التي تتمشى مع ما يؤمنون به من مبادئ.

** لا يميل أصحاب الشخصيات الناضجة الى الدعابات القاسية التي تنم عن روح عدوانية وتدل على مرارة دفينة في النفس ازاء الاخرين وازاء الحياة بصورة عامة. فدعاباتهم دائما هادئة تدل على التفكير وتبعث على الابتسام اكثر مما تبعث على القهقهة، وهي غير مدبرة انما تأتي عفو الساعة.

** واخيرا يوجز «ماسلو» كل ما قاله عن الشخصية التي يتميز بها الناضجون وهي ان لكل واحد منهم اسلوب حياة خاصاً به يميزه عن غيره من الناس وله فرديته المتميزة وهو يترك طابعه الخاص على كل ما يعمله فاذا حرر شيئا فله اسلوبه الخاص في الكتابة واذا كان رساما او ملحنا فللوحاته وألحانه طابع يميزها عن لوحات وألحان غيره من الفنانين.

ولا يدعي «ماسلو» ان هذه المعايير التي يعرضها لقياس قوة الشخصية هي معايير مستقلة كل منها عن الاخر وانما تتشابك هذه المعايير كالاغصان. وعندما تتوافر كلها او معظمها في شخص ما يمكن ان يصفه علماء النفس بانه ناضج سليم العقل قادر على أن يحيا حياةً موفورة. ولكن الشخصية التي تتوافر لها كل هذه المعالم او معظمها هي شخصية مثالية قلما توجد، هذا اذا وجدت على الاطلاق. فان اكثر الشخصيات صلابة وأمتنها عودا عرضة في بعض الحالات للتعثر والسقطات والارتداد الوقتي لحالات الطفولة والمراهقة الاولى.

وقد لوحظ ايام الحرب العالمية الثانية ان بعض الجنود والضباط وقعوا في الاسر واساء الاعداء معاملتهم وأفرطوا في القسوة بهم جسديا وعقليا فعادوا بعد انتهاء الحرب في حالة يأس وانهيار نفسي، ولكن لوحظ في نفس الوقت ان جنودا وضباطا آخرين مرت بهم ايضا تجارب قاسية اثناء الحرب ووقعوا في الاسر وعاملهم الاعداء بغلظة وفظاظة وحاولوا تحطيمهم جسديا ونفسيا ولكنهم افادوا من هذه التجارب القاسية وعادوا من الحرب والاسر أصلب عودا مما كانوا من قبل. فالحياة الوادعة الخالية من الهزات والصدمات ليست ضمانا لتكوين شخصيات قوية وربما كان العكس هو الصحيح.

●●

ينحصر نضوج الشخصية في طريقة الاستجابة للمشكلات التي تعترض الحياة.

●●

ان معرفة الإنسان لخصائص ذاتيته، هي أساس كل نضج حقيقي.

كيف تتكون الشخصية القوية

يبدأ تكوين الشخصية والطفل لما يزل في مهده ولكن تكوينها لا يكتمل خلال السنوات الثلاث او السنوات العشر الاولى من حياة الانسان وانما تستمر عملية تكوين الشخصية طالما يستمر الانسان في المساهمة في اوجه النشاط المختلفة في مجتمع العائلة ومجتمع العمل ومجتمع الحياة الخارجية. وتعتبر مرحلة المراهقة مرحلة دقيقة بنوع خاص في هذا المقام إذ يتوق أبناء النشئ الصاعد الى التعرف على خصائص ذاتيتهم ولذا يهمهم جدا ان لا تذوب شخصياتهم في شخصيات الغير ويهمهم ان يتميزوا عن الغير في ملبسهم وافكارهم وهواياتهم وتصرفاتهم بصورة عامة ولكن سرعان ما يشب المراهق عن الطوق ويتوق الى الاتصال بشخص آخر وتصبح رفاهة هذا الشخص الآخر امرا مهما جدا لديه بل متطابقا مع رفاهته هو نفسه، وعنصر الحب ليس هو العنصر الوحيد الذي تتوسع به الذات بل تتوسع الذات ايضا بتولد اطماع جديدة وهوايات جديدة وافكار جديدة والتعرف على اصدقاء جدد والانخراط في عضوية جماعات جديدة والأهم من ذلك كله ان يصبح عمل الانسان مدمجا في احساسه بذاتيته. فبالنسبة للشخص الناضج، الحياة اكثر من طعام يومي وشعور بالاطمئنان وتزاوج وانما الاهم من الوظائف اليومية تولد الاهتمامات القوية ذات الصلة بالعالم الخارجي والتي تصبح على مر الايام جزءا لا يتجزأ من شخصية الفرد لا امورا على هامش حياته وعلى ذلك فمن دواعي نضوج الشخصية ان يجد الشاب فرصا للاتصال بالغير وان تتاح له الوسائل التي تيسر له ان يوسع افقه ويتصل بافكار جديدة ومعايير جديدة وعندئذ تتولد لديه اطماع جديدة وتتهيأ له فرصة تكوين صداقات جديدة وتستدعي هذه المعايير التي نعرضها الان ان يشترك الفرد بجوارحه في دوائر مختلفة للنشاط الانساني يكون لها دلالة لدى المجتمع وذلك على أساس ان تساعد المرء الظروف على ان يوسع نطاق ذاتيته فيقتحم بها عدة مجالات في الحياة ويمزج نفسه بهذه المجالات مزجا تاما لا كما يمزج الزيت بالماء بل كما يمزج السكر بالماء. ومجالات الحياة الكثيرة تشمل المجال الاقتصادي والمجال التعليمي والمجال السياسي والمجال المنزلي والمجال الديني وقد يمس شخص هذه المجالات مساسا سطحيا ولا يعترف لنفسه قسطا من اي منها ويجعل منه جزءا من مكونات شخصيته، وفي هذه الحال تكون شخصية الفرد عقيمة مجدبة. وقد يكون من العسير على اي انسان ان تستهويه جميع هذه المجالات مهما كان ناضجا قوي الشخصية ولكن اذا لم تتولد لدى المرء اهتمامات خالصة لها كيان في حد ذاتها مستقاة من احد او بعض هذه المجالات لا تنضج شخصيته. والاشتراك في نشاطات الحياة المختلفة عن طريق الاهتمامات والهوايات المنبثقة من اتجاهات رسخت جذورها في النفس يعطي للحياة توجيها ويخرج بالانسان عن حدود مطالب الجسد الضيقة النطاق بدرجة خانقة. وكل انسان يحب نفسه هذه حقيقة نفسية لا مهرب منها ولكن امتداد النفس وتشعبها على النحو الذي أسلفناه هو الدلالة الواضحة على النضوج وقوة الشخصية ومثل هذه الشخصية قادرة على الاتصال العاطفي القوي مع الغير سواء داخل الاطار العائلي او خارجه. وصاحب مثل هذه الشخصية لا يأبه بالتقول على الغير ولا ينصت للارهاصات لانها لا تستهوي نفسه ولا يتطفل لمعرفة اسرار الغير الشخصية اذ لا يجد عنده الدافع لذلك ولا يقيم صلة بالغير على اساس ان يتملك الغير او يتملكه الغير بل يحترم انسانية الغير ويقدر فرديتهم. ويلاحظ على اقوياء الشخصية انهم لا يشكون من الاخرين بصفة دائمة ولا ينتقدونهم ولا يحقدون عليهم ولا يسخرون منهم او يتهكمون عليهم او يتصرفون على اي نحو يسمم جو العلاقات الانسانية وجو الترابط بين الناس.

ويشعر صاحب الشخصية الناضجة اكثر مما يشعر غيره بالرابطة الانسانية التي تجمع بين ابناء البشر اذ يحس احساسا عميقا بان جميع ابناء البشر يأتون الى الحياة بنفس الطريقة ويخرجون منها بنفس الطريقة وعلى النقيض من ذلك يحس الشخص غير الناضج بانه هو وحده صاحب الفكرة السليمة

يتميز أقوياء الشخصية بالقدرة على العمل، وذلك لإنجاز مهام موضوعية.

> ان القدرة العقلية يجب أن تتوافر للشخص، لكي يبني على أساسها الشخصية القوية.

والمشاعر ذات القيمة وفيما عداه من الناس لا قيمة لرأيهم او لمشاعرهم، ولا يرغب الشخص صاحب الشخصية غير الناضجة ان يعطي الحب ولكنه يرغب في ان يكون موضع حب الآخرين وعندما يريد ان يضفي الحب على غيره فهو يمن به على الغير بشروطه الخاصة لان حبه ميزة يتمتع بها الغير وعليه ان يدفع ثمنها اما الشخص الناضج فهو يحب ابنه او زوجه او صديقه دون ان يفرض شروطا على الابن او الزوجة او الصديق فهو يأنس لمن يحبهم ويريد لهم الخير ويقبلهم على علاتهم دون قيد أو شرط.

ولا يشق على المرء ان يلمس الفارق بين الشخص الهادئ الرزين المتزن والشخص الصاخب انفعاليا الذي تنتابه نوبات غضب شديد تخرج به عن الطور ويدمن على تعاطي المشروبات الروحية، ويركن في بعض الاحيان للسباب المقذع والبذاءة والتبذل، مثل هذا الشخص غير راض عن نفسه وهو يعبر عن حالة عدم الرضا عن نفسه بابداء السخط على الاخرين وبصب نقمته عليهم فان حالة قبول النفس تعصم الانسان من الافراط في التعبير عن الدوافع الحسية، والشخص الناضج يتقبل في رضا احتمال التعرض للاخطار وضرورة انتهاء الحياة بالموت في نهاية الأمر بينما يتوهم الشخص غير الناضج الاخطار ويفزع من احتمال وقوعها ويشغل بالخوف من انتهاء الحياة بالموت، ويتعلق بتلك الخرافات والطقوس التي يعتقد انها تدفع عنه هذا الخطر وتدرأ عنه الموت وتقيه شر ما يخبئه له القدر من مخاطر. وثمة أمر ذو اهمية خاصة في هذا الصدد وهو القدرة على احتمال المنغصات فالشخص غير الناضج كالطفل اذا وقف في سبيله حائل يمنعه من بلوغ مأرب رسمه لنفسه، ينفعل ويغضب غضبا شديدا ويفلت منه زمام أمره وقد يوقع الضرر باشخاص ليست لهم صلة بالموقف او يدمر اشياء يملكها هو او يملكها غيره من الناس الذين لا علاقة لهم بالموقف، او يوقع الضرر بنفسه او يحس بالاسى على نفسه ويندب سوء حظه، ولا يجب ان يفهم من ذلك ان الشخص الناضج هادئ الطبع دائما ومرح ومبتهج طول الوقت، فكل انسان عرضة للتقلبات الانفعالية وقد يحس الشخص الناضج بالتشاؤم وضيق النفس في بعض الاحيان ولكن الحياة علمته ان يواجه هذه الحالات النفسية دون ان يركن للتصرفات العشوائية او ينال من الاخرين فيسيئ الى احساساتهم او يؤذيهم في ابدانهم او ممتلكاتهم، ويصدر هذا النضوج عن شعور الانسان بالأمان في طفولته وشعوره بامكانية ان يثق بغيره ممن يتولون اموره من حيث قدرة هؤلاء على ان يلبوا مطالبه الجسمية الرئيسية وان لا يوقعوا به اي أذى ولا يتعسفوا في معاملتهم له فلا يعاقبونه بدون وجه حق على تصرفات لم يكن يعلم انها خطأ او على تصرفات خاطئة ارتكبها غيره وهو برئ منها ولا يسرفون في عقوبته عندما يخطئ في تصرفاته فالشعور بالامان في الطفولة هو الاساس للقدرة على ضبط النفس في مستقبل العمر ويتجلى ذلك في قدرة الفرد على التعبير عن آرائه ومعتقداته مع مراعاة عقائد الغير وارائهم وتقدير مشاعرهم واساس ذلك كله الرعاية العاطفية التي يلقاها الانسان في طفولته، من بالغين ثابتين لا يتغيران، هما في اغلب الاحيان الوالدان. فالهدوء النفسي والاستقرار النفسي اللذان يتولدان عن هذا الشعور بالأمان يجعلان الفرد بعدما يشب عن الطوق أقدر على مواجهة واقع الحياة وهو على ذلك لا يهرب من الواقع ليتعلق باذيال الخيال ولا يحاول ان يشكل واقع الحياة على النحو الذي يتمشى مع احتياجاته النفسية والحيوية وانما يواجهه كما هو ويحاول ان يوائم بين احتياجاته وهذا الواقع. ومن الطبيعي ان القدرة العقلية يجب ان تتوافر للشخص لكي يبني على اساسها الشخصية القوية، أي ان المرء يحتاج الى قدر لا بأس به من الذكاء لكي يمكن له ان يواجه الحياة على النحو الذي اسلفناه. ولكن كم من فرد أوتي قدرا كبيرا من الذكاء ويفتقر في نفس الوقت الى التوازن الانفعالي والتنظيم في التفكير اللذين هما الاساس للشخصية السليمة الناضجة. ولأثبات ذلك اختبر العالم النفسي «تيرمان» عددا من الاطفال الموهوبين ووجد ان كل طفل منهم كان من حيث درجته في اختبار الذكاء يمثل طفلا من كل الف طفل وفضلا عن ذلك فقد كان جميعهم يتمتعون بنفس المستوى العالي في الصحة الجسمية وتتبع تيرمان هؤلاء الاطفال على مدى خمسة وعشرين عاما ووجد ان نسبة فشلهم كشخصيات منظمة كان بنفس نسبة فشل الشخصيات في مجموع الافراد العاديين الذين هم في نفس المرحلة من العمر ووجد ان شيوع الادمان على الكحول والانهيارات العصبية في مجموع السكان العاديين الذين هم في نفس السن. وعلى ذلك فالذكاء فوق العادي ليس وحده ضمانا لتكوين شخصية

ناضجة والأهم من الذكاء غير العادي ان يلم المرء الماما كافيا بالمهنة او العمل الذي اختاره ليعيش منه فالطبيب او الميكانيكي او المهندس أو المدرس او الصحفي أو رجل الدولة الذي لا يلم إلماما كافيا بالمهارات الذهنية او اليدوية او الثقافية التي تتطلبها مهنته لا يحس باطمئنان يكفل له القدرة على التوسع الذاتي الذي هو اساس للنضوج ورغم اننا قد نلاقي اشخاصا ماهرين في عملهم ولكنهم غير ناضجين فلن نجد ابدا اصحاب شخصيات ناضجة لا يتقنون العمل الذي يؤدونه. ويصاحب الاتقان التفاني في العمل أي القابلية على ان ينسى الانسان نفسه نتيجة لاستغراقه في عمله استغراقا كاملا بمعنى ان الانسان يشغل اثناء ادائه لمهمة تتعلق بعمله عن دوافعه الذاتية وملذاته الحسية، وفي بعض الاحيان دواعي كبريائه الشكلية وابتكار التبريرات المفتعلة ويمكن ان نقول بايجاز ان الشخص الناضج على صلة وثيقة بالعالم على حقيقته وهو يرى الاشياء والناس والمواقف على علاتها. ولا يقتصر النضج على فهم الاخرين على علاتهم بل يشمل ايضا فهم النفس فالانسان الذي يحس بنقائصه أقدر على الحكم الصحيح على الاخرين من غيره ولا يجد عنده الدافع لان ينسب هذه النقائص على غير حق للاخرين وقد وجد ان لظاهرة القدرة على التحليل الذاتي والاعتراف بعيوب النفس علاقة وثيقة باستعداد الفرد للدعابات سواء التندر بها او تحملها عن طيبة خاطر اذا وجهت ضده. وقد يلاحظ على المراهق الذي لم يتأكد بعد من شخصيته اي من معالمه النفسية والجسمية المميزة التي تثير في نظره احترام الغير واعجابهم يلاحظ انه لا ينظر نظرة الفكاهة الى سقطاته وانما تحز في نفسه هذه السقطات مهما كانت تافهة بسيطة، واذ ينضج المراهق وتتكون لديه القيم الجمالية والنظرية يبدأ في تقدير الدعابات والتندرات وتثير هذه الدعابات والتندرات ضحكه اكثر مما تثير استياءه من نفسه ومن الاخرين، وكلما زادت معرفة الانسان لنفسه واستعداده لتقبل ما لديه من عيوب ونقائص ازدادت مقدرته على تقبل التهكمات والمداعبات التي توجه اليه بروح طيبة وهذه كلها علامات على النضوج، وعلى ذلك فمن مظاهر عدم النضوج ان يحاول المرء ان يتقمص شخصية يعلم انه ليس اهلا لها. ويحاول غير الناضجين ذلك دون أن يدركوا ان ادعاءهم مفضوح واذا كان من حق المراهق ان يجرب انواعا مختلفة من الشخصيات ليختار واحدة منها او ليبني شخصية من لبنات مختلفة يأخذها من انواع الشخصيات المختلفة فليس من قبيل النضوج ان يدعي المرء صفات وقدرات ليست له بعد دور المراهقة. وفضلا عما سبق يتطلب النضج ادراكا واضحا للغرض من الحياة اي فلسفة للحياة تكون الأساس الموحد لتصرفات الفرد وكان ضمن من بحثوا هذه النقطة العالمة النفسية الالمانية «شارلوت بوهلر» التي قامت بتحليل تاريخ حياة مائتين من الشخصيات الناضجة المعروفة ووجدت ان كل شخص من هؤلاء له هدف واضح في حياته وان جميع تصرفاته توجه نحو بلوغ هذا الغرض. ويلاحظ على النقيض من ذلك عند دراسة حالات الذين يقدمون على الانتحار ان الحياة تصبح غير محتملة عندما لا يجد المرء اي هدف في حياته واي مأرب واضح في ذهنه يستلزم السعي لتحقيقه. وفي طفولة الانسان لا تكون للانسان اهداف، وفي مرحلة المراهقة تكون الاهداف غامضة تفتقر الى التحديد، وتنضج الشخصية بنضج الاهداف وتحدد معالمها، والانسان يلقى العراقيل في سبيله في بعض الاحيان ويتعثر حظه من آن لآخر، والانسان الناضج يهذب من طموحه ويقبل اهدافا متواضعة تتمشى مع ظروف حياته اذا كانت ظروف حياته لا تسمح له بتحقيق اطماعه الاصلية ومن الاصح للشباب ان تكون له اطماع كبيرة وروح مثالية في دور المراهقة ثم يقوم بتهذيب هذه الاطماع والمثالية فيما بعد أي وهو في منتصف العشرينات ذلك أفضل من ان لا تكون للإنسان اهداف على الاطلاق واهم ما يتميز به الشخص الناضج هو ان تكون لديه فكرة واضحة عن نفسه فيستطيع ان يتصور نوع الشخص الذي يريد ان يكونه وما يجب عليه ان يفعله كشخص متميز عن غيره لا كمجرد عضو في عائلة او قبيلة او عشيرة او وطن. ويكون شعار هذا الشخص ان يبذل كل ما لديه من جهد ليكمل تصوره لشخصيته في واقع الامر ومثل هذا الشخص لا يطيع ما يصدر اليه من أوامر طاعة عمياء ولا يخلط ما بين مقتضيات بيئته الاجتماعية وما يؤمن به في قرارة نفسه من مثل خلقية، وان كانت هذه المثل الخلقية مقتبسة في أصلها من المعايير البيئية الاجتماعية فالشخص وليد بيئته الاجتماعية ولكنه اذ يكون شخصية معينة وفرديته الخاصة به المتميزة عن شخصيات الاخرين ينتقي من معايير البيئة الاجتماعية ما يناسب نفسيته ويفسر ما ينتقيه تفسيرا شخصيا خاصا به وبذلك تتكون له شخصيته المتميزة القائمة على أساس استقرار حياته العائلية كطفل ومراهق وما لقيه اثناء هاتين المرحلتين من حياته من رعاية عاطفية من والديه ومن عناية نفسية من مدرسيه والقائمين على تربيته، قوامها تشجيعه على ان يبني صورة طيبة عن نفسه من حيث الخلق والذكاء والمهارات الذهنية واليدوية فعلى هذا الاساس يبني الفرد اتجاهاته واهتماماته التي تعبر عن صفات خلقية معينة وترسخ دعائم هذه الصفات الخلقية وتبرز شخصيته.



الجمر والرّماد ؟!

شعر: محمد حسن فقي

ياحبيبي
لقد استسْلَمتُ من فَرْطِ الجَوى .. من حَرَبي
وقد استيْأستُ حتى لَم تَعُدْ من أربي
لم يَعُدْ يُجْدي ثَباتي .. في الهوى .. أو هَرَبي
فلقد أمْسَيْتُ شِلْواً – مُدْرَجاً في سَلَبي
يَسْتَوِي عنــدِيَ هَجْرٌ ووِصالْ

* * *

ياحبيبي
ماتَ في نَفْسِي الأسى والفَرَحُ .. منذ حين
صِرتُ لا أَشْكو الهوَى..لا أَصْدَحُ..بالحَنينْ
صخرة ما تَحْتَفي .. ما تَرْزَحُ .. بالسِّنينْ
فهي في سَبْسَبِها تَنْطَرِحُ .. فَوْقَ طين
نَسِيَتْ واقِعَهــا نَسْيَ الخيــالْ

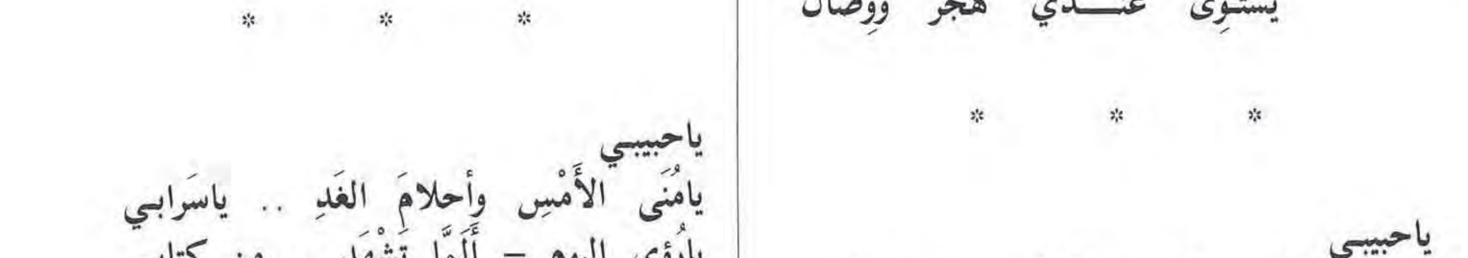
شِدَّةٌ لم تَكْتَرِثْ بالفرجِ .. قد جفَاهَا
أَعَلَيْهَا عنْدَه من حَرَجٍ .. إن شَجَاهَا
وهو لم يَتْرُكْ لها من مَخْرَجٍ .. من صِباها
بل نأى عنْها – رماها بالخَبَالْ

* * *

ياحبيبي
يامُنَى الأَمْسِ وأحلامَ الغَدِ .. ياسَرابي
يارُؤى اليومِ – أَلَمَّا تَشْهَدِ .. مِن كتابي
ما اعترَاني .. بعد ذاك السَّؤْدَدِ .. من تبابِ
لم يَعُدْ مِن كلِّ هذا .. في يَدي .. في جرابي
غَيرَ وَهمٍ .. وشقاءٍ .. وضلالْ

* * *

ما الذي تَخْشاهُ ؟ ماذا تَرْتَجي .. من هَوَاهَا
لم يَعُدْ ذاكَ السَّنَا غَيْرَ ظَلامْ .. مُطْبَقِ





لم يَعُدْ ذاكَ النّدى غَيْرَ ضِرامْ .. مُحْرِقِ
والسحابُ الجَوْنُ أَمْسَى كالجَهامْ - اليَقَقِ
ليس فيه قَطْرَةٌ تَرْوي الأُوامْ .. للشَّقي
فلماذا أشْتكي شَرَّ الوبـالْ ؟!

*　　*　　*

ولماذا أشْتكي من غَسَقي .. ونصيبي
ولماذا أكْتوِي من فَرَقي .. ووَجيبي
وأنا ما فِيَّ غير الرَّمَقِ .. ونحيبي
ما الذي من بعدِ هذا يُتَّقى .. ياحبيبي
من صُروفِ الدَّهرِ .. مَصْرومُ الحِبالْ

*　　*　　*

ما أنا .. ما أنْتَ .. ما هذا الوُجُودْ .. غيرَ وَهْم
ما أرى في الحُبِّ .. وَصْلاً وصُدُودْ .. غَيْرَ زَعْم
ما أرى غير سُدُودٍ وقُيودْ .. غَيْرَ هَمٍّ
ما أرى غير بُرُوقٍ ورُعُودْ .. وخِصَمٍّ
تَفْجَعُ النَّفْسَ بـأَهْوالِ المآلْ

*　　*　　*

أَفَلا يكْفيكَ هذا من فُتونْ .. قد تولَّى
ليس في نَفْسي سوى هذي الشُّجونْ .. لَيْس إلاَّ
كان ماضيَّ .. وماضيكَ جُنونْ .. كان غِلاًّ
ولقد وَارَتْه في نَفْسِي المَنُونْ .. مُنْذُ ضَلاَّ
بعـد أن عـادَ اكْتِئاباً ومَلالْ

*　　*　　*

دَعْكَ مِنّي - لَسْتُ إلاَّ طَلَلا .. دارسا
واذا آنَسْتَ مِنِّي مَلَلا .. عـابِسا
فانْسَني - إنَّ بقَلْبي وَجَلا .. قارِسا
انَّ ذاكَ البَحْرَ أمْسَى وَشَلا .. يابسا
مـا يَرى الظامئُ فيه غَيْرَ آلْ



تجربتي مَع النقد الأدبي

بقلم : يوسف الشاروني

هذا الاعتراف ليس احادي الصوت كما هو شأن الاعترافات الاخرى، بل هو اعتراف مزدوج الصوت ولست استطيع التخلي عن احدهما: صوت الناقد وصوت المبدع، صوت من يتعرض لاعمال الناقدين وصوت من يتعرض الآخرون لاعماله، سيلتقي هذان الصوتان حينا وينفصلان حينا آخر، ولا مفر.

ذلك ان **تجربتي في النقد الادبي ترتبط بتجربتي في الابداع القصصي** من اكثر من وجه:

فمن الناحية التاريخية اكتشفت في اوراقي القديمة والمؤرخة منذ اكثر من خمسة وثلاثين عاما **(عام ١٩٤١)** – عندما كنت في السابعة عشر من عمري في السنة الاولى بكلية الآداب – كراسة بخط اليد عنوانها **«مطالعات في الكتب»**، بعضها مقتطفات مما اطالعه شعرا ونثرا بالعربية والانجليزية في الادب وغير الادب مثل علم النفس والفلسفة والجغرافيا ... الخ، غير ان معظمها كان محاولات نقدية لبعض كتب التراث من ناحية، ولروايات من الادب المعاصر من ناحية اخرى. فمن الكتب الاولى كان هناك كتاب **«المكافأة وحسن العقبى» لاحمد بن يوسف الكاتب** (وهو مجموعة من ذلك اللون القصصي الذي اسميه **«القصة – الخبر»**) و **«رسالة التربيع والتدوير» للجاحظ**، ومقدمة كتاب **«الشعر والشعراء» لابن قتيبة**. ومن الادب المعاصر كان هناك **«حديث عيسى بن هشام» للمويلحي**، و **«زينب» للدكتور محمد حسين هيكل**، و **«سارة» للعقاد** و **«ابراهيم الكاتب» لابراهيم المازني**، و **«دعاء الكروان» للدكتور طه حسين**. واذكر ان بعض هذه الكتب كان مما يدرس لنا في مادة اللغة العربية بالسنة الاولى بكلية الاداب، وكان استاذي **الدكتور طه الحاجري** – امد الله في عمره – هو الذي يقوم بتدريس هذه المادة لنا، ولا شك انني تلقيت مبادئ النقد الادبي الحديث على يديه، وان مطالعاتي لم تكن الا تطبيقا لتلك المبادئ – التي وان تطورت فيما بعد – فان الفضل يرجع الى اول من غرسها في حياتي الادبية.

القراءة الإيجابية

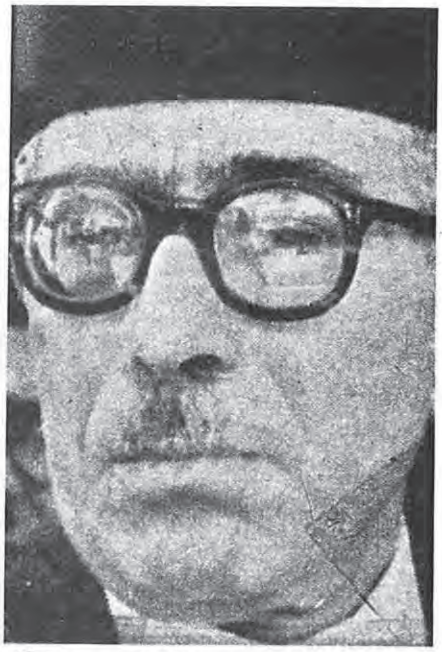
ولا شك ان هذه **«المطالعات»** كانت مدرستي النقدية الاولى. ولقد نبهني لفظ **«مطالعات»** على انني كنت اتجنب كلمة **«النقد»** طوال حياتي، فمرة اطلق عليه لفظ **«التذوق الادبي»** واخرى **«القراءة الايجابية»** وفي الثالثة **«الدراسة الادبية»**. وقد افصحت عن رغبتي في تجنب هذا اللفظ – الذي كنت اعتقد ان فيه شيئا من الاستعلاء على العمل الفني – وذلك في مقدمة كتابي **«دراسات في الادب العربي المعاصر»** حين قلت: ولست ازعم اني ناقد، او ان هذا الكتاب يشمل دراسات نقدية، اللهم الا اذا فهمنا النقد بأوسع معانيه، وهو تذوق العمل الادبي والاستجابة له بطريقة ايجابية لتعريف الآخرين به وبنواحي الضعف والقوة فيه.



ابراهيم عبدالقادر المازني

وكانت هذه **«المطالعات»** تقوم على لون من الوان المنهج النقدي، فكل دراسة مقسمة الى عدة نقاط: **المؤلف وعصره – اسلوب الكتاب – موضوعه – صلة الكتاب بعصره – دليل الكتاب على المؤلف – ناحية الكتاب الفلسفية – قيمة الكتاب من الناحية التاريخية** ... الخ. فمثلا بالنسبة للنقطة الاخيرة كتبت عن حديث عيسى بن هشام

في هذه الفترة المبكرة من تاريخنا النقدي. ان الكتاب يصور لنا مرحلة من مراحل الادب العربي في القطر المصري. يبين لنا الحرب بين القديم والجديد، بين السجع المتكلف واللغة السلسة العذبة. وكذلك يحفظ لنا بعض التعبيرات العامة والكلمات الشائعة وقت كتابة الكتاب لانه اورد الكثير منها وخاصة ما كان بين قوسين. ثم هو يظهر لنا علاقة الادب العربي والادباء المصريين بأدب الغرب والادباء الغربيين في وقت كتابة الكتاب. فنفهم منه مثلا ان الكتّاب في هذا العصر قرأوا الآداب الافرنجية وتأثروا بها الى حد ما. كذلك نفهم نوع الحياة التي كان يعيشها اهل العصر الذي دون فيه الكتاب ووصفهم فيه، اذ يدلنا على مثالبهم وبعض


د. محمد حسين هيكل

حسناتهم ويصور نزعة الاصلاح التي قام بها كثيرون منها مؤلف هذه القصة بتأليفه قصته هذه. ولكن الكتاب يعطينا الصورة المشوهة اكثر مما يعطينا الصورة الصادقة وذلك لانه قصد الى ذكر المثالب فقط ... الخ.

وهذه «**المطالعات**» **(ولعلي كنت متأثرا في هذا العنوان بكتاب مطالعات في الكتب للعقاد)** دونتها في وقت كنت قد بدأت فيه اكتب القصة القصيرة والشعر. ومن الغريب انه بمقارنة الانواع الادبية الثلاثة استطيع ان احكم على مطالعاتي بانها كانت انضج الانواع الثلاثة يليها الشعر بينما كانت القصة اكثرها سذاجة.

الفنان هو الناقد لعمله

اما الارتباط الثاني بين عمليتي النقد والابداع فاساسه ان الفنان هو الناقد الاول لعمله الفني. انه لا يضع امامه بالطبع القواعد النقدية او المذاهب الفنية عندما يكتب. لكنه قطعا يستفيد من ثقافته وخبرته الماضية ومن آراء النقاد فيما ابدع. وعندما انتهي من كتابة قصة فإني اقرأها بالطبع بعد ان اصبحت كلا متكاملا. ويعني هذا انني اول قارئ لاعمالي الادبية. وفي هذه الحالة


د. زكي نجيب محمود

اتخذ موقف الناقد محاولا ان اتبين ما اذا كنت قد نجحت في نقل ما لديّ من انطباع الى القارئ.

وهكذا لا يمكن الفصل بين العمليتين المتضادتين — **النقد والابداع الفني** — عن بعضهما. ولعل حدة حاستي النقدية — **ان جاز التعبير** — هي السبب في انني اكتب القصة اكثر من مرة، وان كتابتها تستغرق شهورا لانني اقرأها بصوت مسموع لاحس بموسيقية اسلوبها فأقدم مفردات جملها او اؤخرها، واعيد صياغة تركيباتها اللغوية، كما قد اعيد ترتيب فقراتها **(اشبه بعملية الدوبلاج السينمائية)** وتتكشف لي خبايا شخصياتها مثلما تتكشف خبايا شخص غريب يقتحم علينا حياتنا فنألفه شيئا فشيئا حتى نعرف عنه ادق اسراره لانه اصبح اصدق اصدقائنا.

وهكذا فان النقد سلاح ذو حدين، **يفيد عملية الابداع الفني من ناحية ويعطلها من ناحية اخرى.** لان الوعي الذي يكتسبه الاديب من النقد: قراءة او ممارسة يعطل عملية الابداع المتصلة بالجانب الوجداني او الانفعالي. تماما كالطفل الذي يبكي فاذا رأى وجهه في المرآة فانه يكف عن البكاء، اوكالهابط درجات السلم اذا فكر في عملية الهبوط فانه قد يتعثر ويقع. كذلك الفنان اذا ادام النظر في الدراسة الادبية فقد تتعطل مواهب الابداع في نفسه. ولعل هذا كان احد اسباب قلة ما كتبت من قصص من ناحية الكم، كما انه هو نفسه احد اسباب رضائي عنها من ناحية الكيف.

ومن عادتي الا انشر قصة الا بعد ان يقرأها صديق او اكثر. وملاحظات هؤلاء الاصدقاء النقدية اكثر فائدة لي من اي دراسة نقدية. فهؤلاء الاصدقاء بمثابة المرآة بالنسبة لعملي الفني، فيهم ارى عيوب ما كتبت، فاذا اقتنعت بملاحظاتهم، اعدت معالجة القصة آخذا في اعتباري تلك الملاحظات.

لقد قررت منذ بدأت الكتابة الا اجعلها احترافا، فأترك نفسي على سجيتي، اذا كنت اريد ان اقرأ فلا ارغم نفسي على الكتابة، واذا كتبت فلا ارغم نفسي على كتابة قالب معين. وكانت بعض القراءات تخصب ذهني، فلا اتردد في ان اكتب انطباعاتي او آرائي حول اعمال الآخرين اذا كانت لي ملاحظات عليها. كما انه كان

ينتابني الاحساس بأن هناك موضوعات تحتاج الى تغطيتها في رحلتنا التاريخية الادبية لان احدا لم يقم بتغطيتها، فالتاريخ الادبي المحلي يفرض احيانا على الكتاب موضوعات ما كانوا يطرقونها لو ان غيرهم او من قبلهم كانوا قد قاموا بها. ولكن لان تاريخنا الادبي مايزال في مرحلة التكوين فاحيانا ما يحس الكاتب بمسئولية المشاركة في تكوين هذا التاريخ. فمثلا نشرت كتابي **«الصداقة والحب في التراث النثري العربي»** حين وجدت ان هناك فراغا في الاشارة الى هذا الموضوع مع طرافته وجديته وانه يكاد يكون مجهولا - وقتئذ - لمعظم ادبائنا الشبان، فلم استطع ان اكبح جماح نفسي والتجاهل تقديم هذا التراث للقارئ العربي المعاصر مع انه على حساب ابداعي الفني.

ولكن بعد تجربتي في كل من الدراسة الادبية والقصة، فإنه مما لا شك فيه ان القصة تهب الانسان متعة الابداع التي قد لا تهبها الدراسة الادبية رغم اني حاولت - وكما قلت في مقدمة كتابي **«دراسات في الادب العربي المعاصر»** ان اجعل الدراسة النقدية تقترب من العمل الابداعي بحيث تتحطم الحواجز بين النقد والابداع.

النقد اقرب الى الابداع

وهنا نصل الى الارتباط الثالث والاهم بين تجربتي النقد والابداع الفني، **تلك هي المحاولة لان يكون النقد اقرب الى الابداع الفني بحيث تضيق المسافة بينهما حتى ينتهيا الى عملية واحدة.** واعتقد انني اقتربت من هذا الهدف بنسب متفاوتة الا انه تحقق في صورته المثلى في قصتي **«زيطة صانع العاهات»** و **«مصرع عباس الحلو»**، حين اعدت وجود هاتين الشخصيتين الرئيسيتين في رواية **«زقاق المدق» لنجيب محفوظ** بعد ان اضيفت اليهما ابعاد قد لا تتسع لها الرواية

النقد سلاح .. يفيد عملية الإبداع الفني من ناحية ... وهو يعطلها من ناحية أخرى !

رغم انها اكثر امتدادا في الزمان والمكان، وتبرزها القصة القصيرة بما فيها من تكثيف وتركيز. وبذلك كانت هاتان المحاولتان اعادة خلق لشخصيتين فنيتين ابدعهما روائي مناصر آخر.

اما في المحاولات الاخرى فانني كنت افترض ان القارئ احد اثنين: **اما انه لم يقرأ العمل الفني موضوع الدراسة فلابد من اعطائه فكرة عنه حتى يستطيع متابعة الدراسة، واما قارئ سبق له قراءة العمل الفني موضوع الدراسة ويبحث عن جديد غير مجرد تلخيص ما سبق ان قرأ.** وفي محاولة لمخاطبة هذين النوعين من القراء كنت اعيد خلق العمل الفني - الذي كان غالبا ما يكون عملا روائيا - في قالب اقرب الى قالب القصة القصيرة مع تقديمه من خلال رؤية تكشف عن جوانب العمل الفني.

وبوجه عام فان الابداع الفني والنقد متلازمان، وان كنت اعتقد ان العمل الفني الجيد هو الذي يخلق النقد الجيد، **لانه لا نقد بلا فن.** ولو ان التفاعل يستمر بعد ذلك بين النقاد والادباء فيؤثر احدهما في الآخر. فالعمل الفني الجيد يخصب ذهن الناقد ويجعله يتتلمذ عليه ويتعلم منه بدلا من ان يقف منه موقف **«الاستاذية»**. هكذا حدث عندما ظهرت مسرحيات شكسبير مخالفة قواعد المسرح الارسطي التي اساسها الوحدات الثلاث: **الزمان والمكان والحدث**، وهكذا حدث عند ظهور مسرحيات **ابسن** التي صيغت نثرا بدلا من الشعر وكان الرجل العادي بطلها. اما الاعمال التقليدية - التي تضيف كما لا كيفا للتاريخ الادبي - فانها تغري الناقد ان يمارس عليها استاذيته دون ان تلهمه جديدا في ميدانه النقدي. بل كثيرا ما لا يجد ما يقوله فيصمت عنها. **لهذا فالحركة النقدية لا تؤثر في الحركة الادبية فقط لكنها ايضا تتأثر بها، ولا تزدهر حركة النقد الادبي الا الى جانب وجود حركة ادبية مزدهرة. والادباء الذين يرفضون ان يستمعوا الا الى كل متملق مادح لكل حرف كتبوه ليسوا الا ادباء نرجسيين قد حكموا على انفسهم بالعقم والدوران في حلقة مفرغة.**

نحو نظرية نقدية

وهذا يقودني الى الحديث عن **الاسس التي تقوم عليها نظرتي النقدية** سواء عندما اتعرض لاعمال الآخرين او عندما يتعرض الآخرون لاعمالي. فاول هذه الاسس هو ان المجاملة اخطر من الصراحة مهما آلمت. ففي رأيي دائما ان الفنان المخلص لنفسه لا يخرس الاصوات التي تبدي رأيها في عمله حتى ولوكانت تعارضه ما دام هو على يقين انها لا تصدر عن سبب شخصي. ولم يحدث ان رددت على ناقد لم تعجبه احدى قصصي. كنت دائما اقول: **لابد ان شيئا في عملي منعه من الوصول اليه كما كنت اود، في المرة القادمة سأحاول ان اقدم عملا افضل.** وقد ارفض الملاحظات وقد اتقبلها او اتقبل بعضها، لكني لا اعلنها حربا على اديب امسك قلمه وشغل وقته - حتى لو كانت هذه هي مهمته - بعلم لي. ولقد رددت ذات يوم على احد هؤلاء الذين خلعوني من دائرة النقد - وان أبقى في دائرة القصة - لانني تعرضت لاحدى قصصه بنقد لم يعجبه فخاطبته قائلا: **اذا كان الاستاذ**... يرى مشكورا انني قاص، فإن

احد اسباب ذلك يرجع في رأيي الى انني لم اخلع في يوم ما ناقدا عن مكانته لان احدى قصصي لم تعجبه، بل على العكس من ذلك كنت احاول الاستفادة من رأيه، حتى لو رأيت ان هذا الرأي ضحل وان صاحبه لم يفهمني فهذا واحد من جمهوري الذي كتبت له، ولن اصل اليه بالرغم منه او بمجرد استبعاده من دائرة النقاد او الذين اكتب لهم او بالاستعانة عليه بناقد آخر يشرح له عملي (**مجلة الآداب البيروتية، نوفمبر ١٩٦٩، صفحة ٦٨**).

من هنا فإن النقد – في مرحلتنا الادبية الراهنة – **غرم لا غنم فيه**، فمعظم ادبائنا مايزالون حساسين للنقد، اذا كان النقد غير راض عن العمل فإنه قد يتسبب في سخطهم عليه، فاذا كان راضيا عنه فان الجمهور قد يتهمه بالمجاملة، حتى الصمت عن بعض الاعمال – **ربما لمجرد ضيق الوقت لدى الناقد** – يحسب موقفا على الناقد من هذه الاعمال. وفي مقابل ذلك نجد القصة هي الاكثر ربحا بسبب سهولة انتشارها حتى لدى الجمهور غير القارئ كأن تقدم عن طريق وسائل الاعلام المختلفة كالاذاعة والتليفزيون، بل وعن طريق المسرح والسينما احيانا، كما انها تترجم الى لغات اخرى، **فهي اكثر ربحا واكثر جمهورا**، وهو ما لا يتاح للنقد.

اساس اخر يقوم عليه النقد عندي هو ان يكون كشفا عن جوانب العمل الفني متتبعا مساره ثم لا يفرض حكما معينا على القارئ بل يدع له ان يحكم عليه بنفسه ولنفسه، **فهو نقد يدعو القارئ الى المشاركة الايجابية في عملية النقد**. وقد علل بعض النقاد هذا الطابع الذي تتسم به دراساتي بحيادي الذي تعلمته من كتابتي القصصية حيث اكون محايدا بالنسبة لشخصياتي فلا افرض نفسي على تصرفاتهم ولا اجعل صوتي اعلى من اصواتهم والا اصبحوا نسخا مكررة من مؤلفهم.

وقد اعلنت عن هذا الاساس في مقدمة كتابي «**دراسات في الرواية والقصة القصيرة**» الصادر عام ١٩٦٧ حين قلت «**وهذا المنهج لتراث هائل من النقد في حياتنا الادبية المعاصرة عود القارئ على ان يقدم له الحكم الجاهز على قيمة العمل الفني دون ان يطلب منه بذل مجهود كبير من جانبه. ولهذا فان القارئ الذي ألف هذه العادة سيزعجه كثيرا ان يفتقد الاحكام التقييمية في تلك الدراسات، وستزعجه هذه الدعوة غير المباشرة لان يبذل من جانبه مجهودا نقديا لتقييم العمل القصصي في ضوء ما تكشف له من جوانب**».

والواقع انني كنت بذلك احاول ان اجعل النقد الادبي اقرب الى العلم الموضوعي الذي يصف الظاهرات ويحللها دون ان يقيمها، فالماء النقي يغلي في درجة مائة تحت الضغط الجوي في مستوى سطح البحر دون اضافة صفة الخير او الشر الى هذه الحقيقة او هذا القانون. انا اعرف ان اصواتا سترتفع صائحة ان الادب يخالف العلم وما يصح هنا لا يصح هناك بالضرورة، ولكن هذا الاتجاه كان رد فعل لتيار مكتسح صنّف الادب الى اسود وابيض على اساس خارج عنه، ولكن كما يقدم صانع الطعام الوانا من الطعام والمشهيات والمشروبات والحلو ليتذوق كل بما يتفق وشهيته وحالته الصحية وهو مدرك اين الطعام الرئيسي واين فاتح الشهية واين ما يؤكل في ختام الوجبة، كذلك يكون عمل الناقد: عليه ان يقدم رؤيته للقارئ وعلى المتذوق ان يقبل على ما يتفق وشهيته الادبية وهو مدرك لابعاد العمل الذي يتذوقه.

مظهر آخر من مظاهر الحياد الذي آمنت به في العملية النقدية ودعوت اليه وهوجمت بسببه من بعض النقاد حيث فهموه على انه نوع من المهادنة، (**انظر: النقد الادبي الحديث اصوله واتجاهاته للدكتور احمد كمال زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢، صفحة ١٢٥**) ذلك انني رغم ايماني بما يعرف بالنقد المتكامل اي النقد الذي يتناول العمل الادبي من نواحيه الجمالية والاجتماعية والنفسية والتاريخية...الخ وعلى قدم المساواة كلما امكن ذلك، الا ان العمل الفني – وليس الناقد – يمكن ان يفرض تغلب احد هذه النواحي على بقيتها، فالقصة النفسية – مثل السراب لنجيب محفوظ – **تغلب المنهج النفسي**، والقصة الاجتماعية – كالثلاثية – تغلب المنهج الاجتماعي. اي ان الناقد لا يجب ان يفرض مقياسا مسبقا على كل ما يتعرض له من اعمال فنية اذا اتفقت وهذا المقياس حازت رضاءه واذا اختلفت معه اخرجها من نطاق الادب، **وهذا هو معنى قولي ان يتتلمذ الناقد على العمل الفني ولا يمارس استاذيته عليه**. ومع ذلك فانني اعتقد ان العمل النقدي – **كالعمل الفني** – كلما كانت له ابعاده الجمالية والاجتماعية والنفسية كان اكثر عمقا.

مظهر آخر من مظاهر هذا الحياد النقدي هو ان يكون الاستشهاد بالنصوص جزءا جوهريا من العملية النقدية، وقد اعلنت ذلك اكثر من مرة، في مقدمة كتاب «**الصداقة والحب**» قلت انني في الوقت الذي كنت احاول فيه ان اقوم بدراسة ما اعرض له من موضوعات، كنت احرص على ان

الحركة النقدية لا تؤثر في الحركة الأدبية فقط، ولكنها تتأثر بها أيضًا!

اقدم للقارئ افكار من اعرض لهم باسلوبهم حتى يستطيع ان يكوّن رأيا له عن هذا التراث بطريق مباشر دون كبير تدخل، وحتى يدرك انه ليس جافا على النحو الذي يتوهمه، وحتى يدرك طواعية اللغة العربية للتعبير عن ادق الخلجات النفسية. وان ما يقال عن قصورها ليس الا قصورا ممن يتكلمها في التعرف عليها والالفة بمفرداتها وتراكيبها.

ومعنى هذا – مرة اخرى – انني اعطي القارئ فرصة للحكم بنفسه ولنفسه حين اقدم له النصوص مباشرة ويتوارى قلمي من حين لآخر.

نحو منهج نقدي جديد

وهذا يقودنا الى الحديث عن **منهجي النقدي** الذي كان اساسه الدعوة الى ان العمل الفني ليس الا ابن بيئته الفنية، وان كثيرا من جوانبه تتكشف لنا حين نربطه بهذه البيئة، وهذا الربط يتم بخطوات ثلاث:

اولها: بيان موضع العمل الفني من التاريخ الادبي للمؤلف نفسه .. هل هناك بذور للعمل الفني فيما سبقه من اعمال .. بذور الاسلوب او الموضوعات او الشخصيات .. وقد سبق ان نبه الى هذه العدوة الاستاذ **توفيق الحكيم** في مقدمته لمسرحيته **(اوديب)** منذ زمن بعيد. وهذه الخطوة من شأنها ان توضح ما اذا كان للكاتب فلسفة او وجهة نظر يلتزمها في كتاباته، وما تحقق فيها من تطورات روحية وفكرية وتعبيرية.

وثانيها: بيان مكانة العمل الفني بالنسبة للاعمال الفنية المشابهة في ادبنا المحلي، ودلالة هذا التشابه فنيا وجماليا اذا شئنا، وموضوعيا واجتماعيا اذا شئنا، او هما معا. وهذه الخطوة من شأنها ان توضح ما اذا كانت لدينا مدارس ادبية وما هي اتجاهاتها الرئيسية.

> الناقد لا يجب أن يفرض مقياساً مسبقاً على كل ما يتعرض له من أعمال فنية، إذا اتفقت وهذا المقياس حازت رضاءه، وإذا اختلفت معه أخرجها من نطاق الأدب.

واخيرا: بيان مكانة العمل الفني بالنسبة للاعمال الفنية في الادب العالمي، ان كان هناك مجال لذلك، وهذه الخطوة من شأنها ان توضح مدى صلتنا بالتراث العالمي من ناحية، ومدى اصالتنا الادبية من ناحية اخرى، كما انها تيسر الطريق لعلماء الادب المقارن.

فكل عمل ادبي ليس الا خلية من خلايا الحركة الادبية، وعزله عن هذه الحركة لا يؤدي الا الى عدم التعرف الكامل عليه، وعلى مكانته الفنية الحقيقية.

وقد وجدت ان هذا الاتجاه يتطلب بذل مجهود اكبر مما يبذل عند مجرد الاقتصار على العمل الادبي الذي امامنا، وان تحقيقه يتطلب مراجعة اعمال الكاتب ومتابعة الانتاج المحلي فضلا عن الاحاطة الشاملة بالتيارات الرئيسية في العالم. لكنني وجدت اني استطيع بفضله ان اكون اكثر تذوقا للعمل الادبي، كما ان انتاجه يجعل دراساتنا الادبية اكثر حيوية ووضوحا، ويمدها بشرايين جديدة ودم جديد لا ينفد منبعه، كما انه يهب ادبنا النظرة الشامله، ويجعل منه كلا متكاملا.

واتضح لي كذلك ان هناك سبيلين للتذوق الادبي – **وربما للتذوق الفني بوجه عام** – اما السبيل الاول المعروف فهو الذي يلجأ اليه الناقد التقليدي حين يستطيع بثقافته وذكائه وخبرته ان يحلل العمل الفني موضوعيا وان يصل الى نتائج عقلية مرضية. اما السبيل الآخر فحين يعشق المتذوق – ولا اقول الناقد – العمل الادبي، فيداوم على تأمله ويعيد النظر فيه ويعايش كل ما يتعلق به على النحو الذي ذكرناه سابقا: **ما كتب عنه وما كتب مثله وما يذكره به**. فبالاضافة الى ما يتمتع به المتذوق من ثقافة ودربة، فانه ما يلبث ان يصبح **(عارفا)** بالعمل الادبي، بل انه يحصل على ثقافته ودربته اثناء **(سلوكه)** هذا السبيل، حتى يكشف له العمل عن اسرار لا يبوح بها الا لمستحقيها. فصداقتنا للعمل الادبي تتيح لنا **(الوصول)** الى ما لا يمكن الوصول اليه بأية وسيلة اخرى. وهكذا تضيق المسافة بين العمل الفني وتذوقه بحيث ينتميان في النهاية الى عملية واحدة هي عملية **(الابداع الفني)**.

ومن مراجعة كتاباتي النقدية اتضح انني اركز على نقاط معينة في العمل موضوع الدراسة، لعل ابرزها:

١– إلقاء الضوء على العالمين الداخلي والخارجي للشخصيات: العالم الداخلي بما فيه من ذكريات يثيرها الحاضر وتنتمي الى الماضي وهو يتدرج ابتداء من الكلام الذي نعده قبل ان نهم بالنطق به فتسقط عنه حروف العطف واسماء الوصل، الى حلم اليقظة فحلم الليل فالكابوس والهذيان. ثم العالم الخارجي يمثله المكان وما فيه من محسوسات، وينعكس في اللغة بوجود الروابط اللغوية والتسلسل المنطقي والترتيب الزمني، فوجود هذه الروابط يردنا الى عالم الوعي بينما اسقاطها يبعدنا عنه. ومن هنا كان الاهتمام ايضا باللغة وما لها من دلالة.

٢– دلالة استخدام الضمائر، فغلبة ضمير المتكلم على القصة يجعلها اقرب الى الاعتراف وما يتضمنه الاعتراف من تعبير عن الضعف الانساني. فلحظة الاعتراف في

حياة الانسان – حتى وان احتاجت الى شجاعة احيانا – يكون هدفها التخفف من توتر ناتج عن الفشل في التكيف مع موقف واجهه ويواجهه. ومن هنا كانت الدلالة الفنية لاستخدام ضمير المتكلم لا سيما اذا كان صاحبه هو بطل القصة وليس مجرد راو لاحداثها. فاستخدام ضمير المتكلم عنصر هام من عناصر ابراز طبيعة الشخصيات التي تواجهها ضغوط وظروف اقوى واقسى منها فلا تملك وسيلة لاعادة توازنها المختل الا بالافضاء الى الآخرين.

واحيانا ما يكون هناك اكثر من ضمير للشخصية الرئيسية، ولكن ضميري المخاطب والغائب يظلان ملاصقين للشخصية الرئيسية فهي اما تحدث نفسها او تتحدث عن نفسها ولا يكون استخدامها الا ضربا من التنويع تجنبا للرتابة.

٣– للسهو والخطأ دلالتها، ولا اقصد الخطأ المطبعي، فاذا كان اسم الشخصية **مصطفى مختار** وكتب **مصطفى محتار** فهذا واضح انه خطأ مطبعي، ولكن اذا كتب **مصطفى عبدالباري** (كما جاء في «قصة نفس» **للدكتور زكي نجيب محمود**) فهذا ليس خطأ مطبعيا انما هو ارجح الظن خطأ سيكلوجي، فلعل هذا هو اسم الشخصية الواقعية المأخوذة عنها الشخصية الفنية. وفي نفس هذه القصة اكثر من فلتة – **ولا اقول خطأ** – فيما يتعلق بعمر شخصيتين رئيسيتين. فالمؤلف ذكر في موضع ان الاحدب في الخمسين من عمره بينما ذكر في اكثر من موضع انه في الخامسة والاربعين وان الراوي هو الذي في الخمسين، بل انه حدد الفارق بينهما بخمس سنوات. **وليس لهذه الفلتة الا دلالة واحدة هي ان الاحدب والراوي شخصية واحدة جعل المؤلف منهما شخصيتين وفرق بينهما ولجأ – فيما لجأ – الى فارق العمر.**

٤– وجود نهاية القصة في بدايتها له عدة اسباب منها اثارة عنصر التشويق لدى القارئ الذي يريد ان يعرف كيف افضت الاحداث الى تلك النهاية. ومنها بيان اهمية النهاية وخطورتها فيجعلها الكاتب في الصدارة وبقية القصة ليست الا بيانا للاسباب التي ادت اليها. واحيانا اخرى تؤدي هذه الطريقة الفنية وظيفة جمالية حين تبدأ القصة بافتتاحية ما نلبث ان نلتقي بها في نهايتها.

٥– نظرية جبل الثلج العائم، وهي النظرية التي قامت عليها دراستي حول اللامعقول في ادبنا المعاصر. وملخصها ان التاريخ الادبي لا يتكون مما تم نشره فقط بل ان ما ينشر منه انما تسبقه محاولات لم يقدر لها النشر لجدتها وغرابتها بالنسبة للناشرين وجمهور القراء على السواء، ولكن هذا لا يمنع من انها كتبت وربما قرئت على جمهور محدود. ومعنى هذا ان كل اتجاه ادبي يقدر له الذيوع والانتشار يمر بمرحلة سابقة تقف عند مجرد التدوين لا النشر من قبل مغامرين متمردين يهمهم التجديد اكثر مما يهمهم النشر. وقد كان هذاهو اساس دراستي حيث استطعت الحصول على عدد كبير من هذه الوثائق المكتوبة والتي لم يقدر لها النشر والتي اوضحت ان اي اتجاه ادبي يقدر له الذيوع لا ينشأ فجأة من عدم.

هل من اساس علمي لحركتنا النقدية ؟

واهم دعوى تشغل تفكيري هي الدعوة الى **وضع اساس علمي** لحركتنا النقدية، ويتمثل هذا الاساس العلمي في ثلاثة جوانب:

* * اول هذه الجوانب اعداد قوائم ببليوجرافية لانتاجنا الادبي، اي قوائم تشمل كل ما نشر من انتاجنا في الرواية والقصة القصيرة والدواوين الشعرية والدراسات الادبية الى جانب عمل فهارس موضوعية لكل ما ينشر في مجلاتنا الادبية، فهذه القوائم والفهارس هي الف باء النقد لانه يتيح للناقد ان يكون بين يديه دليل يستطيع منه ان يتعرف على تفاصيل الحركة الادبية ولا يضطره الى ان يقوم بمجهود شخصي قد يصيبه التوفيق وقد يجانبه في التعرف على مختلف الانتاج الادبي، فيكون كمن يريد ان يعرف رقم هاتف بدون ان يكون لديه دليل هاتف. وبذلك فاننا نجعل نقادنا اليوم يجمعون بين مهمتين قد لا يكونون مهيئين لاحداهما وهما مهمة التجميع ثم مهمة الدراسة بعد ذلك.

* * ثانيا وضع دائرة معارف ادبية للتعريف بحركتنا الادبية قديمها وحديثها فتكون هذه الدائرة بمثابة الخريطة الادبية التي بها يستطيع اي ناقد ان يتعرف على الملامح الاولية لاي موضوع يريد ان يقدم على دراسته لا سيما اذا كانت مواد هذه الدائرة مذيلة بمراجع عنها تقود الناقد الى قراءتها والتعرف منها على مراجع اخرى لبحثه.

* * **وثالثا هو التأريخ لفنوننا الادبية،**

كل عمل أدبي ليس إلا خلية من خلايا الحركة الأدبية، وعزله عن هذه الحركة لا يؤدي إلا إلى عدم التعرف الكامل عليه، وعلى مكانته الفنية الحقيقية.

نظرية "جبل الثلج العائم" تعني أن التاريخ الأدبي لا يتكون مما تم نشره فقط!

والتأريخ ليس معناه مجرد تجميع للنشاط الادبي المختلف ولكنه عمل نقدي في جوهره لانه يرتب هذا النشاط زمنيا وبالتالي يوضح تأثر وتأثير كل عمل ادبي، كما انه يقيم هذه الاعمال ويبرز الهام منها. ولعلنا خطونا في هذه الخطوة الثالثة اكثر مما خطونا في الخطوتين الاوليين، فظهر اكثر من كتاب يؤرخ للرواية المصرية والقصة القصيرة في مصر وفي غيرها من الدول العربية.

هذا هو الأساس لقيام حركة نقدية ادبية سليمة. وبعد هذا يمكن ان نحاسب النقاد على نشاطهم. ولهذا فان النقد حتى اليوم مجرد مجهودات مبعثرة متروكة لجهود فردية بينما الاساس الذي تكلمت عنه يتطلب تضامن هيئات في كل بلد عربي وفي البلاد العربية معا.

الناقد والجمهور

ولعل اهم مشكلة نقدية استرعت انتباهي هي تلك الفجوة بين ما يعجب به الناقد وما يعجب به الجمهور. وهناك امثلة قليلة في التاريخ الادبي والفني استطاع اصحابها العباقرة ان يجمعوا بين اعجاب الجمهور والنقاد معا، او بين الدنيا والآخرة كما يحلو لي ان اقول حيث الدنيا في حياة الكاتب هي اقبال الجماهير ووسائل الاتصال الجماهيرية من اذاعة وتليفزيون وسينما على قصصه ومسرحياته مما يعود عليه بالشهرة والمال اللذين يستمتع بهما في حياته، اما الآخرة فهو اعجاب النقاد به اعجابا يضمن له خلود اسمه بعد موته، فان اتسعت الدائرة في حياة الاول فهي تطول على مر التاريخ الادبي بالنسبة للثاني. ولعل **شارلي شابلن** – كمثال – قد استطاع ان يجمع بين الاثنين، فالجمهور يعجب بافلامه ويجد فيها مادة ترفيهية، كما ان المثقفين والنقاد يجدون فيها ما يثير قضايا تهمهم وتساؤلات تجيب عليها هذه الافلام. وربما كان **نجيب محفوظ**



في ادبنا المصري المعاصر يمثل هذاالتوازن بين ارضاء النقاد وارضاء الجمهور. وفيما عدا هذه الحالات القليلة فالمعادلة صعبة بحيث ان كثيرا من الكتاب يعلنون ان الكتاب الذي يعجب النقاد هو اقل كتبهم رواجا، وبالعكس فان الكتاب الذي يلقى اعظم رواج لا يلتفت اليه النقاد.

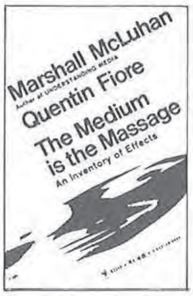
اما بالنسبة لي فان لديّ شرطا اساسيا لكل فن جيد، ذلك الا يكون تكرارا لما سبق، فالفن الذي يقلد سابقه – حتى وان حقق كل الشروط والقواعد الفنية – يضيف كما ولا يضيف كيفا. لهذا لابد وان تكون هناك اضافة جديدة، تجاوز القواعد التقليدية وتقديم رؤيا جديدة لها قواعدها الجديدة، وهو يكون بذلك متفقا مع منطق الحياة التي لا تقلد نفسها ابدا، والتي تتمثل في تحسر المسنين على ايام شبابهم الذهبية بينما احفادهم يكيفون حياتهم بما جد من اوضاع.

وحبذا لو استطاع الفنان الا يكرر نفسه في كل عمل فني جديد يقدمه، او – على الاقل – ان تكون له مراحل، اذا استنفد موضوع مرحلة وشكلها الفني كانت له القدرة على الانتقال الى موضوع جديد يخلق قالبه الجديد، وهكذا يظل – كالحياة – دائم التطور والتجدد، والاتجمد ولم يجد فيه قارؤه الا تكرارا لمن سبقه ولاعماله هو نفسه السابقة.

ولكن الفن الجيد وان كان يجب الا يكون تكرارا لما سبقه حتى يشعر المتذوق انه يتلقى جديدا، الا انه من ناحية اخرى يجب الا يكون غامضا يحول دون عملية التذوق. ان الفن مثل شعرة معاوية اذا ارخاها الناس شدها واذا شدوها ارخاها. ذلك لان المتلقى لن يتهم نفسه ابدا بالجهل بل سيتهم الفنان بالتعقيد.

وختاما فانني احاول ان يكون نقدي نقدا ايجابيا بمعنى انني اختار العمل الادبي الجيد للكاتب واتناوله بالدراسة، بحيث يكون هذا الاختيار نوعا من التوجيه غير المباشر للكاتب، وتشجيعا له على استثمار مواهبه بادراك مواطن الاجادة. ومن ثم يدرك ان اعماله الاخرى لا ترقى الى نفس مستوى هذا العمل الذي اخصب ذهن الناقد ووجدانه.

رحلة في كتاب



الوسـيلة هي الرسـالة

تأليف :

مارشال ماكلوهان

عرض وتحليل :

علي شلش

أنا أسمع ...

أنا أرى ...

إذن أنا ...

موجود في قرية ..

اسمها :

العالم

انا اسمع ، انا أرى .. اذن انا موجود في قرية اسمها : العالم. هكذا كان سيقول الفيلسوف «رينيه ديكارت» صاحب القول المشهور او «الكوجيتو» كما يقول اهل الفلسفة : «انا افكر اذن انا موجود».

كان ديكارت سيغير رأيه لو ان الحياة امتدت به الى يومنا هذا ، وسمع الراديو وشاهد التليفزيون. فعصرنا هذا بلغة علماء الاتصال هو عصر الراديو والتليفزيون .. عصر التكنولوجيا الالكترونية والكهربائية ، ولهذا فهو عصر الذبذبات والترددات والتوترات.

واذا كان الراديو والتليفزيون هما البديل العصري للاذن والعين ، فقد صارا اليوم عضوين اساسيين في الوجه الاجتماعي لاية امة ، وصار وضعهما كوضع الأذن والعين في الوجه الانساني .. لا غنى عنهما ولا بديل لفقدهما.

الراديو والتليفزيون هما احدث وسيلتين من وسائل الاتصال ، وهما ايضا اخطر وسيلتين في عصرنا هذا ، برغم عمرهما المحدود بالقياس الى وسائل الاتصال الاخرى ، كالصحافة والسينما والمسرح والكتب.

والكتابة عن وسائل الاتصال عامة مسألة تبدو سهلة ومغرية



رحلة في كتاب



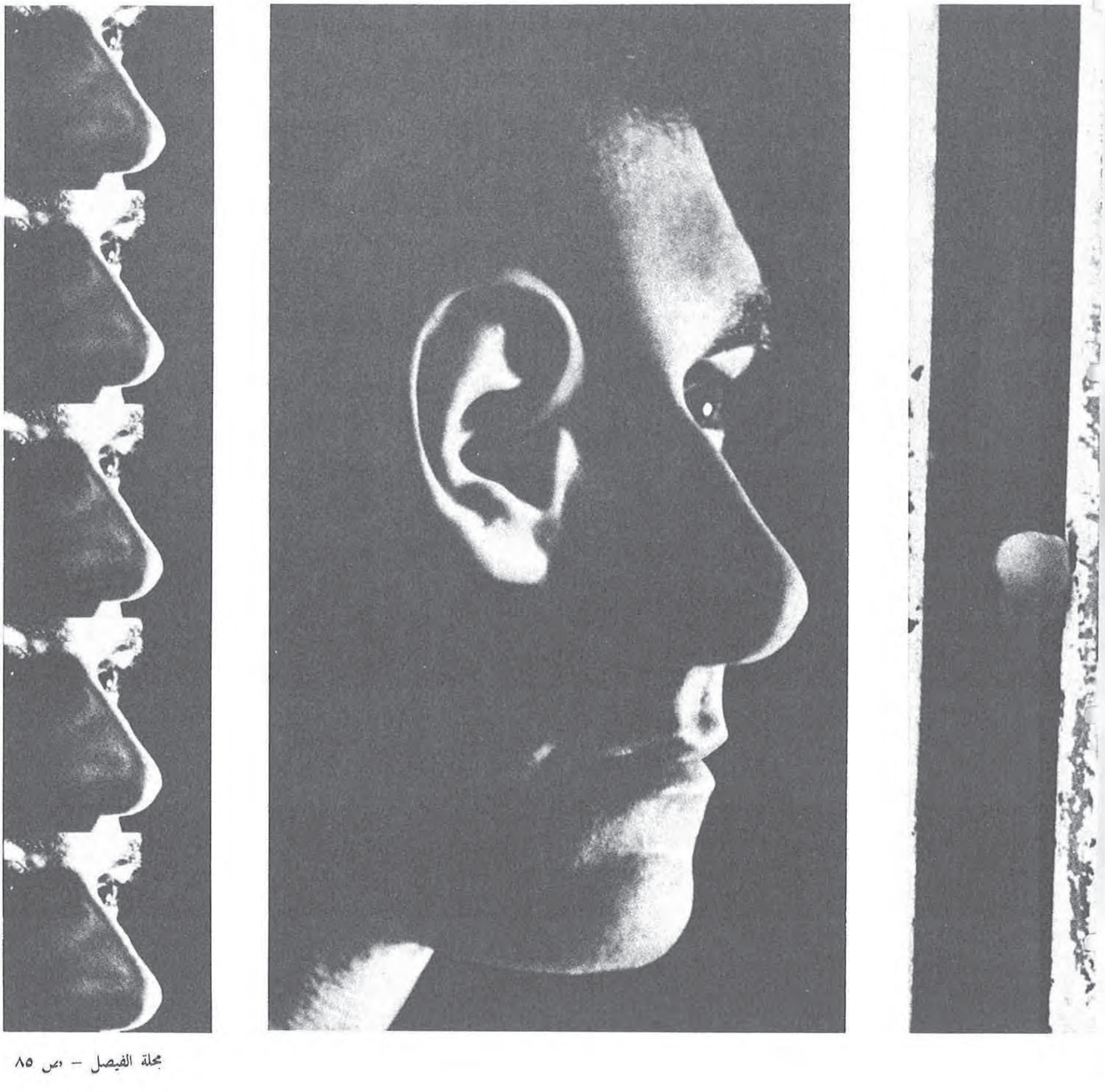
للوهلة الاولى، ولكنها في الحقيقة مسألة في غاية الصعوبة. وأهم مظاهر صعوبتها انها «تتصل» بكافة العلوم الانسانية والاجتماعية من تاريخ وجغرافيا وفلسفة الى منطق واقتصاد واجتماع وسياسة، الخ. فضلا عن «اتصالها» بكثير من العلوم التجريبية والعلمية ولهذا فهي تستلزم نوعا من التخصص المعادي للتخصص اذا صح التعبير. اي تستلزم معرفة متخصصة بالمعنى التقليدي للكلمة. واذا توافر هذا الشرط الاخير صارت الكتابة عن وسائل الاتصال متعة حقيقية للكاتب والقارئ على السواء.

* * *

هذه المتعة الحقيقية نجدها عند كاتب واستاذ جامعي يعد اليوم واحدا من كبار مثقفي العصر ومفكريه.

اسمه: مارشال ماكلوهان.

وظيفته: مدير مركز الثقافة والتكنولوجيا التابع لجامعة تورنتو بكندا عمره ٦٦ سنة. درس الهندسة، ثم درس الادب، وحصل على الدكتوراه في الادب من جامعة كيمبريدج عام ١٩٤٣، وعمل استاذا بعدة جامعات امريكية. ولكنه لم يؤلف سوى اربعة كتب، جميعها عن الاتصال ووسائله كما يتضح من عناوينها:



رحلة في كتاب

** العروس الآلية.
** عالم جوتنبرج.
** كيف تتهم وسائل الاتصال.
** الوسيلة هي الرسالة.

ويعتبر الكتاب الاخير هنا خلاصة مركزه لاراء ماكلوهان وتأملاته العميقة في الاتصال والثقافة والاجتماع. كتبت عنه مجلة فورتشن FORTUNE الامريكية: «انه تجربة جديدة عظيمة، تستكشف عالمنا الجديد وتمتحنه وتحلله بالبصيرة النافذة والصور .. والفكاهة».

الكتاب صغير الحجم، يتكون من ١٦٠ صفحة من القطع الصغير، ثلثها تقريبا كلام والباقي صور فوتوغرافية معبرة وناطقة تسهم في توصيل المعنى وتوضيحه وقد قام بتنسيقها واخراجها كونتيني فيوري مصمم الاغلفة ومتان اخراج الكتب الامريكية المعروف. واعترافا بجهد فيوري في اخراج الكتاب وضع ماكلوهان اسمه على الغلاف تحت اسمه مباشرة، وكأنه شريك في التأليف، الكتاب ايضا طريف ومثير في آن واحد، ،ابتداء من عنوانه الذي يعني حرفيا «الوسيلة هي المساج» اي «الوسيلة هي التدليك» .. تدليك العقل والحواس. ولكن معناه الحقيقي كما يتضح بعد ذلك، وكما اوضحه ماكلوهان في كتبه السابقة، هو «الوسيلة هي الرسالة» اي ان طبيعة وسيلة الاتصال هي اهم شيءٔ في عملية الاتصال، وليس المضمون الذي تحمله، وان اداء الوسيلة وطريقة قيامها بعملها هو في النهاية رسالتها. ومن هنا تصبح الوسيلة هي نفسها الرسالة المقصودة من عملية الاتصال.

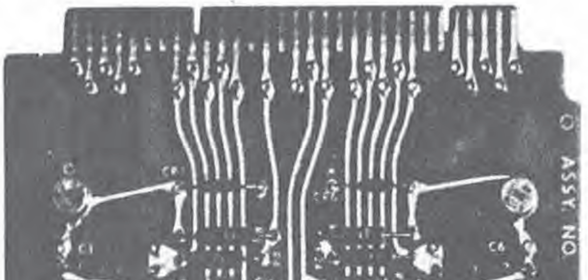
وماكلوهان يكتب بأسلوب يستفز القارئ، وهو يختزل في العبارة الواحدة عدة عبارات، ولهذا فكتابه وعباراته في حاجة الى الشرح، لان هذا العبارات القصيرة المختزلة تشبه في النهاية الحكم والاقوال المأثورة التي يستخلصها اصحابها من تأملاتهم وتجاربهم. ولأن ماكلوهان يريد من قارئه ان يفكر معه، وان يشترك معه، فهو يلجأ الى هذا الاسلوب الاختزالي المستفز للتأمل والتفكير كما سنرى بعد قليل ولانه ايضا يريد من القارئ ان يشاركه فهو لا يريحه وانما يدفعه باستمرار الى ان يبذل في القراءة مجهودا غير عادي .. عليه مثلا ان يعكس الصفحة احيانا كي يقرأ السطور المعكوسة عمدا، او ان يتتبع جملة واحدة موزعة على عدة صفحات. في اعلى صفحتين متقابلتين تقرأ كلمة «الكتاب» موزعة على الصفحتين معا بحيث نجد المقطع «الـ» في صفحة والمقطع «كتاب» في الصفحة المقابلة. وعلى ارضية الصفحتين تطالعنا صورة كبيرة لابهامين يضغط كل منهما على احدى الصفحتين. وعلى الصفحتين التاليتين تطالعنا صورة كبيرة لعين بشرية مفتوحة، وفي اعلاها بقية الجملة موزعة على الصفحتين: «امتداد للعين»، وبهذا تتم الجملة وفي احيان اخرى تخلو الصفحات الا من الصور، او تقرأ بالعرض، او لا تقرأ على الاطلاق.

* * *

والان ماذا يقول ماكلوهان بأسلوبه هذا في كتابه هذا ؟

انه يبدأ كتابه بعبارة مقتبسة من العالم أ. هوايتهيد، يقول فيها: «ان مظاهر التقدم الرئيسية في الحضارة ليست سوى عمليات تقوم بتحطيم المجتمعات التي تحدث فيها» ثم تلي هذه العبارة المثيرة مقدمة اكثر اثارة يستهلها بقوله:

«ان وسيلة او عملية الاتصال في عصرنا – اي التكنولوجيا الالكترونية – تعيد تشكيل انماط الاعتماد الاجتماعي على الغير، كما تعيد تشكيل وترتيب كل مظهر من مظاهر حياتنا الشخصية. انها تجبرنا على اعادة التأمل والتقييم – بصورة عملية – لكل



فكرة وكل تصرف وكل مؤسسة سبق لنا التسليم بها. ان كل شيء في حالة تغير - انت، اسرتك، جيرتك، تعليمك، وظيفتك، حكومتك، علاقتك بالغير. كل ذلك يتغير بطريقة درامية مؤثرة».

ويمضي ماكلوهان قائلا باطمئنان الواثق:

«كانت المجتمعات تتشكل دائما تبعا للوسائل التي يتصل بها الناس اكثر مما تشكل تبعا لمضمون الاتصال - فالابجدية مثلا هي تكنولوجيا يستوعبها الطفل الصغير بطريقة لا واعية تماما، بالنضج اذا صح التعبير. والكلمات ومعانيها تجعل الطفل ميالا الى التفكير والتصرف تلقائيا بطرق معينة .. اما تكنولوجيا الابجدية والطباعة فقد تبنت وشجعت عملية التجزئة والتخصص والانفصال. واما التكنولوجيا الالكترونية فتتبنى وتشجع الاتحاد والمشاركة والمساهمة. ومن المستحيل ان نفهم التغيرات الاجتماعية والثقافية بدون ان نعرف عمل وسائل الاتصال وطريقة ادائها».

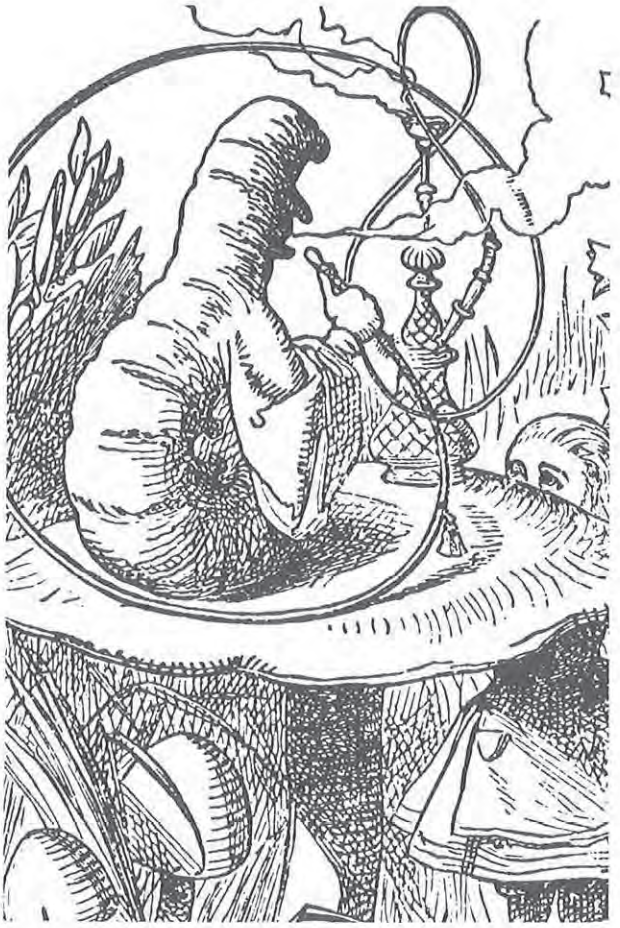
في العبارة الاخيرة يكمن بيت قصيد كما يقولون. فماكلوهان يؤمن بوجود صلة وثيقة بين الاتصال التكنولوجي والتغير الاجتماعي. ويؤمن ايضا بأن اي تحول اساسي في الاتصال التكنولوجي يكون بمثابة اشارة البدء بالنسبة للتحولات الكبرى التي تأتي بعد ذلك في بنية المجتمع وحواس الانسان على السواء. كما يؤمن بأن وسائل الاتصال التي يستخدمها المجتمع او يضطر الى استخدامها هي التي تحدد هذا المجتمع وطريقة سلوكه. ولكن الانسان مطالب في رأيه بمعرفة اكبر قدر ممكن من المعلومات عن وسائل الاتصال حتى لا يقع فريسة لاستغلال التقدم التكنيكي، وحتى يستطيع السيطرة على بيئته.

ونعود لمقدمة ماكلوهان التي يمضي فيها قائلا:

«ان ألواناً لا حصر لها من الاضطراب واحساسا عميقا باليأس يظهران على نحو ثابت لا يتغير في فترات الانتقال التكنولوجية والثقافية الكبيرة. وعصرنا، وهو «عصر القلق»، هو في معظمه قد نتج عن محاولة أداء عمل اليوم بأدوات الامس وبمفاهيم الأمس».

«ان الشباب يفهم الظروف المحيطة الحالية بطريقة فطرية - ظروف الدراما الكهربائية الموجودة على نحو خيالي وعميق. وهذا هو سبب الغربة الكبيرة بين الاجيال، وسبب الحروب والنهضات المدنية عبارة عن سطوح بينية داخل البيئات الجديدة التي تخلقها الوسائل الاعلامية الكهربائية.

«ان عصرنا هو عصر تخطي الحدود والحواجز، عصر محو



التصنيفات القديمة، عصر التعمق والتحري والتدقيق.

ومع حرص ماكلوهان الشديد على التسلح بهذه النظرة العلمية، الا انه لا يرفض هذه «الفرصة الفريدة» - على حد قوله - التي يتيحها عصرنا للتعلم عن طريق الفكاهة والدعابة. «ضرب نكتة لاذعة تكون ذات معنى وهدف اكثر مما تتيحه التفاهات التي قد نجدها بين دفتي كتاب».

ومع هذا فها هو ماكلوهان يربط بين وسائل الاتصال العصرية الجديدة وبين كونها ظروفا محيطة او بيئات، بمعنى ان هذه الوسائل تصنع مع الوقت ظروفا محيطة وبيئات تؤثر في الانسان الذي يعيش فيها. وهنا يكمن بيت قصيد آخر في فكر ماكلوهان ونظرياته.

ومع هذا ايضا يكون كتابه ذاك - نظرة على ما حولنا لرؤية ما يحدث. ولكنها نظرة متغيرة، وقابلة للتغير، لان مواجهة ما يحدث بوجهة نظر ثابتة لا تتغير تجعل الوجود في رأيه امرا متعذرا.

ان ماكلوهان يمضي بعد ذلك في تأمل او رؤية هذا الذي يحدث حولنا، ويلقي علينا الفكرة تلو الفكرة، كمن يلقي الحجر على ماء ساكن.

الكهرباء .. ومفاهيم جديدة

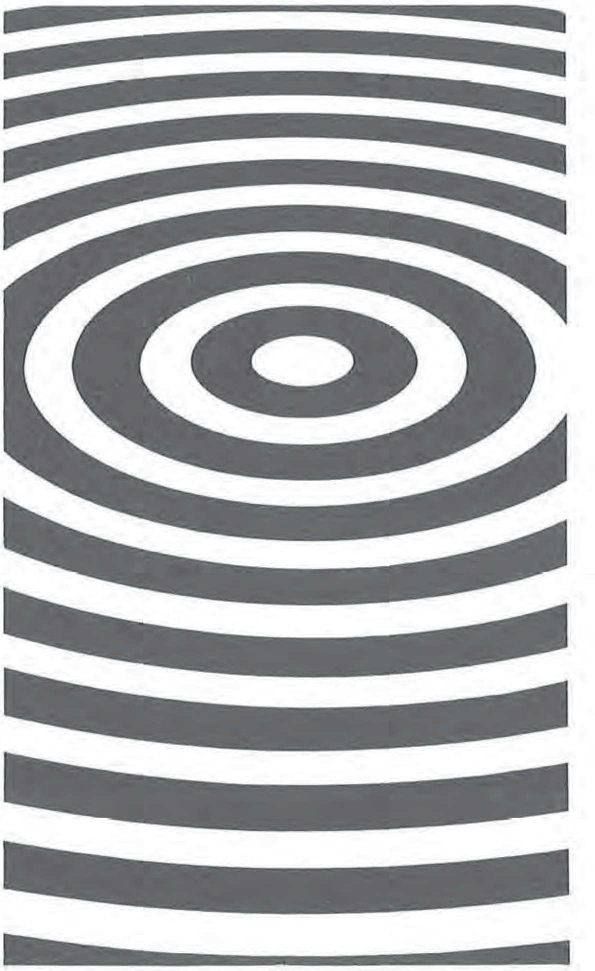
لقد قلبت مجموعة الدوائر الكهربائية نظام الزمان والمكان، وصبت فوقنا – في الحال وبلا انقطاع – متعلقات جميع البشر الاخرين، وأعادت تشكيل الحوار على نطاق الكرة الارضية .. ان رسالتها هي «التغير الكلي»، وهي تنهي ضيق الافق السيكلوجي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي .. وهكذا لم تعد التجمعات المدنية القديمة على مستوى الدولة والامة صالحة للعمل .. لقد انتهى عصر الجمهور القديم ذي الاراء المستقلة المتميزة، وظهرت الجماهير كقوة قادرة على المساهمة والمشاركة حتى في داخل حجرات الجلوس التي تحولت الى حجرات اقتراع. وبدأت المشاركة عن طريق التليفزيون في مسيرات الاستقلال والحروب والنضال وغير ذلك، بدأت في تغيير كل شيء.

ان البيئة الجديدة التي خلقتها وسائل الاتصال الجديدة بيئة تجبرنا على الالتزام والمشاركة. فكثيرون من الناس يعرفون اكثر من اللازم عن بعضهم البعض، لان وسائل الاتصال لا تتركنا وشأننا، بل لا تترك فينا جزءا دون ان تمسه او تؤثر فيه او تغيره. ولهذا يستحيل فهم التغير الاجتماعي والثقافي دون معرفة الطريقة التي تعمل بها وسائل الاتصال باعتبارها ظروفا محيطة بنا.

وجميع وسائل الاتصال عبارة عن امتدادات لبعض الوظائف الانسانية – النفسية والجسدية. فالعجلة امتداد للقدم، والكتاب امتداد للعين، والملابس امتداد للجلد، ومجموعة الدوائر الكهربائية امتداد للجهاز العصبي المركزي. ووسائل الاتصال بتغييرها للبيئة، او الظروف المحيطة تثير فينا نسبا فريدة من الادراك والملاحظة الحسيين. فامتداد أية حاسة يقوم بتغيير تفكيرنا واسلوب تصرفاتنا والطريقة التي تفهم بها العالم ايضا. وعندما تتغير هذه النسب يتغير الناس.

عالم الكتابة

لقد عاش المجتمع البشري على الاذن والسماع فترة طويلة من تاريخه، وكانت الاذن طريقا للمعرفة الانسانية. ثم بدأ العالم السحري للاذن في الانهيار عندما خضعت الاذن للعين بعد ظهور المطبعة. وصار الرجل العاقل في الثقافة الغربية رجلا بصريا. والى وقت اختراع الكتابة عاش الانسان في فضاء صوتي: بلا حدود او اتجاهات او افق، عاش في ظلام العقل،



في عالم العاطفة، بالحدس البدائي والرعب .. وكان الكلام هو الرسم البياني الاجتماعي لهذا المستنقع.

وبظهور الكتابة ظهرت ريشة الاوزة التي سجلت نهاية الكلام وألغت الاسرار، وولدت العمارات والمدن، وشقت الطرق، وجيشت الجيوش، وأقامت البيروقراطية، وكانت الرمز الاساسي لتحرك الحضارة من الظلام الى النور. وبظهور المطبعة تأكد البعد البصري الجديد لحياة الانسان. واوجدت المطبعة بدورها الكتاب الصغير الذي تحمله اليد فمكن الناس من القراءة على انفراد وانعزال عن بعضهم البعض وبالمطبعة أمكن للانسان ان يستوحي وان يتآمر واضاف الكتاب المطبوع الكثير الى افكار الفرد الجديدة. وساهم في ايجاد عالم من النماذج والاطر. ولكن عالم وسائل الاتصال الكهربائية الجديد يشركنا جميعا، وفي وقت واحد، فيما يحدث حولنا، ولا يسمح بالانفصال او النماذج.

هذا العالم الجديد عبارة عن طفرة عالمية، احدثها تحدث في وقت واحد وبهذا عدنا مرة اخرى الى المكان الذي يسيطر



عليه الصوت. وعدنا مرة اخرى ايضا الى العواطف القبلية التي فصلتنا عنها بضعة قرون من التعليم.

كل هذا تم بفعل الكهرباء التي اشركتنا بعمق مع بعضها البعض، وجعلت المعلومات تنصب علينا فورا وبلا انقطاع. وتكاد المعلومات لا تصل الينا حتى تستبدل بمعلومات اكثر جدة. وهنا لا يوجد وقت للتصنيف او التسلسل.

انه عصر نهاية السطر المطبوع.

كل شئ صار اليوم يتصارع مع وسائل الاتصال الجديدة، مثل الاحتراف والمسرح والتعليم.

والتعليم مثلا لابد ان يتغير وان يخرج عن اطار النسخ والقوالب وتكديس المعلومات .. لابد ان يصبح استكشافا وتعمقا ومعرفة للغة الاشكال. ولأن شباب اليوم يريد ان يؤدي ادوارا، اي يريد الاشتراك الكامل في كل ما يحدث من حوله .. لا يريد وظائف قائمة على مبدأ التخصص – ولكنه يريد ابطال كل وسائل الاتحاد للتجارب الطبيعية المباشرة التي تمارسها اكثر معاهدنا.

لقد كانت المجتمعات القديمة تحترم الاذن والذاكرة، وتركن اليهما، في حين ان معظم الناس اليوم يشكون في الاذن ولا يثقون فيها ثقتهم في العين والمرئيات.

برغم ان الصوت صار مسموعا في كل مكان، وبرغم اننا لا نستطيع ايقافه اوتوماتيكيا لان آذاننا محرومة من الرموش.

* * *

التليفزيون .. او الجهاز السحري

ولكن ماذا يقول ماكلوهان عن «التليفزيون» .. آخر واحدث وسيلة اتصال بالجماهير؟ ماذا يقول عن هذا الجهاز الديموقراطي السحري الذي اقتحم حياتنا الخاصة وصار جزءا من البيت والاسرة؟

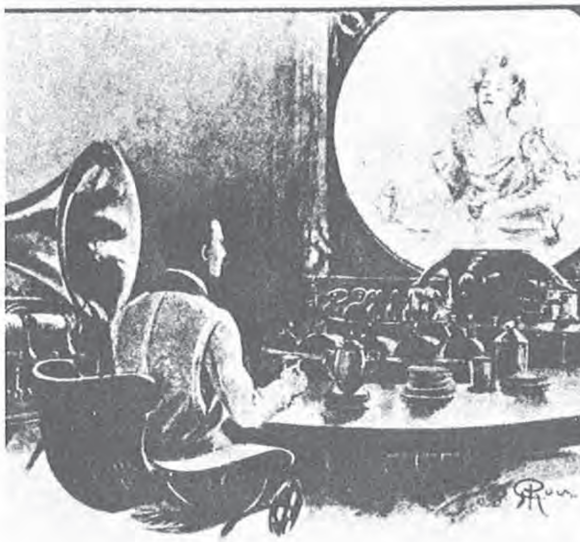
يقول ماكلوهان «ان الروائي الفرنسي جيل فيرن تنبأ في رواياته العلمية بأن التليفزيون سيتم اختراعه في القرن التاسع والعشرين. ولكن ها هو الواقع قد كذبه ووفر علينا تسعة قرون».

ان التليفزيون يكمل دورة مركز الحواس في الانسان. وبالاذن الموجودة في كل مكان والعين المتحركة قمنا بابطال الكتابة، ذلك المركز المرئي المسموع المتخصص الذي اقام اجهزة الحضارة الغربية. والتليفزيون ينشط حواسنا الخمس جميعا. ويفرض علينا ان نكون «معه»، اي ان نشارك بعمق فيما يعرضه علينا، لانه ليس ديكورا او ارضية تتحرك عليه عيوننا. ولهذا السبب يشعر الكثيرون بأن التليفزيون يهدد شخصيتهم.

امام التليفزيون تجد نفسك في وضع جديد تماما .. الصور تسقط عليك، وتصبح انت الشاشة وتلف الصور حولك، وتصبح انت نقطة الاظلام. وهذا كله يخلق نوعا من الاستغراق، نوعا من المنظور العكسي المقلوب الذي يشترك في كثير من الخصائص مع الفن الشرقي.

وللتليفزيون الان جيل يختلف عن الاجيال السابقة جيل متجهم شرس، ولكنه اكثر جدية من الاجيال التي سبقته، وهو ايضا جيل اكثر تقلبا وغرابة اطوار من الاجيال السابقة .. جيل يكرس نفسه للتليفزيون ويستغرق فيه.

ولكن لماذا فشل نقاد التليفزيون في نقده وتوجيهه؟ السبب





الرئيسي لذلك هو انهم لم ينظروا اليه باعتباره تكنولوجيا جديدة تماما تتطلب استجابات حسية مختلفة وأصروا على اعتباره مجرد شكل هابط من اشكال تكنولوجيا الطباعة.

والآن...

لقد صارت الحرب الحقيقية الشاملة حرب معلومات تشنها وسائل اتصال كهربائية ماهرة تمد الناس بالمعلومات – في ظل الظروف الباردة وعلى الدوام. واذا كانت البيئة او الظروف المحيطة كعامل من عوامل بث المعلومات تعني الدعاية – فان الدعاية – البرباجندا – نفسها تنتهي حيث يبدأ الحوار. وعلينا ان ندخل في حوار مع وسائل الاتصال نفسها، وليس مع واضعي برامجها.

لقد مات عالم نيوتن المنتظم الدقيق الذي كان يسير كالساعة.

* * *

العالم .. القرية

عند هذا الحد نصل الى نهاية الكتاب الذي اعلن فيه ماكلوهان كما هو واضح موت عالم نيوتن المطلق الثابت وميلاد عالم أنيشتاين النسبي المتغير. ثم تطالعنا بعد ذلك صفحتان برسم يمثل أبا وابنه في مكتبة بيتهما، والابن يقول لابيه:

«وهكذا ياأبي يقول البروفيسور ماكلوهان ان البيئة، او الظروف المحيطة، التي يخلقها الانسان تصبح وسيلته الى تحديد دوره فيها. واختراع المطبعة قد خلق التفكير القائم على السطور والتتابع المنطقي وفصل الفكر عن العمل. اما الان، وبظهور التليفزيون والغناء الفولكلوري – فقد اصبح الفكر والعمل اكثر اتصالا، واصبحت المشاركة الاجتماعية اكبر. اننا نعيش مرة اخرى في قرية. هل فهمت ؟

* * *

هل فهمت هذا الذي قاله وكتبه ماكلوهان ؟ مهما يكن رأينا فيما قال وكتب فهو يكتب عن وسائل اتصال متقدمة جدا في بيئات اكثر تقدما مثل الولايات المتحدة الامريكية وكندا، ولكن هل يمكن ان يصدق كلامه هذا على وسائل الاتصال في البلاد الجديدة التي يسمونها «النامية» ؟ الجواب ليس الآن على الاقل، ولكن لابد من التفكير في كلامه، وهذا اضعف الايمان.



النخيل

" أكرموا عمتكم النخلة ، فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام " حديث شريف

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعاً
بالطوب يرمى فيلقي أطيب الثمر

• الشجرة الطيبة ... عمتنا الواجب علينا اكرامها
• تمرها يشفي الداء .. ولا داء فيه
• الشجرة التي لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم.

○

البادية .. أصل العرب وحاضرها وذكرها في غدها البادية .. مهبط الديانات .. ومحط ازدهارها .. وبدء انطلاقها الى كافة ربوع الأرض.

في البادية نشأ وتحضّر بنو قحطان .. وفيها عاش اجدادها — وبين ربوعها ترعرع سيد الخلق جميعا، محمد صلى الله عليه وسلم.

ونحن .. من مبدأ الارتباط بالأرض، والحفاظ على التراث .. لا نمل عن البادية حديثا..

في العدد الأول من هذه المجلة أطللنا على القارئ بموضوع عن «**الخيل**» وعلاقتها الحميمة بالانسان .. ثم كان لقاؤنا، من بعد عن «**الصحراء**».

ولئن كنا قد قصدنا ان يكون بدء الحديث عن الخيل، أشرف الحيوانات الأنيسة التي يتعامل معها الانسان .. ثم عرجنا على الصحراء مسرح الخيل مع الانسان في رحلة التاريخ الطويلة، فها نحن نكمل للمثلث ضلعه الثالث، بالحديث عن النخيل .. أشرف نبت الأرض وأكثره قدسية وكرامة.



وهكذا تتكامل أمامنا صورة الانسان العربي على امتداد ماضيه كله .. وطنه .. ومطيته .. ومأكله..

ولقد يتساءل البعض عن دلالة وجود رمز النخلة، مع السيفين وشهادة التوحيد (لا اله الا الله محمد رسول الله) على علم المملكة العربية السعودية الأخضر.

وقد يستفسر آخر عن دواعي تصدّر «النخلة» لجميع الآيات التي تتحدث عن الجنة في القرآن الكريم..

لهذا، ولذاك، نشد الرحال الى كل مكان من الأرض تقف فيه هذه الشجرة الكريمة المباركة شامخة متسامية، تعكس كل صفات النبل والشهامة والاقدام وفيها يقول الشاعر:

كن كالنخيل عن الاحقاد مرتفعا
.. بالطوب يرمى فيلقي أطيب الثمر

النخيل في اللغة

جاء في **القاموس المحيط** «النّخل، كالنخيل ويذكر .. واحدته نخلة وجمعه نخيل. ويستعمل النّخل بمعنى الصفع، كما قال الصفدي».

وفي نفس المصدر جاء عن التمر: «التمر .. واحدته تمرة، وجمعه تمرات وتمور وتمران .. والتّمار بائعة .. والتّمري محبة .. والمتمور المزود به .. وتمّر الرّطب تتميرا وأتمر صار في حد التمر والنخلة حملته أو صار ما عليها رطبا .. والقوم أطعمهم اياه كتمرهم تمرا .. وأتمروا وهم تامرون، كثر تمرهم .. والتتمير : التيبيس.»

النخلة في القرآن الكريم

ورد ذكر النخلة في **القرآن الكريم** عشرين مرة في تسع عشرة سورة نذكر منها: **البقرة** (٢٦٦) **الأنعام** (٩٩) **الشعراء** (١٤٨)، **الكهف** (٣٢)، **طه** (٧١) **ق** (١٠)، **القمر** (٢٠)، **الرحمن** (١١)، **الحاقة** (٧)، **عبس** (٢٩) **مريم** (٢٣، ٢٥)، **الرعد** (٤)، **النحل** (١١)، **الاسراء** (٩١)، **المؤمنون** (١٩)، **يس** (٣٤).





النخلة في الحديث الشريف

وقد وردت النخلة في عدة أحاديث شريفة قال فيها سيد الأنام **محمد عليه الصلاة والسلام**:

** «أكرموا عمتكم النخلة، فانها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام»

** «مثل (كلمة طيبة كشجرة طيبة) هي النخل، ومثل (كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) هي الحنظلة»

** «لا يجوع بيت وفيه تمر».

** «ان التمر يذهب الداء، ولا داء فيه».

** «العجوة (وهي من التمر) من الجنة، وفيها الشفاء».

** «اطعموا نساءكم في نفاسهن التمر، فانه من كان طعامها في نفاسها التمر، خرج ولدها حليما، فانه كان طعام مريم حين ولدت»، ولو علم الله طعاما خيراً من التمر لأطعمها اياه.

** «من فطر صائما بشق من التمر فله الجنة».

** «من أفطر بشق من التمر كفاه الله شر ذلك اليوم».

** «بيت ليس فيه تمر جياع أهله».

** وروى **البخاري** في صحيحه عن **ابن عمر** عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم، حدثوني ما هي؟، قال، فوقع الناس في شجرة البوادي. قال عبدالله: فوقع في نفسي انها النخلة، ثم قالوا: حدثنا ما هي يارسول الله قال (هي النخلة)». وثمر النخلة سيد كل ثمر، وكذلك ثمر الرمان فقال قوم (والرواية هنا عن أنس بن مالك رضي الله عنه) لا علم لهم بكلام العرب، ليس النخل ولا الرمان من الفاكهة، حين سمعوا قول الله عز وجل فيهما – «فيها فاكهة ونخل ورمان» – فغلطوا. وانما أفردهما الله تبارك وتعالى تفضيلا لهما وذكرهما في الجملة ثم أفردهما تفضيلا كما في قوله تعالى (قل من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) تفضيلا لهما على سائر الملائكة. وقد قرن الرمان بالنخل لأنه جاء في الحديث: ان في كل رمانة حبة من الجنة. ومما فضل الله تبارك وتعالى به النخل، **ان الفواكه كلها تكون في بلاد النخل، ولا يكون النخل في كل بلاد الفواكه**.

النخلة والتمر في حديث العرب

*قال **عبد القادر بن يحيى البصري** في كتابه «**يتيمة العصر**

في المد والجزر (ان الله تعالى لما خلق آدم فضلت من خميرة طينته فضلة، فخلق منها النخل. فهي أخت آدم عليه السلام، وهي لنا عمة، وسماها الشارع عمة).

.. سئل رجل من أهل **الطائف**: «الحبلة» – شجرة الكرم – خير أم النخلة؟ فقال الطائفي: «الحبلة أتزيبها وأتشننها وأصلح بها برمتي (يعني الخل) وأنام في ظلها».

فقيل له: لو حضرك رجل من أهل **يثرب** لرد هذا عليك. فدخل **عبد الرحمن بن محصن الأنصاري** ويقال بل **أبو عمرة بشر بن عمر بن محصن البخاري**. فأخبره **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه خبر الطائفي فقال: «ليس كما قال .. اني ان أكلت الزبيب أضرس، وان أدعه أغرت. ليس كالصقر (أي الدبس) في رؤوس الدقل (الأشجار الطوال) الراسخات الراسيات في الوحل، المطعمات في المحل (أي الجدب) .. تحفة الكبير، وصمته الصغير، وزاد المسافر، وينضج فلا يعني طابخا .. نخترش به الضباب بالصلعاء، وتخرسته مريم بنت عمران فقال عمر: ما أراك يأخا الطائف الا قد غلبت.

.. وحدث **أبو قتيبة** ان **قيصر** ملك الروم كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«أما بعد .. فان رسلي أخبرتني أن قبلكم شجرة تخرج مثل أذان الفيلة، ثم تنشق مثل الدر الأبيض، ثم تخضر فتكون كأطيب الفالوذج أكلا، ثم تينع وتيبس فتكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر .. فان تكن رسلي صدقتني فانها من شجر الجنة.»

فكتب اليه سيدنا عمر:

«**بسم الله الرحمن الرحيم**. من عبدالله عمر أمير المؤمنين الى قيصر ملك الروم. السلام على من اتبع الهدى. أما بعد، فان رسلك قد صدقتك، وانها الشجرة التي أنبتها الله عز وجل على **مريم** حين نفست **بعيسى**. فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله».

سئل احد العراقيين القدامى (قبل ميلاد المسيح عليه السلام): ما هي أثمار بلادكم؟

فأجاب: التمر. ثم ماذا؟

فأجاب: التمر أيضا.

فلما استغرب السائل من هذا الجواب قال العراقي:

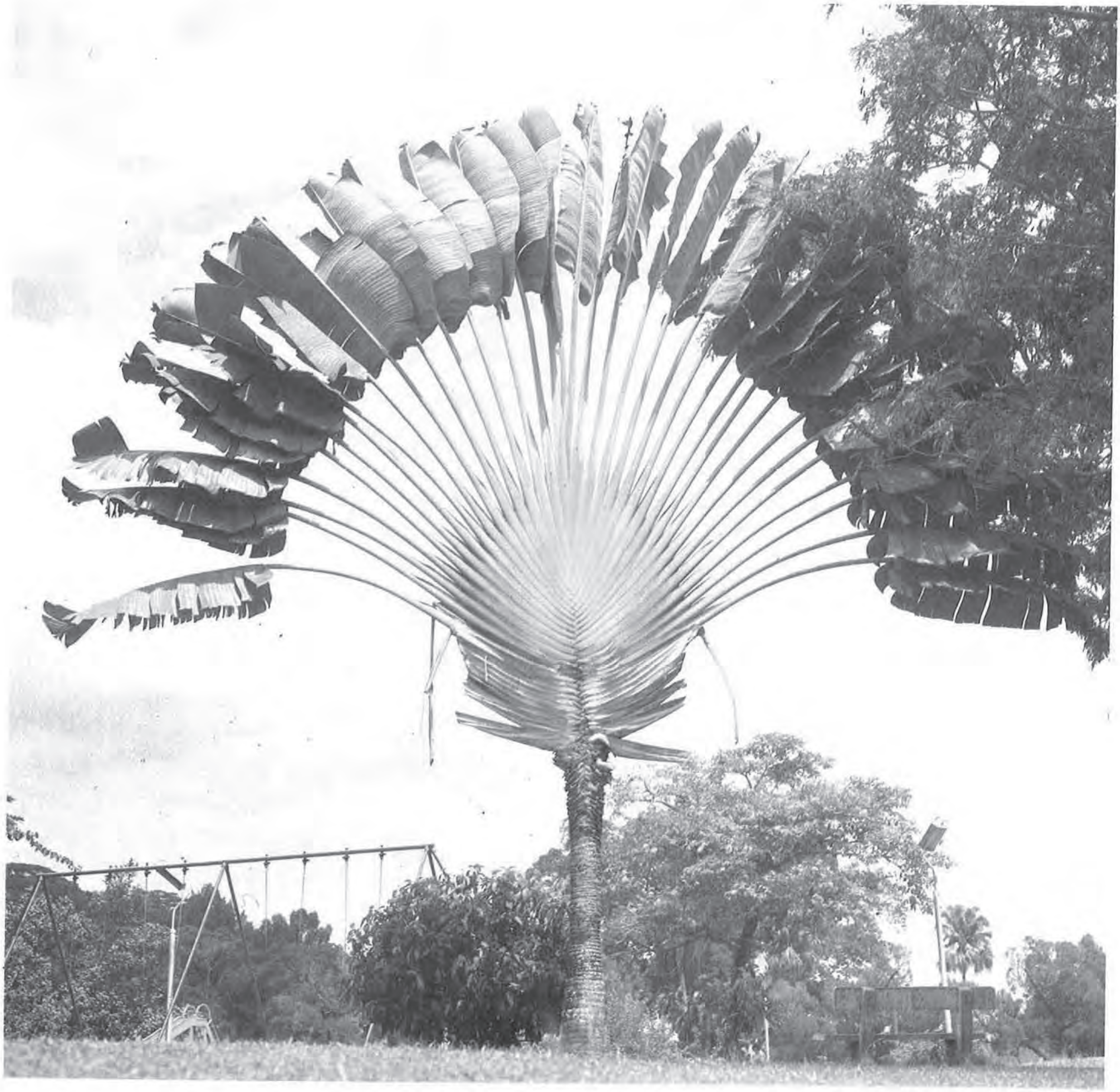
«اننا نستفيد من النخل فوائد عديدة. فاننا نستظل به من وهج الشمس، ونأكل ثمرته، ونعلف ماشيتنا بنواته، ونعلن عن





أفراحنا بسعفه، ونتخذ من عصارته عسلا، ونصنع من جريده وخوصه الأواني والحصران وغيرها من الأثاث، ونصنع من جذعه خشبا لسقوفنا، وأعمدة لبيوتنا، ووقودا لطبخنا».

قال **خالد بن صفوان** – في خلافة **عبد الملك بن مروان** – يصف تمر النخلة: «فأما الرطب عندنا، فمن النخل في مباركه، كالزيتون عندكم في منابته .. هذا على أفنانه، كذاك على أغصانه .. هذا في زمانه، كذاك في ابانه .. من الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل، الملقحات بالفحل .. يخرجن أسفاطا عظاما، وأوساطا ضخاما، كأنما ملئت رياطا .. ثم ينفلق عن قضبان الفضة منظومة باللؤلؤ الأبيض .. ثم تتبدل قضبان الذهب منظومة بالزبرجد الأخضر .. ثم تصير ياقوتا أحمر وأصفر .. ثم تصير عسلا في شفة من سحاء، ليست بقربة ولا إناء .. حولها المذاب، ودونها الحراب .. لا يقربها الذباب .. مرفوعة عن التراب .. ثم تصير ذهبا في كيسة الرجال، يستعان بها على العيال.»



مكانة النخلة في التاريخ القديم

كني عيسى بن مريم، عليهما السلام، بأبي النخلة وقيل أنه «**ذو النخلة**» لأنه ولد تحتها.

** كان **موسى عليه السلام**، عندما دخل فلسطين، يحمل معه تمرة، كمثال لتقدير هذه النعمة المباركة، ثم انه حث أتباعه على غرس النخيل.

** النخلة .. هي الشجرة المقدسة في الفن العراقي القديم.

** والنخلة .. هي شجرة الفردوس والجنة عند **المصريين** القدماء.

** وجد بين **الآثار اليونانية** القديمة، قطعة نقود عليها صورة النخلة كرمز للتقديس والتجلة.

** في رواية ان «**جهينة**»، وهي قبيلة عربية، كانت قد صنعت في الجاهلية من التمر هيكلا اتخذته الها .. فلما حدث عندها المجاعة في احدى السنوات، اتخذت من الهها ذاك طعاما. فقال فيهم الشاعر:



أكلت جهينـــــة ربها
زمـن التقحم والمجاعــــة
لم يحذروا مـن ربهم
خوف العقوبـة والتبـاعـة

النخلة في الشعر العربي

** قال **زهير بن أبي سلمى**:

وهل نيبت الخطى الا وشيجة
وتغرس الا في منابتها النخل

** وقال **المتنبي**:

يترشفن من فمي رشفات
ذقت منها حلاوة «التوحيد»

والتوحيدي نوع من التمر المعروف. وانما حذفت الياء لحكم القافية.

** وقال **أبو نواس** الحسن بن هانئ:

لا أنعت الروض الا ما رأيت به
قصرا منيفا. عليه النخل مشتمل
فهاك من صفتي ان كنت مختبرا
ومخبرا نفرا عني اذا سألوا
نخل اذا جليت أبان زينتها
لاحت بأعناقها اعذاقها النحل

** وقال **امرؤ القيس**:

كأن قلوب الطير رطبا يابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالي

** وجاء في تاريخ **العمراني** ما نصه:

«فلما صار الخليفة **هارون الرشيد** الى حلوان مرض. ووصف له الطبيب «**الجمار**» .. وكان على باب حلوان نخلتان متقاربتان. فأمر بقطعها. وأكل جمارهما.

ودخلت عليه جارية مغنية. كان قد استصحبها معه. فأمرها بالغناء. فابتدرت تغني:

أسعـداني يـانخلتي حلوان
وابكيا لي من صروف هذا الزمان
واعلما ما بقيتما أن نحسا
سوف يـأتيكما فتفترقـان

فقال الرشيد:

«انا لله وانا اليه راجعون. انا. والله. كنت النحس» فتطير





من ذلك. وما زال يردد البيتين، الى ان وصل الى خراسان، وحين وصل اليها، اشتدت علته.

** وقال **عبد الرحمن الداخل**، عندما رأى نخلة منفردة في رصافة قرطبة التي انشأها:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي بالتغرب والنوى
وطول التنائي عن بني وعن أهلي
نشأت بارض انت فيها غريبة
فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن من صوبها الذي
يسح ويستمري السماكين بالويل

هذا، وبعد هذه الصفحات، التي ذقنا من خلالها — في ظلال النخيل — حلاوة الآي الكريم .. وطلاوة الحديث الشريف .. وذكرى التاريخ التليد .. وشدو شعراء العرب، وتقدير شعوبهم وامرائهم لهذه «الشجرة الطيبة» .. نود ان نتناولها من وجهة النظر العلمية .. دراسين لتاريخها وتكوينها واجزائها وامكان الاستفادة من محصولها .. التمر..

تعريف النخلة

هي شجرة جميلة، أوراقها ريشية .. وتنتشر في بقاع كثيرة من العالم. ويوجد منها **ألفان وسبعمائة نوع**، كلها ذات قيمة اقتصادية.

وتنحصر مناطق وجودها بين خطي عرض **٤٤** شمال وجنوب خط الاستواء، الا أن مناطق انتشارها الكثيف تنحصر بين خطي عرض **٣٠** شمالا وجنوبا .. وهي المناطق التي تتراوح درجة الحرارة فيها بين ٦٠، ٧٠ درجة فهرنهيت.

وجذورها ضحلة، لا تمتد لأعماق بعيدة في الأرض، وهي لذلك تكون مائلة احيانا .. الأمر الذي يسهل على العواصف الشديدة اقتلاعها من جذورها.

وأما ساقها (جذعها) فيتراوح قطره بين عرض قلم الرصاص وقطر متر واحد .. كما يصل **ارتفاعها الى ١٥٠ قدما**.

وينتهي الجذع الى عنقود من الأوراق الريشية، الدائمة الخضرة، والتي يتراوح طولها من عدة سنتيمترات الى اكثر من تسعة امتار.

أما بذورها (النواة) فقد تبلغ من الصغر حجم رأس عود الكبريت، وقد تصل في الكبر الى حجم البطيخة الكبيرة التي يصل وزنها الى تسع كيلوجرامات.

ولا يفوتنا التنويه الى ان النخلة هي وحدها — من دون سائر انواع الشجر — التي يتكون من فروعها التي تنزع من قاعدتها اذ هي تنمو.. سلم طبيعي يساعد جاني ثمارها على تسلقها بسهولة نسبية عنها في الأشجار الأخرى.

انواع النخيل

يوجد النخيل — كما قلنا — في ألفين وسبعمائة صنف. الا ان بعض المراجع ترتفع بالعدد الى أربعة آلاف .. وأهم اصنافها:

** **نخيل السكر**: ويوجد في **ماليزيا**، ويبلغ ارتفاعه ١٢ مترا، ويتراوح عدد أوراقه بين ٢٠-٢٨ ورقة.

** **نخيل كوهون**: ويوجد في **أمريكا الوسطى**، ويبلغ ارتفاعه ١٨ مترا، ويوجد نوع منها في **أمريكا الجنوبية**.

** **نخيل تدمر**: ويوجد في **آسيا الاستوائية**، ويبلغ ارتفاعه ٢٠ مترا.

** **نخيل مدغشقر**: ويبلغ ارتفاعه ١٠ أمتار وطول اوراقه ٦٠ سم، وهو يزرع كأشجار زينة بالمنازل.

** **نخيل الأرجنتين**: (ويسمى نخيل الفضة)، ويوجد في جنوب شرقي **الولايات المتحدة الأمريكية**، ويتميز الجزء الأسفل من أوراقها باللون الفضي.

** **نخيل جوز الهند**: ومنشأه في **ماليزيا**، ومنها انتشر الى كافة المناطق الساحلية الاستوائية بالعالم. ويبلغ ارتفاعه ٣٠ مترا، ويتراوح انتاج النخلة منه بين ٤٠-١٠٠ جوزة في السنة، وقطر جذعه **٢٥**سم.

** **نخيل كرتوبا**: ويوجد **بالمناطق الاستوائية بأمريكا الجنوبية**، ويبلغ طوله عشر أمتار، ويتميز بجذعه المتورم قرب القاعدة.

** **نخيل افريقيا**: وهو يتميز عن غيره من أنواع النخيل الأخرى بتعدد الجذوع في الشجرة الواحدة.

** **نخيل كاليبيج**: (ويسمى النخيل المزدوج الجذع)،



ويوجد في جزر **سيشيل** وجزر **المحيط الهندي**، ويبلغ ارتفاعه ٣٠ مترا، ويصل وزن ثماره (التي قد تكون جوز الهند) الى تسع كيلوجرامات، ويتطلب نضجها عشر سنوات بعد زراعتها، على أنها ليست لها قيمة تجارية.

** **النخيل الملكي**: وتوجد **بجنوبي الولايات المتحدة الأمريكية، والانديز الغربية والمناطق الاستوائية بأمريكا**. ويبلغ ارتفاعها ٣٠ مترا. وجذعها ناعم الملمس ورمادي فاتح .. أي انه يشبه الخرسانة في لونها وقوامها، ويزرع غالبا كأشجار زينة.

** **نخيل الكرنب**: ويوجد في جنوب شرقي **الولايات المتحدة والأنديز الغربية**، ويبلغ ارتفاعه ٢٤ مترا، وهي تزرع لأغراض الظل وللزينة.

** **نخيل التمر**: وهي شجرة معروفة في كافة **الدول العربية وبلدان الشرق**، وتزرع بهذه المناطق منذ ستة آلاف سنة قبل الميلاد، ويصل ارتفاعها الى ثلاثين مترا، ويبلغ انتاج النخلة الواحدة من التمر ٢٥٠ كيلوجراما وهي شجرة معمرة يصل **عمرها الى مائة سنة**.

وهذا النوع الأخير من النخيل – نخيل التمر – هو الذي سنقصر حديثنا عنه.

نخيل التمر في العالم

يوجد النخيل في **ست وعشرين دولة في العالم** موزعة كالآتي:

** **آسيا**: في السعودية والعراق وايران وباكستان.

** **افريقيا**: في مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب.

** كما يوجد في أمريكا واستراليا وأوروبا.

أعداده في الدول العربية

** في العراق ٣٠ مليونا.

** في ايران ٢٠ مليونا.

** في مصر ١٣ مليونا.

** في المملكة العربية السعودية ٨ ملايين.

** في الجزائر ٤ ملايين.

** خمسة آلاف نخلة في كل من المغرب وتونس وليبيا.



والجدير بالذكر ان هذه الاعداد هي ما تضمنته احصائيات عام ١٩٦٦م. ولقد زادت الآن بنسبة عالية حيث وصلت في السعودية الى ضعف هذا العدد حسب احصاء **وزارة الزراعة والمياه عام ١٩٧١م**.

واذا علمنا ان عدد نخيل التمر بالعالم يقدر بمائة مليون نخلة. فان نسبة النخيل في الوطن العربي (٩٠ مليون نخلة) تبلغ ٩٠٪ من عدد نخيل العالم.

النخيل في السعودية

بلغ عدد النخيل **بالمملكة العربية السعودية**. حسب الاحصاء السنوي الذي قامت به **وزارة الزراعة والمياه** بالمملكة عام ١٣٩١هـ كما هو موضح بالجدول الآتي حسب مناطق المملكة:



المنطقة	عدد النخيل المثمر	النسبة المئوية	عدد النخيل غير المثمر	النسبة المئوية	المجموع
الشرقية	٦٧٥٥٩٠	٨٣.٠٣	٥٤٦٧٠٠	١٦.٩٧	٣٢٢٢٢٩٠
القصيم	٥٥٦٦٠٠	٧٥.٦٦	١٧٩٠٠٠	٣٤.٣٤	٧٣٥٦٠٠
الشمالية	٤٣٠٩٠٠	٦٧.٥٧	٢٠٦٨٠٠	٣٢.٤٣	٦٣٧٧٠٠
المدينة المنورة	٥٤٥١٠٠	٧١.١٥	٢٢١٠٠٠	٢٨.٨٥	٧٦٦١٠٠
جدة ومكة المكرمة	٧٤٩٠٠	٧٢.٨٦	٢٧٩٠٠	٣٨.١٤	١٠٢٨٠٠
الطائف	١٣٢٥٠٠	٧٧.٣٩	٣٨٧٠٠	٢٢.٦١	١٧١٢٠٠
الوسطى	١٢١٣٦٠٠	٧٩.٣٠	٣١٥٦٠٠	٢٠.٧٠	١٥٢٩٢٠٠
الجنوب فيما عدا : جيزان وقنفذة وتهامة	٥٩٨٤٠٠	٧٣.٦٥	٢١٤١٠٠	٢٦.٣٥	٨١٢٥٠٠
بلجرشي	١٧٨٠٠	٥٩.٩٣	١١٩٠٠	٤٠.٠٧	٢٩٧٠٠
بيشة	٦١٤٤٠٠	٩٢.١٨	٥٢١٠٠	٧.٨٢	٦٦٦٥٠٠
الاجمالي	٦٨٥٩٧٩٠	٧٩.٠٩	١٨١٣٨٠٠	٢٠.٩١	٨٦٧٣٥٩٠

أي ان اكثر مناطق المملكة نخيلا هما المنطقة الشرقية ومنطقة بيشة وان اعلاها في نسبة الأشجار المثمرة هي منطقة بيشة تليها المنطقة الشرقية.

اقتصاديات اجزاء النخلة

** جذوع النخيل:

تستخدم في تسقيف البيوت المبنية بالطين، وفي أبواب المنازل الريفية، كما تستخدم في صنع القناطر الريفية. وأحيانا تقطع وتجفف وتستعمل كوقود أو في اعداد تكعيبات العنب.

** السعف:

يستعمل - بعد تجريده من الخوص - في صنع أثاث المنازل الريفية وفي صنع الكراسي والمناضد وتغطية سقوف المنازل وعمل الحواجز .. الى جانب صنع أقفاص الدجاج والطيور وأوعية الفاكهة وعبواتها.

** الخوص:

يصنع منه الحصير والمقاطف والزنابيل والأسبتة والحقائب اليدوية والمراوح والقبعات. أما الخوص الأخضر فتستخرج أليافه ليصنع منها «الكرينة» التي تستعمل في حشو مقاعد الأثاث.

** الليف:

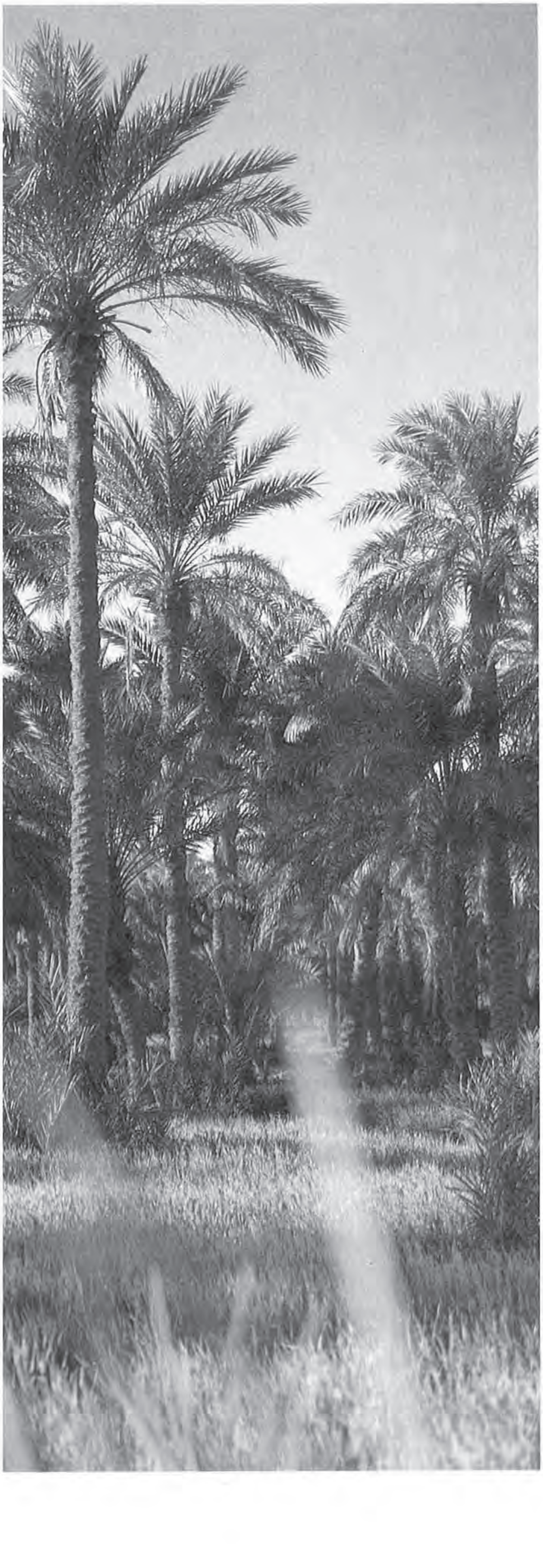
ويستعمل في صنع الحبال وفي التنجيد وفي حشو الوسائد، كما يستعمل للتنظيف.

** الجمّار:

والجمارة، هي الجزء الأبيض الغض من قلب النخلة، أو ما يحيط بالبرعمة الرئيسية الكبيرة، وهي حلوة المذاق، تخلو من الألياف. وقد يبلغ وزن بعضها كيلوجرام أو اكثر حسب حجم رأس النخلة. وهي تؤكل مباشرة او يصنع منها مأكولات مثل الحميس ومخلل الجمار وحلاوة الجمار.

** الطلع:

يستخرج منه ماء معطرا يسمى «ماء لقّاح». وهو زكي الرائحة ويستعمل في علاج الاسهال وتسكين مغص الأمعاء. وقد يعطر به ماء الشرب في الصيف أحيانا. كما يمكن نزعه في بدء تكوينه وأكل الاغريض منه.



** حبوب اللقاح:

يؤكل الفائض منها مباشرة أو بعد مزجه بعسل النحل أو غيره.

** نسغ النخلة:

وهو الماء الذي يستخرج منها اذا قطعت. ويستخرج منه شراب يسمى اللكمة (أو اللقمة)، وهو سائل عسلي اللون طعمه شبيه بطعم «جمار النخيل» ويفضل شربه طازجا. ويقال ان النخلة الواحدة تعطي حوالي ٥–٢٠ لترا وقد تستمر في اعطائه لمدة شهر أو أربعين يوما. وقد تموت النخلة بعد هذه العملية وقد تنمو مرة أخرى.

هذا، الى جانب صناعات اخرى عديدة لا يتسع المقام لذكرها، منها صناعات ألياف النخيل، والورق، والفلور فورال، وصناعة الحبال، وخيوط الدوبارة.

واذا كانت هذه هي الصناعات القائمة على «جسم النخلة» ان جاز التعبير فثمة التمور .. وهي المحصول الرئيسي للنخيل.

والتمر مفرده تمرة، وتتكون من خمسة أجزاء هي:

القمع، التغدوق، النواة، القطمير، ولحم الثمرة.

أصناف التمور في السعودية

توجد في مناطق **المملكة العربية السعودية** أصناف من التمور موزعة على النحو التالي:

** **في المنطقة الشرقية:**

ويوجد فيها ستون صنفا (خمسة وثلاثون منها بالقطيف والباقي في الاحساء) وأهم اصنافها: **الخلاص، الرزيز، الشيشي، الخفيزي، البكيرة، غرة، مرزبان، الشبيبي، أم أرحيم، أشهل.**

ومن الأصناف العادية:

استعمران، بنت سعيد، بريم، جبيلي، حاتمي، دعادع، دعالج، طيار، عذابي، فيراني، لحم مشوي، مبشر، هليلي .. الخ.

** **في المنطقة الوسطى:**

وتعتبر من أهم مناطق زراعة النخيل بالمملكة، ومن أجودها أصنافا، وأكثرها ارتفاعا في المحصول. ويرجع ذلك الى الظروف الجوية الملائمة لزراعة النخيل، وتوفر المياه، وصلاحية

التربة، وخبرة المزارعين.

وتوجد بها التمور في **٤٢ صنفا** أهمها: نبوت سيف، الخضيري، الصقري، السكري (أو سكرية القصيم)، **شقرة مبارك، مسكاني، المكتومي.**

ومن الاصناف العادية: **بريسة، بيذنجان أحمر، حاوية، طيارة، ام حمام صقرا، أم أرحيم، جفيلي، خشكار، داوى، سلقة** (سلجة)، **مطواح، نبتة زامل، نبتة قرين، ونان** .. الخ.

كما توجد أصناف تمور نادرة في المنطقة الوسطى يصل عددها الى اربعة وخمسين صنفا.

**** في المنطقة الغربية:**

أ–في منطقة المدينة المنورة:

وتوجد التمور بها في مائة وثمانية عشر صنفا.

من الأصناف الرئيسية:

العنبرة، الشلبي (جلبي)، **الصفاوي، البرني، العجوة** (عجوة المدينة)، **الحلوة، سكرة ينبع، الروثانة، الحلية** (حلية مدني)، **والمقفزي.**

ومن الأصناف العادية:

خضرية مدني، خضرية نبتة، ربيعة، زهرة، زهو، لونة مساعد، أفندية، أم الحمام، أم العسل، أم حميد، براطم العبيد .. الخ.

ب–في منطقة الحجاز عدا المدينة المنورة:

ويوجد بها حوالي **٩٠** صنفا من التمور.

ومن التمور النادرة:

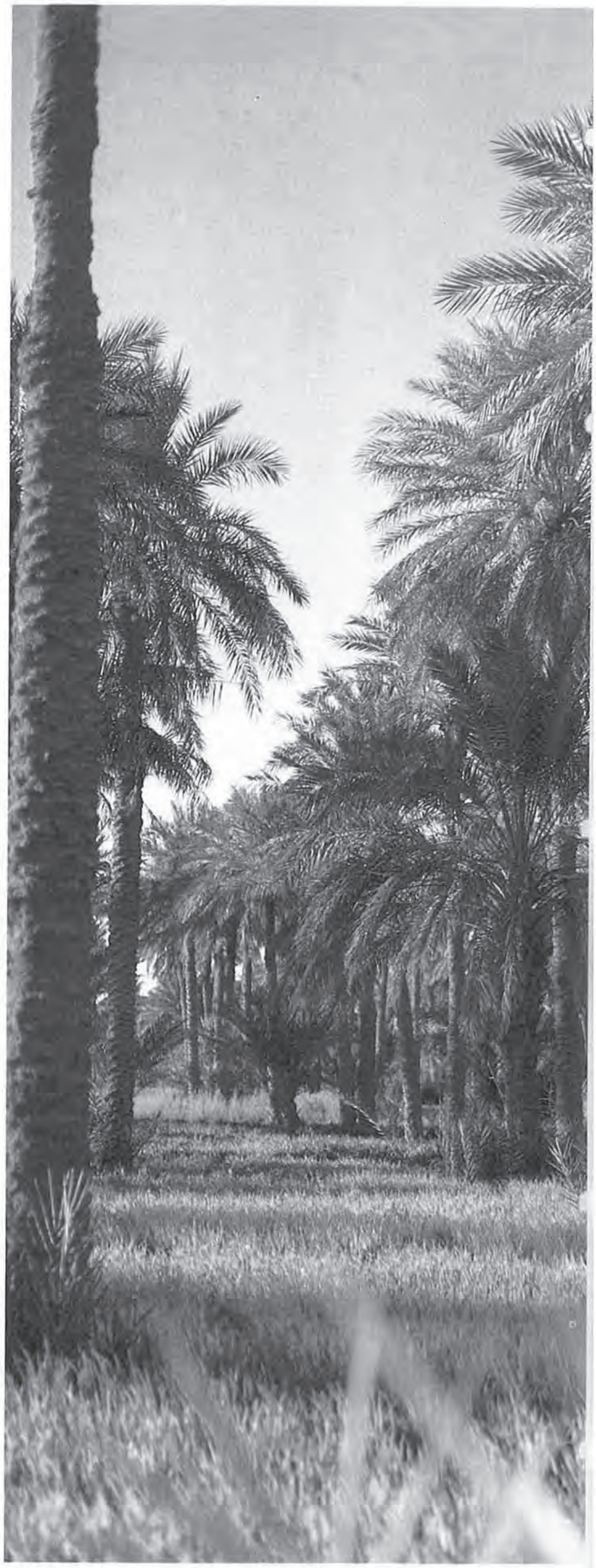
أصابيع الغولة، جادكي، جذرم، جنتة، رمادي، روثة، سنتة، سواد، شبهانة، شيشة، طيبة .. الخ.

ومن الاصناف العادية:

برني العيسى، جعدية، خشبر، رخامي، ريحان، ربانية، شرشور، شعرية، فرخ جاي، قائمقام .. الخ.

**** في المنطقة الجنوبية:**

يبلغ عدد اصناف التمور بها **٨٩** صنفا أهمها **الصفري** (أو الصفرية) وهو يمثل ٨٠٪ من انتاج المنطقة ووصلت كمية انتاجه عام ١٣٩١هـ الى **٤٥** ألف طن. واذا وضعنا في الاعتبار ان نسبة الزيادة السنوية في الانتاج تقدر بـ ١٥٪ فان معدل انتاج المنطقة منه سيصل الى ٦٤ ألف طن عام ١٣٩٨هـ.





أكلات من التمور

ان هناك عددا كبيرا من المأكولات والحلوى (**حوالي ٣٠ أكلة**) تدخل فيها التمور بصفة أساسية:

١-الأكلات العربية القديمة ومنها:

* * **المدقوقة**: وفيها يدق التمر مع اللبن الجاف (الجشي) ثم يؤكل.

* * **الخبيص**: وهي أكلة عربية قديمة تتكون من عجن التمر بالزيت والعسل.

* * **الحنيني**: وتحضر بقلي التمر اللين بالسمن، ويضاف اليه البيض فيصبح أكلة شهية.

* * **الأيلة**: وهي أكلة عربية قديمة تحضّر باضافة التمر المدقوق الى اللبن.

* * **السويق**: وتتكون من دقيق القمح والتمر - بعد نزع نواه، والسمن.

* * **التمر المعسل**: وتتكون من تمر منزوع النوى، ولب جوز او لوز مقشر، مع دبس، وسمسم مقشور وزنجبيل.

٢-صناعة العجوة:

وتصنع من رطب الأصناف «حياني، أمهات، سيوي، بنت عيشة، سماني»، ومن جميع الأصناف الطرية غير القابلة للتسويق.

وتنتشر صناعة العجوة **بمنطقة الحجاز ومصر والسودان**، وتسمى (عجن) في **ليبيا**، كما تسمى (سيم) في **حضرموت**.

٣-التمر المخلل.

٤-مربى البلح.

الى جانب: التمر المغلف بالشيكولاته، **الجيلاتي**، **خشاف التمر**، **بودنج التمر**، **التمر المفتت**، **كيك التمر**، **التورتة**، **البسكويت**، **حلوى التمر وجوز الهند**، **سلاطة التمر المحشي**.. الى جانب أكلات أخرى كثيرة.

تصنيع التمور

اتجه علماء الزراعة والصناعة في «بلدان النخيل» الى بذل الجهد من أجل تحقيق اكبر استفادة ممكنة من التمور.

وكما هو معلوم فالتمرة تتكون من جزئين: «**اللب**» و «**النواة**».
فأما النواة، فقد ثبت انها تحتوي على عدة عناصر هامة، خاصة الدهون والبروتينات.. الأمر الذي يجعل المجال مهيئا لاستغلالها في صناعة أعلاف الحيوان وغيرها من الصناعات الأخرى.

وأما اللب (الجزء المأكول من التمرة) فيتكون من عدة مواد وعناصر غذائية هامة منها: **الدهون**، **والألياف**، والعناصر المعدنية (كالكالسيوم والفوسفور). **والسكريات** (جلوكوز، فركتوز، سكروز)، **والأحماض الأمينية**.

ولا مفر من التنويه هنا الى ان وجبة اهالي البادية التي تتكون من عدد من التمر وعدة رشفات من اللبن، قد أثبتت التجارب العلمية الحديثة انها تقدم للجسم كل ما يحتاجه من عناصر غذائية وطاقة.

ولهذه الأهمية الغذائية، وتلك الوفرة الانتاجية الهائلة من محصول هذه الشجرة الطيبة العطاء، فقد اتجهت الأنظار في كل دولة توجد بها اشجار النخيل الى اقامة مصانع لتنظيف. وتعبئة التمور.

قد يبادر البعض الى السؤال: وبدون تعقيم؟

أجل، فقد أثبتت التجارب المعملية **ان الميكروبات والفيروسات لا تعيش في التمر**. هذا، وفي **المملكة العربية السعودية**، مصنعان لتصنيع التمور:

أحدهما في **المدينة المنورة**.

والثاني في **منطقة الاحساء**. الى جانب مصنع حديث ثالث في **منطقة بيشة**.

وتجري معاملة التمور في هذين المصنعين بالطرق التالية:

** **فرز وتصنيف التمور**: ويتم خلالها فرز الثمار الى بسر، ورطب، ونصف جاف، وجاف، كذلك يتم فرزها حسب اللون والشكل والحجم.

** **غسل التمور** اما بالماء أو بطرق جافة أو شبه جافة.

** **تلميع التمور**، وذلك بتغطية القشرة الخارجية بطبقة شمعية تعطيها المنظر المطلي غير البراق.

** **نزع النوى**، في الاصناف التي ستسوق لصناعات الحلوى والفطائر .. الخ.

** **التعبئة** في علب كرتون او صناديق خشبية.

تلك هي الصورة الحديثة والمرتقبة لصناعة التمور، والتي تنتقل بها من الوسائل اليدوية البدائية الى مستوى التقدم الصناعي المعاصر.

وللمقارنة .. تتحدد الوسائل اليدوية لتعبئة التمور في:

— التعبئة في خصاف او قفف او جلال.

— التعبئة والكبس يدويا في تنك.

— التعبئة والكبس بمكبس يدوي في تنك مع كبس غطاء التنك بمكبس يدوي ايضا.

هذا، وبالاضافة الى المهارة الفطرية لدى زراع النخيل بالمملكة، فقد دعت الحاجة الى تنظيم اداري لصناعة النخيل من اجل الانتقال من المرحلة اليدوية الى المرحلة الآلية فصدر قراران من مجلس الوزراء.

* **أولها يحدد استعمال التمور في المملكة، وهو القرار رقم ١٧٥ بتاريخ ١٣٨٦/٢/١٦هـ.**

* **وثانيهما يدعم انتاج التمور ويشجع الزراع على زراعة النخيل، وهو القرار رقم ٥٥٣ وتاريخ ١٣٩٦/٣/٣٠هـ.**

المراجع

أ-المراجع العربية:

١-القاموس المحيط.

٢-الموسوعة العربية الميسرة.

٣-النخلة سيدة الشجر. تأليف: عبدالقادر باش أعيان العباسي، بغداد ١٩٦٤.

٤-النخيل وتصنيع التمور في المملكة العربية السعودية. تأليف: د. حسن مرعي – الرياض ١٣٩١هـ.

٥-دراسات أولية عن تعبئة التمور اعداد مركز الأبحاث والتنمية الصناعية بمنطقة بيشة. بالرياض.

٦-دراسات أولية عن أصناف التمور وصفاتها الطبيعية والكيماوية بالمملكة العربية السعودية. د. فتحي حسين وعبدالله الزيد – الرياض ١٣٩٤هـ.

٧-نخلة التمر ماضيها وحاضرها تأليف عبد الجبار بكر.

٨-النخيل والتمور في العراق. تأليف عبد الوهاب الدباغ – بغداد ١٩٦٩م.

٩-النخيل. تأليف عبد اللطيف واكد.

١٠-المجلة الزراعية

وزارة الزراعة والمياه-الرياض

١١-نشرة الارشاد الزراعي

ب-المراجع الأجنبية:

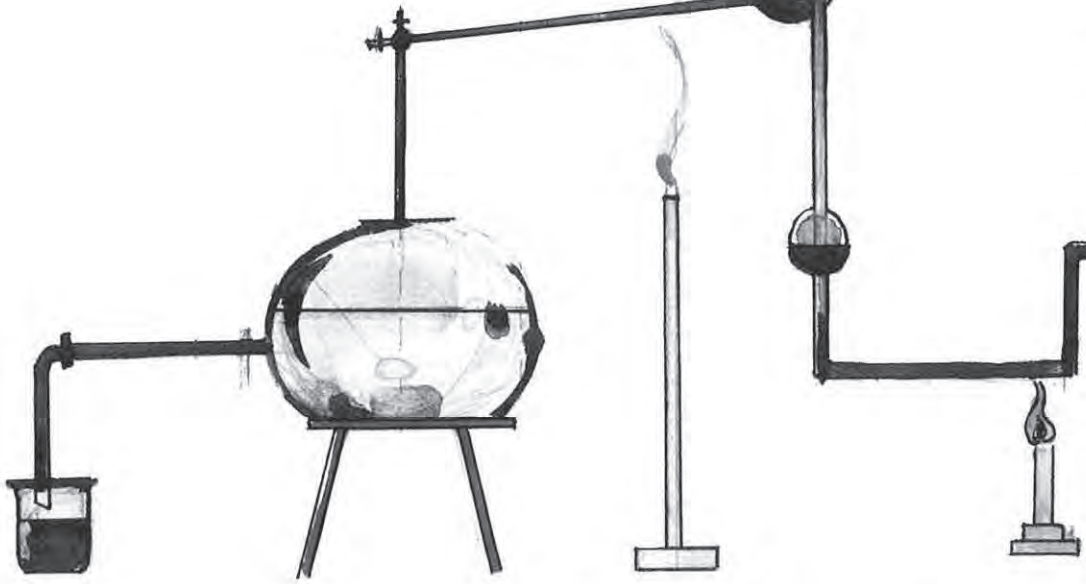
١-دائرة المعارف البريطانية.

٢-دائرة المعارف العالمية.

٣-دائرة معارف العلوم.

٤-زراعة التمور في المملكة العربية السعودية. تأليف دكتور فتحي حسين الرياض ١٣٩٥هـ.

سوق



ياعصر فلسفة (البلستك) والغثاءْ
من لي بعودة فلسفات الأقوياءْ
عصر التضخم والصراخ طغى على القيـم الجميلة ضاحكاً في كبرياءْ
عصر اللدائن والأشعَّة والجنون والانتحار تقدماً والكهرباءْ

هل عالمٌ هذا الذي أحيا به أم غابة الإنسانِ: حقد واعتداء؟

كانت قوافلنا تسير فمالها جنَّتْ وأرهقها الجموحُ بغير ماء ؟!
الماءُ مِلحٌ قد تأجج في الشفاهِ وفي الدماءِ وفي صراعِ الأشقياءْ
والدمع مِلحٌ قد تسرَّبَ في الظنون وفي الجفون وفي الوسائد كيف شاء
والخمرُ هرَّأت الحشا فينا وحمَّلت العيونَ بالانتفاخ والانطواء
كانَ الحليب الرطبُ في أفواهنا قوتاً ومرحمةً فمن كسرَ الوعاء ؟

اللدائن

أين المروْةُ والتفاؤل والوثوق والاستعانة والتسامح والوفاءْ
أين الذين قرأتُ في أحداقهم شعري فدفَّأنا أماسيَّ الشتاءْ
إني أفتش في وجوه العابرين فلا أرى الإنسانَ من تحت الطلاء
بالغش تختلط الخطى والعطر والأضواءُ والأرقام في سوق المساءْ
حتى إذا ما ازَّخرفت أيَّامنا وازَّينَ العصرُ البغيُّ بلا حياءْ
والناسُ من كل اتجاه قادمون وذاهبون لكل وجهٍ واشتهاءْ
والذعرُ يعزف في العيون وفي الخطى لحناً سريعَ الوقع يقطر بالدماءْ
كفَّ الشريط عن التحرك لحظةً .. صورتهم .. واستأنفوا هذا العناءْ

حدَّقتُ فيما في يديَّ رأيتهم: في ضوء قرشٍ يبحثون عن الجزاء!

هذا الفَرَاشُ تحلَّقوا حلو المظاهر خارجين من الجلود إلى فناءْ
والسوق مزدحمٌ بكل توافه العصر الأنيقة من رداءٍ أو رياءْ
سوق اللدائن .. في المعارض .. في المتاجر .. في المشاةِ من الرجال من النساءْ
الضاحكون المظلمون وجوههم جُدُرُ القبور ترصَّعَت بفسيفساء
مسْخ البريَّةِ خلَّفت عصر الطفولة والنقاء وحُنِّطَتْ كالمومياءْ
قلبي الذي رقصت عليه خطاهمو كرةٌ تَقَاذفُها الخطى دون احتفاء

يارب: أمشي في بلاد المسلمين فهل أقول .. وخطوتي فيهم سواءْ:
من لي بجوهرةِ الحقيقةِ والصراطِ المستقيـمِ بلا انفصامٍ والتواءْ؟!
عَنْ غير ما تخفى الصدور تحدَّثوا .. أعلنت فيكَ براءتي من هؤلاءْ

عصام الغزالي



جهد أثري فريد!

ترجمة: محمد فكري أنور

في الساعة الحادية عشرة ظهرا، بالتوقيت المحلي، من يوم ٢٦ أبريل عام ١٩٧٧م، أقيم حفل خاص في جزيرة «**فيلة**» القريبة من سد أسوان العالي بمصر، للاحتفال بانتهاء عملية انقاذ بحري فريدة من نوعها.

لقد عمل غواصو البحرية في كل من **مصر وبريطانيا** بتعاون وثيق، طوال الشهور السبعة الماضية، لرفع أثر بالغ الأهمية في عالم الآثار كان قد «غرق» عند بداية تشغيل السد العالي بأسوان عام ١٩٧٠م. وهو يضم بوابة «**ديوقليشيان**» (DIOCLETIAN) التي شيدت في القرن الثالث قبل الميلاد.

وفيلة .. **جزيرة صغيرة تتكون من صخور الجرانيت، ترجع** أهميتها التاريخية الى العصر البطلمي (٣٣٢ — ٣٠ ق.م) .. وتعتبر واحدة من عدة آثار ذات أهمية أثرية بالغة.

ذلك انه مع وفاة **الاسكندر الأكبر** عام ٣٣٢ق.م، تولى حكم مصر قائده العام «**بطليموس**» الذي استمر حكمه لمصر مع خلفائه مدة ثلاثة قرون. ومن ثم أصبح صعيد مصر مقر مملكة زاهرة فتية.

وكان **البطالسة** يدعمون الآلهة، ولذلك كانوا بناة عظام لعديد من المعابد، أشهرها تلك التي في «**وندرة**»، و «**اسنا**»، و «**ادفو**»، و «**فيلة**».

وأصبح بطليموس الخامس هو صاحب الفضل في اقامة



بوابة المعبد قبل السد العالي في مكانها السابق

"حسنًا .. إن مجرد التفكير في أن الناس سيشاهدون الموقع الجديد، على امتداد آلاف السنين القادمة أمر يجعلني أرتجف!"

هذه المعابد، فسجل الكهنة انجازاته على لوحة عبارة عن مخطوط ينقسم الى ثلاثة أقسام مكتوبة **بالهيروغلوفية، والديموطيقية واليونانية**.

ولقد اكتشفت هذه اللوحة، التي عرفت فيما بعد باسم «**حجر رشيد**» عام ١٧٩٨م، وهي محفوظة الآن **بالمتحف البريطاني**.

والواقع ان مخطوطات هذا الحجر أتاحت الفرصة لعلماء الآثار لكشف الرموز الهيروغلوفية التي هيأت لنا الفهم المعاصر لمصر القديمة.

وكان اهم آثار فيلة هو «**معبد ايزيس**»، الذي بدأ **بطليموس أبيغانيس** العمل فيه عام ٣٦١ ق.م. ويمكن الدخول الى مساحته الامامية خلال بوابات ضخمة يزيد ارتفاعها عن (١٨ ١/٤ متر)، وباتساع (٤٥ ٣/٤ متر). اما بيت الولادة فيقع في الطرف الغربي من المعبد، وهو مخصص للأم (حاتور — ايزيس) وولدهما «حورس»، وفي الشرق مبنى الكهنة، أما في الطرف الأقصى للبلاط الملكي فتوجد البوابة الثانية على ارتفاع (٣ ٣/٤ متر) واتساع (٤٥ ٣/٤ متر) .. وتفضي مباشرة الى المعبد الذي يضم قاعات وساحة ذات اقواس وردهتين صغيرتين والمحراب وعدد من الغرف .. وتكاد جميعا تكون مظلمة تماما. كما تغطي المعبد مخطوطات يظهر بعضها في الصورة المنشورة مع المقال، وتصور جانبا من احدى البوابات.

وما كادت فترة حكم بطليموس توشك على الانتهاء، حتى وقعت مصر في حروب مستمرة مع الامبراطورية الرومانية، انتهت بهزيمة **أنطونيو وكليوباترا** ومصرعهما. ومن ثم **أصبحت مصر ولاية أخرى في الامبراطورية الرومانية، وحمل الأباطرة الرومان ألقابا مصرية.**

هذه هي الفترة التي يبدأ عندها التاريخ لكشك تراجان (KOISK OF TRAJAN) المعروف باسم «مرقد فرعون».

ويقع هذا المعبد، بقاعته المكشوفة (غير المسقوفة) والتي يبلغ طولها (١٩¼ متر) وعرضها (١٤½ متر) الى الشرق من جزيرة فيلة. وقد بدأ بناؤه اثناء حكم **أغسطس** واستمر الى حكم **تراجان** (٩٨–١١٧ ق.م.) .. لكن بناءه لم يكتمل حتى أيامنا هذه.

وهو يتكون من أربعة أعمدة في كل طرف منه، وخمسة على طول كل جانب. وينتهي كل عمود بحجر منحوت تعتليه قطع حجرية طويلة.

وجاء «**ديوقليشيان**» الى العرش عام ٢٨٤م، بعد فترة من الاضطرابات الداخلية العنيفة، أدت الى اضمحلال الامبراطورية الرومانية. **ويقال ان ديوقليشيان كان آخر الأباطرة الرومان العظماء بحق.**

واذا تتبعنا فوضوية القرن الثالث لبرزت اصلاحات ديوقليشيان، باعتبارها قد أطالت بقاء الامبراطورية الرومانية حوالي قرنين من الزمان. فقد أجرى تغييرات جذرية في النظام النقدي، وأعاد بناء الجيش ونظم جهاز الادارة .. الأمر الذي أدى الى حدوث طفرة عمرانية هائلة .. فشيدت المعابد الفاخرة والقصور والبوابات .. وغير ذلك من وسائل الترفيه المدني.

ولقد كان «جايوس أوريليوس فاليريوس ديوقليشيانوس» رجلا طويلا نحيلا عريض الجبهة، ذا أنف دقيق حاد، وفم واسع ولحية مدببة. وقد وصل الى السلطة، كغيره من الأباطرة، بمساعدة الجيش الروماني. ولذلك اضطر خلال حكمه، الى قمع عدة انقلابات في كافة ارجاء الامبراطورية. بيد أن اصلاحاته قد أعادت الأمن والاستقرار الى منطقة الشرق الأوسط والبحر المتوسط.

وكان أحد الانقلابات التي تمكن من احباطها .. ذلك الذي قام به «**اخيليوس**» **في مصر** وقد أخمد نهائيا عام ٢٩٦م.

وديوقليشيان – كغيره من الأباطرة الرومان – كان أحد التابعين المخلصين للآلهة، ولذلك قام – في نهاية حكمه حوالي عام ٣٠٥م – ببناء بوابة في جزيرة فيلة على شرف **ايزيس**.

وأقيمت البوابة على الطرف الشرقي من الجزيرة، وتعتبر قوس نصر، وتقع خلف الرصيف الصخري للميناء، وهو الذي يعبره الزوار في طريقهم الى معبد ايزيس.

ولقد قورنت هذه البوابة – بعد اتمامها – ببوابة **قسطنطين** في روما .. لكنها أصغر منها وأقل بهاء. (والجدير بالذكر ان قوس قسطنطين تم بناؤه بعد ذلك بعدة أعوام .. عام ٣١٢م).

أما الأحجار اللازمة لبناء قوس ديوقليشيان، فقد تم قطعها محليا .. حيث تتوفر موارد لا حد لها من الأحجار التي يمكن قطع كتلها الضخمة لبناء القوس.

وتشتهر جزيرة فيلة، بآثارها العديدة باسم «**درة مصر**». الا انها اختفت تحت مياه النيل بعد انتهاء بناء السد العالي عام ١٩٧٠م.

ولقد كانت أهمية فيلة وآثارها دافعا لقيام العملية الكبرى لانقاذ مبانيها. وعلى أساس تقديرات منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة ووزارة الثقافة المصرية، فقد اعتمدت مبالغ تصل الى **ستة ملايين جنيه استرليني** قدمتها كثير من الشعوب المعنية. وفي عام ١٩٧٢م بدأ العمل لانقاذ هذه الآثار التاريخية.

وتم التعاقد مع **شركة ايطالية** لبناء سد هائل لتفريغ المياه من حول الآثار الرئيسية ونظرا لموقعها على الجزيرة، وعلى أساس التكاليف المقدرة، فقد حذفت بوابة ديوقليشيان من خطة الانقاذ.

وبعد اتمام بناء سد التفريغ هذا، يبدأ نزح المياه من المباني. وهكذا بدأ العمل في ازالة اربعين الف حجر يبلغ وزنها ١٥٢٤٠ طنا، ثم بدأ فك المباني حجرا حجرا، وحملتها الى جزيرة (**اجيلكيا**) AGILKIA المجاورة .. حيث يعاد تشييدها مرة أخرى.

وبينما كان العمل جاريا في بناء سد التفريغ ونزح المياه من

لقد عملت غواصو البحرية في كل من مصر وبريطانيا بتعاون وثيق، لرفع أثر بالغ الأهمية في عالم الآثار!

المنطقة المعنية .. كانت الكاسحات والمعدات الأرضية المتنقلة تمهد أرض جزيرة «ايجلكيا»، بحيث تصبح مشابهة تماما لسطح جزيرة فيلة.

على أي حال، فقد غرقت بوابة ديوقليشيان، وبدا – أمام كل الاهتمامات والجهود المبذولة – انها ستظل على هذه الحال أمد الدهر.

بيد انها واحدة من بوابتين فقط في العالم .. ولهذا، ولدواعي بنائها الفريد من الأحجار المحلية، وشكلها المتميز، ومكانتها التاريخية، فقد كان المصريون جد حريصين على وجوب انقاذها.

وكانت البوابة قد فقدت القوس المركزي الذي يحكم ترابطها، ولذلك قام بعض المحافظين – ان صح التعبير – بصب الخرسانة فوق قمتي القوسين الخارجيين لمنع انهيارهما.

ومع هذا القرن اكتشف عالم المصريات «**سير هنري ليونز**» أحجار الجزء الأعلى من البوابة وجمعها معا في كومة، على امل ان تحين فرصة في المستقبل يستطيع فيها شخص ما اعادة بناء البوابة كما كانت عليه في العصر الروماني.

اما بناء سد التفريغ حول البوابة فلم يكن محل بحث. الا ان التكاليف المقدرة لذلك كانت حجر عثرة. فلم يكن هناك بد، لانقاذ البوابة، من الاستعانة بالغواصين.

فقامت الحكومة المصرية بالاتصال بالحكومة البريطانية، واتفقتا على ان ينضم فريق من غواصي البحرية الملكية البريطانية الى غواصي البحرية المصرية في محاولة لانقاذ البوابة.

وهكذا بدأ فريقا الغوص **المصري والبريطاني**، انقاذ هذه الآثار، بالاعتماد المالي الذي قدمت الحكومة المصرية جزءا منه، وأمكن تدبير بقيته من حصيلة معرض **توت عنخ آمون**، المقام في لندن.

وكان قائد فريق الغواصين البريطانيين الرائد بحري «**اد طومسون**» قد عقد صداقات وثيقة مع المصريين اثناء مساهمته في تطهير قناة السويس عام ١٩٧٥/٧٤م، وهو العمل الذي كوفئ من أجله، لنيل عضوية الامبراطورية البريطانية.

وبعد انتهاء عملية مساحة بوابة ديوقليشيان، في أبريل ١٩٧٦م، والتي اتضح خلالها ان البوابة قد غمرها الطمى الى نصفها، بدأ فريقا الغوص العمل في اكتوبر ١٩٧٦م.

هذا، ويتكون الفريق البريطاني من الرائد بحري اد طومسون، ومساعده الضابط «**ميك كيستر**» وستة غواصين على مستوى عال من التدريب.

أما اعضاء **الفريق المصري**، بخبرتهم في الغوص لمدة عشر سنوات، فقد كان قائدهم الرائد بحري «**شفيق وهدان**»، ومعه تسعة غواصين.

وقد أقام الفريقان بصفة دائمة في فيلة طوال الشتاء، باستثناء الاجازات القصيرة، وكان يجري استبدال الغواصين البريطانيين الشبان بغيرهم من غواصي البحرية البريطانية كل ستة أسابيع، بهدف اعطائهم اكبر قدر ممكن من الخبرة بالغوص في مياه غريبة عنهم، بالتعاون مع الغواصين الأجانب ذوي الخبرة.

ان عملية انقاذ بوابة ديوقليشيان، والتي تعتبر واحدة من أغرب العمليات التي مارسها الغواصون البريطانيون، قد تأكد نجاحها بفضل امكانات الفريقين. ولم تكن اللغة مشكلة في العمل، لأن العمليات التي قام بها الغواصون تحت سطح الماء، وهم ملثمون باجهزة التنفس، لم تكن بحاجة لغير الاشارات اليدوية، كذلك كانت رؤية الغواصين تتباين بدرجة ملموسة حسب ظروف الماء. اما قرب السطح، فقد كان معدل الرؤية ثلاثة أمتار، لكنها كانت تختفي تماما كلما اقتربوا من الطمي عند القاع. والجدير بالذكر ان البوابة كانت تقع على عمق احد عشر مترا تحت سطح الماء، بينما كانت قمم الأحجار على عمق ثلاثة امتار.

وكان الغواصون المقيمون في فندق يبعد عشر كيلومترات من فيلة، يعملون ستة ايام اسبوعيا، يسافرون خلالها الى مقر عملهم مرورا بطريق ضيق مترب بآثار من طمي مياه النيل. وبعد ان يغادروا **الميكروباص** (حافلة صغيرة) عند مركز الانقاذ الذي يديره المهندس المقيم السيد **فؤاد انور عطوة**، يستعبرون قاربا سياحيا كان الغواصون البريطانيون يسمونه «**ملكة افريقيا**».

وكان أول ما تصدى له الغواصون، من فوق عوامة رأسية على احد جانبي البوابة الغارقة، هو ازالة اطنان الطمي العالق بالبوابة، والذي اصبح كالصلصال. فكان من الواجب تخليص البوابة من هذه الرواسب الزلقة، ثم اخراجها الى الزورق بواسطة مضخات الامتصاص، ثم ينقل بدوره الى جزء آخر من البحيرة حيث يتم تفريغه هناك، وبمجرد ازالة الطمي يتجه العمل الى كشط الخرسانة ليتسنى فك الأحجار.

عند انتهاء هذه المهام الشاقة، يجري قياس وتعليم كل حجر بدقة حتى يتمكن التعرف عليه مرة اخرى عند وضعه في مكانه الصحيح على الارض الجافة، وبعد فك كل حجر كان الغواصون يحزمونه بحبال الصلب حيث يرفع الى السطح بواسطة الأكياس الطافية، التي تسحب، وتحتها الحجر الى مكان مناسب حيث ينتشل الحجر من الماء بواسطة الرافعة، ويوضع بحرص على الزورق الذي يحمله الى جزيرة «ايجيلكيا».

ولقد بلغ عدد الأحجار التي تم رفعها من البوابة الغارقة – عند انتهاء العمل – ٤٥٠ حجرا، يتراوح وزن كل منها بين ٥٠٨ و١٠١٦ كيلوجراما. ومع هذا العدد، تم رفع عدد آخر من الاحجار، التي يعتقد السيد **سامي فرج ابراهيم**، خبير الآثار المقيم بالمنطقة، انها من بقايا القوس الرئيسي المفقود.

ويأمل خبراء الآثار في امكان اعادة بوابة ديوقليشيان الى حالتها الاولى، موصولة بالقوس الرئيسي. وسوف يتم اعادة بناء البوابة في جزيرة «**ايجيلكيا**» خلف الرصيف الصخري للميناء مباشرة، والذي سيتم بناؤه بنفس الصورة التي كان عليها في العصر الروماني. •



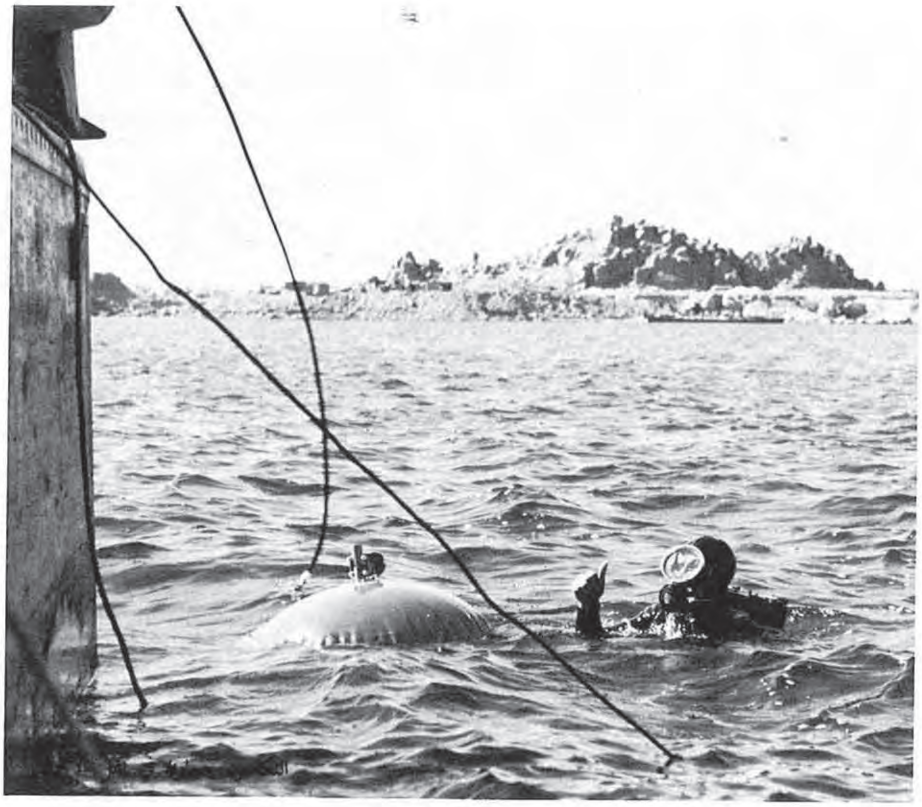
هذا ولكي يمكن تحديد انتهاء هذا الانجاز التاريخي .. ومن أجل الاحتفاظ بذكرى التعاون بين غواصي بريطانيا ومصر .. فقد قام الكابتن «**ب. واطسون**»، المدير المساعد للبحرية الحربية الملكية البريطانية، باهداء العميد بحري رياض، مدير الانقاذ بالبحرية المصرية، وكذلك السيد **أحمد قدري**» **وكيل وزارة الثقافة المصرية** نسخا من الخوذات التي كان الغواصون يرتدونها تحت الماء، ومكتوب عليها: «ذكرى التعاون بين غواصي البحرية البريطانية والبحرية المصرية، في انقاذ بوابة ديوقليشيان في المدة من اكتوبر ١٩٧٦ الى أبريل ١٩٧٧م».

وعند انتهاء العمل في اعادة بناء البوابة على جزيرة ايجيلكيا، والذي يستغرق عامين .. سوف توضع لوحة بجانبها لاعلام السياح بالعمل الذي قام به غواصو البحرية المصرية والبحرية البريطانية.

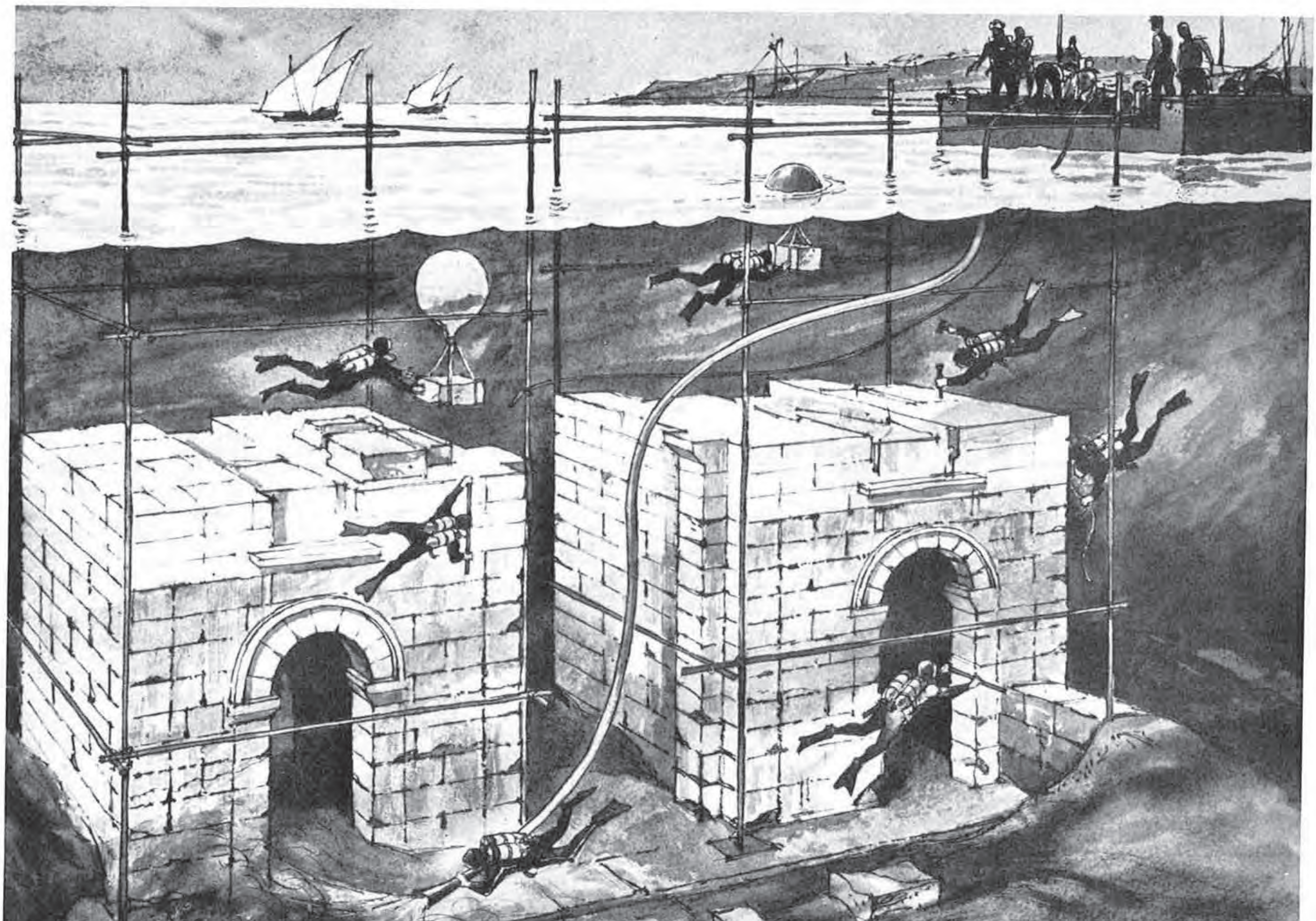
ولقد علق أحد غواصي الفريق البريطاني بقوله:

«حسنا .. ان مجرد التفكير في ان الناس سيشاهدون الموقع الجديد على امتداد آلاف السنين القادمة .. أمر يجعلني أرتجف..»

ملحوظة: الصورة المنشورة مع هذا الموضوع من وزارة الدفاع (البحرية الملكية البريطانية).







كيف كانوا يعملون تحت المياه؟

مشكلة الأميّة

والتحديات التي تواجه عالمنا المعاصر

بقلم: د. حمد ابراهيم السلوم

في تقرير اصدره البنك الدولي للانشاء والتعمير بواشنطن اخيرا عام (١٩٧٥ م) حذر البنك من انه اذا لم تتخذ خطوات هامة وفعالة من اجل محو الامية فسيزيد عدد الاميين في العالم بنحو (١٠٠) مليون خلال السنوات العشر القادمة، ليصبح (٨٦٥) مليونا مقابل (٧٦٥) مليون امي تقريبا في الوقت الحالي.

وقرر البنك المساهمية بمبلغ بليون دولار (ألف مليون دولار) لبرامج تعليم الكبار خلال السنوات الخمس القادمة.

وقد قسم التقرير العالم الى قسمين اثنين:

القسم الاول: متعلم — وتتراوح نسبة الامية فيه بين صفر٪ واقل من ٥٠٪.

القسم الثاني: متخلف تعليميا — وتصل نسبة الاميه فيه الى ٥٠٪ فأكثر.

ويضم العالم المتخلف تعليميا نحو ٦٦ دولة منها:

الكويت، الكنغو، ونيكاراجوا، ونسبة الامية فيها ٥٠٪، **وتركيا والدومينكان والسلفادور** والنسبة فيها ٥١٪، **وهندوراس** ٥٣٪، **وسوريا وبوليفيا وجواتيمالا وزائير** ٦٠٪، **والاردن** ٥ر٦٢٪، **وجمهورية مصر العربية** ٦٥٪، **وروديسيا** ٦٧٪، **وايران والعراق** ٧٠٪، **والهند وبنجلادش** ٧١٪، **وليبيا** ٧٣٪، **والجزائر وعمان** ٧٥٪، **والمملكة العربية السعودية** ٨٠٪، **والمملكة المغربية واليمن (الشمالي والجنوبي)** ٨٥٪، **والسودان** ٩٠٪، الى ان تصل نسبة الامية مداها في **موريتانيا** الى ٥ر٩٦٪.

مشكلة الامية في العالم العربي

تصل نسبة الامية في بلاد العالم العربي بوجه عام نحو ٧٣٪ بين مجموع سكانه، بينما هي لا تزيد عن ٥ر٣٪ في البلاد المتقدمة، ولا تزيد عن ٢ر٥٠٪ في البلاد النامية، وذلك حسب احصائيات عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م).

ومع هبوط نسبة الاميين حسب التوقعات من ٧٣٪ عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) الى ٥ر٥١٪ عام ١٤١٠ هـ (١٩٩٠ م) يتوقع المراقبون لحركة محو الامية زيادة عدد الاميين من (٥٠) مليون عام ١٣٩٠ الى ٧ر٦٧ مليون نسمة.

ومعنى ذلك هو استمرار حدة المشكلة ونتائجها وارتفاع نسبة الامية في الوطن العربي الى اعلى معدلات في العالم، سواء في النسبة العامة او في نسبة الذكور، ولا يفوقها في ذلك الا افريقيا، وترتفع بالنسبة للاناث الى اعلى معدلاتها، وتمثل بذلك مشكلة حضارية وتنموية راهنة، كما تمثل بوضعها الراهن عقبة بالنسبة للمستقبل.

وتزيد نسبة الامية بين النساء عنها بين الذكور، سواء على مستوى الوطن العربي بأسره او على مستوى كل قطر من الاقطار في العالم، كما تزيد نسبة الامية بين سكان البادية والريف عنها بين سكان الحضر، كما تزيد هذه النسبة بين العمال الزراعيين عنها بين العاملين في قطاعات الصناعة والخدمات.

وتتفاوت الاقطار العربية في نسب الامية فيها، لترتفع في بعض الاقطار الى حوالي ٩٠٪ مثل **(موريتانيا)**، وتنخفض في البعض الآخر الى حوالي ٣٤٪ مثل **(لبنان)**، كما حققت بعض الاقطار معدلات عالية في حملات محو الامية، بينما لاتزال الجهود قاصرة عن تحقيق معدلات معقولة في اقطار اخرى.

ولم تأخذ حركة محو الامية في الوطن

العربي المكانة الملائمة لطبيعة مشكلة الامية وتأثيرها السلبي كمشكلة حضارية واجتماعية وتنموية. وتعاني انشطة محو الامية من عدم وجود الكوادر المتخصصة المدربة، الواعية، والقادرة على العمل في تنظيمات محو الامية وقيادتها ودفع حركتها الى الامام.

ولا توجد في جميع الاقطار العربية (تقريبا) جهود ثقافية او اعلامية متخصصة في رفع المستوى الثقافي والمعرفي لحديثي التعلم من الكبار ممن محيت اميتهم، وكثيرا ما يرتد هؤلاء للامية مرة ثانية نتيجة عدم استعمالهم اليومي لما تعلموه كما نلاحظ ان معظم كتب محو الامية دون مستوى تعليم الكبار، او فوق مستواهم، ولا تراعي خصائصهم الثقافية والنفسية، او البيئات او متطلبات العصر.

ومازالت اساليب العمل في محو الامية في البلاد العربية تقليدية ونمطية ولم تستخدم بعد في حركة محو الامية الاساليب المبتكرة التي تطورت في هذا الميدان.

كما تشكو معظم الاقطار العربية من وجود مشكلات متأصلة في حركتها لمحو الامية ممثلة في عقبات مالية وادارية وفنية واجتماعية.

ولا يفوتني قبل عرض استراتيجية



مواجهة مشكلة الأمية في العالم العربي أن اوضح ان للعالم العربي بجميع اقطاره استراتيجية عامة، الا ان كل قطر من الاقطار العربية يحتاج الى استراتيجية خاصة به، من اجل محو الامية بين سكانه، وبما يتلاءم مع اوضاعه وظروفه الخاصة واستراتيجيته الشاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فيه. **وكل ما تقدمه هذه التأملات هو بعض المؤشرات العامة التي تتمشى مع جميع الاقطار العربية، وتعين كل منها على تحديد مساره، وتكامله مع بقية الاقطار العربية.**

استراتيجية مواجهة مشكلة الامية

ان الاستراتيجية التي تقوم على التصور الشامل في مواجهة مشكلة الامية تحتاج الى الترجمة في صورة اداءات يسهل تناولها على المستوى التنفيذي، **وهذه الاداءات هي:**

١) حصر المشكلة حصرا دقيقا عن طريق الاحصاءات والمسوح والدراسات الدقيقة، وتصنيف الاميين عمريا ومهنيا، وضرورة سد منابع الامية، واستحداث صيغ جديدة من المدارس للاميين، ووضع مناهج خاصة بهم، والزام العاملين في اطارات تنظيمية بمحو اميتهم مع تحديد الحوافز وتضييق الفرص امام الاميين في هذه المجالات مستقبلا، ومباشرة العمل في التجمعات الطبيعية بأسلوب العمل الشامل، وقيام جهاز مركزي في المجتمع المحلي تتمثل فيه القوى الاجتماعية الرسمية والشعبية على ارض النشاط نفسه، والتعرف على قطاعات الانتاج في المجتمع، وذلك من خلال خريطة اجتماعية.



٢) توجيه الدعاية والنشر في كل بلد عربي بطريقة تمس الاشخاص الاميين مهما كانت احوالهم، وذلك بواسطة جماعات ومنظمات مختلفة، ويجب طلب دعم الموظفين والمدرسين ورجال العلم والثقافة ورجال الاعمال، ومديري المصالح واصحاب العزائم للمساهمة في حث الاميين على التعلم.

٣) اعطاء تعليم الكبار ما يستحقه من اهمية في التخطيط للتربية والتنمية الاجتماعية والاقتصادية كي يسير تعليم الكبار مع تعليم الناشئة في خطة متكاملة. **وان يتعاون خبراء مكافحة الامية في الدول العربية على وضع الكتب الخاصة بمحو الامية، وعلى تبادل الخبرات العربية.**

٤) قيام كل دولة عربية – طالما تيسر لها ذلك – بوضع سياسة شاملة لتعليم الكبار، واشراك المتخصصين في تعليم الكبار في وضع خطط التنمية، ودعوة الجهات المسئولة عن التخطيط الى تحديد الاولويات الاساسية في تعليم الكبار، واعطاء الاولوية لاعمال البحث والتجريب فيما يختص بتحديد المحتوى، واعداد المواد التعليمية مع مساندة هذا بمزيد من التدريب المركز والمناسب للمعلمين، ومساهمة الجامعات وكليات التربية ومعاهد المعلمين ومراكز تعليم الكبار في ممارسة هذا اللون من النشاط العملي وبحوث العمل، ودراسة الطرق المستخدمة حاليا في مؤسسات تعليم الكبار داخل وخارج البلاد العربية وتبادل نتائجها مع المؤسسات المختلفة.

الإسلام يرفع من
قدر ذوي العلم
والمعرفة، وهذا هو
منطلق محو الأمية
في الإسلام!

٥) **تأكيد دور الدين في جميع مراحل ومستويات استراتيجية محو الامية في الوطن العربي، ومراعاة دور التراث العربي في تكوين المواطن، وتأصيل الشخصية العربية، ومراعاة الافكار والآراء الحديثة الوافدة من مختلف الحضارات والوصول بخدمات محو الامية الى تلك العناصر التي قد تحول بعض الظروف الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية دون طلبها لخدمات محو الامية.**

٦) تكوين رأي عام بخطورة الامية واتخاذ موقف ايجابي للتخلص منها، ويغطي هذا المحو ميادين الوعي الاجتماعي بين مواطني الوطن العربي، وتكوين وتدعيم حافز اجتماعي ايجابي لدفع الاميين الى طلب التعلم كما يرتبط به ايضا تحقيق المشاركة الايجابية للاميين في جهود حركة محو الامية ارتباط حركة محو الامية بجهود التنمية والتطوير الحضاري وارتباطها ايضا بحركة التربية في المجتمع، وتدعيم اجهزة محو الامية وكفالة مرونة حركتها، وتكثيف الجهود بين القطاعات السكانية الغالبة في بنية السكان.

التراث الاسلامي ومحو الامية

لم تنفصل محو الامية عن التربية الاسلامية في المجتمع الاسلامي. بل كانت تعيش معها، وتنمو معها وتنموان معا مع نمو



المجتمع الاسلامي. فقد نزلت اولى آيات القرآن الكريم على قلب رسول الله الكريم وهي:

(اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الانسان من علق. اقرأ وربك الاكرم. الذي علم بالقلم. علم الانسان ما لم يعلم).

وكأنما نزلت هذه الآيات الاولى بهذه الالفاظ والعبارات وعلى هذا النحو لتدل على (الشعار) الذي يجب ان يرفعه المجتمع المسلم، وعلى هدى من العقيدة التي يجب ان تعمر قلب الانسان المسلم، وفي ظل هذا الشعار انطلق المجتمع الاسلامي في طريق الحضارة والمدنية بعد سنوات محدودة من ظهور الاسلام فما ان فرغ الخلفاء الامويون من بسط جناح الاسلام، حتى اخذ الخلفاء يلجون باب العلم، كما ولجوا ابواب الفتوحات ولم تمض سوى سنوات قليلة حتى كانوا **(هم ورثة علم العصور القديمة)**.

وفعل الامر (اقرأ) الذي استهلت به الدعوة الاسلامية، فكان (شعارها)، وكان منطلقها في طريق الحضارة والمدنية، كان هو نفسه منطلق العلم الاسلامي، ومنطلق التربية الاسلامية، ومنطلق محو الامية كذلك في الاسلام.

انه يعني ان تتنوع ابعاد **(التربية المستمرة)** في الاسلام، وتتعدد بحسب (حالة) كل انسان، فمن كان اميا لا يعرف القراءة والكتابة كان عليه ان يتعلمها، ومن كان على علم كثير فعليه ان يستزيد ايضا من علمه، وان ينتشر ذلك العلم باللسان والكتابة.

وينبغي علينا ان نتذكر حقيقة هامة بالنسبة للاثر الاسلامي فيما يتصل بتفجير الرغبة في نشر المعرفة وتحصيلها، فالاسلام يرفع من قدر ذوي العلم والمعرفة.

قال الله في كتابه الحكيم: (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون).

وقال سبحانه وتعالى ايضا: **(شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم).**

وقال الحق عز وجل في محكم كتابه: **(انما يخشى الله من عباده العلماء).**

وقد جاءت السنة النبوية الشريفة تأكيدا لهذا النمط القرآني العام، ومن احاديث الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) التي تحث على التعليم ما يلي:

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال:

«لا خير في من كان من امتي ليس بعالم ولا متعلم».

«العلماء هم ورثة الانبياء».

«اطلبوا العلم من المهد الى اللحد».

«من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة».

«فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة».

«اطلبوا العلم ولو في الصين، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم».

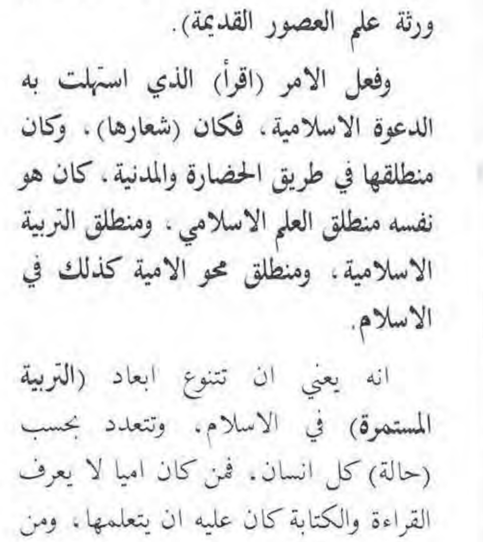
«من سافر في طلب العلم كان مجاهدا في سبيل الله، ومن مات وهو مسافر يطلب العلم كان شهيدا».

لقد اندفع العرب من شبه جزيرتهم في القرن الاول الهجري ليضعوا اساس دولة اسلامية كبرى، ولم يكن لديهم عندئذ تراث حضاري شامخ ينافسون به الشعوب الاخرى ذات الحضارات القديمة، ومع ذلك كان لدى العرب القدرة على التعلم السريع، والافادة من الغير، وتشرب الاتجاهات النافعة في الحضارات التي قدر لهم ان يلتقوا بها ويصادفوها في طريق توسعهم.

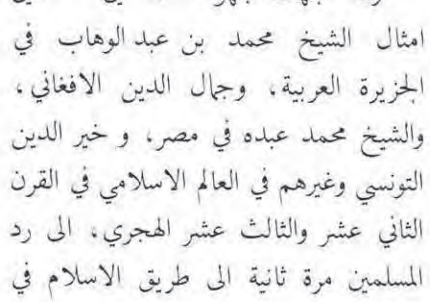
ولا شك ان هذه القابلية الحضارية قد اخذوها من الاسلام، ولكن اين هذا الذي يقال من واقع المسلمين اليوم؟

والاجابة على هذا السؤال سهلة ميسورة، وهي ان واقع المسلمين اليوم بعيد عن الاسلام في صورته المشرقة الاولى بعده عن الحضارة والمدنية التي يدفع الاسلام والمسلمين اليها دفعا.

وقد اتجهت جهود المصلحين المسلمين امثال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية، وجمال الدين الافغاني، والشيخ محمد عبده في مصر، و خير الدين التونسي وغيرهم في العالم الاسلامي في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري، الى رد المسلمين مرة ثانية الى طريق الاسلام في وضاءته الاولى، ووضعهم مرة اخرى على طريق الحضارة والمدنية.



لم تنفصل محو الأمية
عن التربية الإسلامية
في المجتمع الإسلامي
بل كانت تنمو معها
وتنموان معًا!



حجم الأمية في المملكة العربية السعودية

ليس من السهل تحديد حجم الامية في المملكة نظرا لعدم توفر بيانات التعداد الشامل للسكان الذي بدء باجرائه في العام الماضي. ولعل مشروع الخطة العشرينية لتعليم الكبار ومحو الامية يعطينا صورة تقريبية لحجم الامية، حيث نجد فيه تقديرا لاعداد الاميين كما يلي:

النوع	اميون	شبه اميين	المجموع الكلي
ذكور	١.٣٨٧.٥٠٠	٢٧٧.٥٠٠	١.٦٦٥.٠٠٠
اناث	١.٩٨٠.٠٠٠	٢٤٧.٥٠٠	٢.٢٢٧.٥٠٠
المجموع	٣.٣٦٧.٥٠٠	٥٢٥.٠٠٠	٣.٨٩٢.٥٠٠

كما تقدر الخطة الخمسية لمحو الأمية نسبة الأمية في المملكة بحوالي ٧٨٫٨٪ من جملة السكان وتبلغ بين الذكور من سن عشر سنوات فما فوق ٦٧٫٤٪، بينما تبلغ بين الإناث بحوالي ٩٠٫٥٪.

وقد تنبهت المملكة إلى خطورة مشكلة الأمية، فبذلت جهودها من أجل الخلاص منها حتى تستطيع أن تحقق أهدافها المرسومة في سبيل التنمية الشاملة، وتجلى ذلك واضحا في ربط مجالات العمل في ميدان مكافحة الأمية وتعليم الكبار بالسياسة التعليمية العامة.

تطور جهود المملكة في محو الأمية:

مرت جهود المملكة في مجال محو الأمية بعدة مراحل نستعرضها فيما يلي:

١) الجهود الفردية: كانت تتركز اساسا على سعي المواطنين الأميين إلى التعليم ليتمكنوا من قراءة القرآن الكريم، وليتفهموا أمور دينهم، وقد أخذ بيد هؤلاء المواطنين جماعات من المتعلمين واشتهر في هذا النوع بعض المدارس منها مدارس التشجيع الليلية بالمدينة المنورة، ومدارس النجاح الليلية بمكة المكرمة، ومدارس القرعاوى بالجنوب، والكتاتيب بالمساجد والمنازل. وكانت الدولة تمد تلك المدارس بالعون المادى والأدبي اللازمين لنموها، وقد استمرت هذه الفترة حتى عام ١٩٦٩ (١٣٤٩).

٢) الجهود الرسمية: بادرت ادارة التعليم الابتدائي في الفترة ما بين عام ١٣٦٩هـ وعام ١٣٧٨هـ بتولي مسئولية الجهود الرسمية في محو الأمية. وقد بدأت جهودها في هذا المجال بافتتاح المدارس النهارية ليلا لمكافحة الأمية وفق خطة للدراسة المسائية المنظمة.

وكان المنهج المطبق في هذه المدارس وهو منهج التعليم الابتدائي وخططه وموارده الدراسية الأمر الذى لم يتلاءم مع طبيعة الدارسين الكبار مما حدا بالجهات المسئولة الى اعادة النظر في وضع هذه المدارس الليلية ومنهجها.

٣) ادارة الثقافة الشعبية: احساسا من وزارة المعارف بخطورة مشكلة الأمية، وأهمية الجهود المبذولة في القضاء عليها، أنشأت ادارة خاصة باعمالها وأسمتها (إدارة الثقافة الشعبية) وجعلتها ادارة مستقلة في عام ١٣٨٧هـ (١٩٥٨م). وتطور العمل في مجال محو الأمية منذ إنشاء إدارة الثقافة الشعبية، لقد كان عدد مدارس محو الأمية في العام الدراسي ١٣٧٥هـ ثلاث عشرة مدرسة تضم ٥٧ فصلا ويدرس فيها ١٧١٣ دارسا، فأصبحت في عام ٩٥٪١٣٩٦هـ ١٢٢٣ مدرسة تضم ٣٢٧١ فصلا ويدرس فيها ٧٥٢٤٥ دارسا، وذلك خلاف الإناث اللواتي يدرسن في فصول تابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات.

وقد خصص لكل دارس يتخرج من مرحلة المتابعة مكافأة تشجيعية مقدارها خمسمائة ريال (٥٠٠) يستلمها مع شهادة نجاحه التي تعادل الشهادة الابتدائية. وتقوم إدارة الثقافة الشعبية أيضا بالإشراف الفني وتقديم المعونات لكافة الجهات الحكومية التي تعني بمحو الأمية كوزارة الدفاع والطيران، ووزارة الزراعة، ووزارة العمل والشئون الاجتماعية، والأمن العام، والحرس الوطني، والحرس الملكي، وهناك جهود اخرى تقوم بها إدارة الثقافة الشعبية في مجال محو الأمية نوجزها فيما يلي:

أ- الحملات الصيفية

وهي حملات للتوعية الاسلامية ومحو الامية، ترتاد مواقع التجمعات السكانية الزراعية، ومواطن البادية البعيدة عن الخدمات التعليمية والتثقيفية والصحية والاجتماعية في شهور الصيف لمدة (١٠٠) مائة يوم بهدف محو امية المواطنين من سكان هذه المناطق وتوعيتهم بأمور دينهم ودنياهم، وتثقيفهم صحيا واجتماعيا وزراعيا مع العمل

إن فعل الأمر "اقرأ" الذي استهلت به الدعوة الإسلامية كان هو نفسه منطلق العلم الإسلامي!



على رفع مستوى كفايتهم الانتاجية وتهيئة الفرصة لاستيطانهم في مواقع الحملات.

ب- استخدام التلفزيون في محو الامية:

بدأ برنامج محو الامية في التلفزيون مع بداية العام الدراسي ٩١/٩٢ هـ (٧١/٧٢ م) ومازال البرنامج قائما في تطور مستمر.

جـ- برامج التوعية العامة:

أعدت الادارة برنامجا للتوعية العامة مستهدفة منه ما يأتي:

١) توعية المواطنين متعلمين واميين بخطورة مشكلة الامية وتأثيرها على خطط التنمية التي تقوم بها المملكة.

٢) تثقيف المواطنين الاميين دينيا واجتماعيا وصحيا ومهنيا.

٣) حث المواطنين على الاسهام الايجابي في مجالات محو الامية المختلفة.

د- استثمار جهود الطلبة:

تم اعداد عدة برامج لاتاحة الفرصة لطلبة الجامعات والمعاهد العليا والمدارس الثانوية وما في مستواها في اثناء العطلة الصيفية لاستثمار جهودهم وشغل اوقات فراغهم فيما يعود عليهم بالفائدة وعلى الوطن بالنفع والخير، وذلك عن طريق مشاركتهم في النهوض بالمجتمع المحلي ومساهمتهم في عمليات محو الامية وتعليم الكبار.

٤) **تدريب المعلمين**: ادركت وزارة المعارف ان تدريب المعلمين هو احد المراكز العصبية لنظام التعليم، وان هناك ما يمكن عمله لرفع مستويات التعليم عن طريق تدريب المعلمين، فأقامت اربع دورات تدريبية في محو الامية وتعليم الكبار، قام بتنفيذها والاشراف عليها مركز التدريب والبحوث التطبيقية في تنمية المجتمع بالدرعية وكانت الدورة الاولى في صيف عام ١٣٩٢ هـ، والدورة الثانية في صيف عام ١٣٩٣ هـ، والدورة الثالثة في صيف عام ١٣٩٤ هـ، والدورة الرابعة في صيف ١٣٩٥ هـ. كما عقدت دورة اقليمية للمشرفين على برامج محو الامية بالبلاد العربية في الرياض.

وتحرص وزارة المعارف على ابتعاث عدد من موجهي الثقافة الشعبية كل عام الى مركز سرس الليان للتدريب على مجالات العمل في محو الامية، وابتعاث اثنين من قادة العمل في تعليم الكبار للحصول على الماجستير والدكتوراه في تعليم الكبار ومحو الامية سنويا.

٥) **المركز الوطني لمحو الامية**: كذلك انشأت وزارة المعارف المركز الوطني لمحو الامية ويهدف الى اعداد الاخصائيين ومدربي تعليم الكبار والقيام بالبحوث والدراسات اللازمة لتطوير العمل في مجال محو الامية.

محو الامية بين الاناث

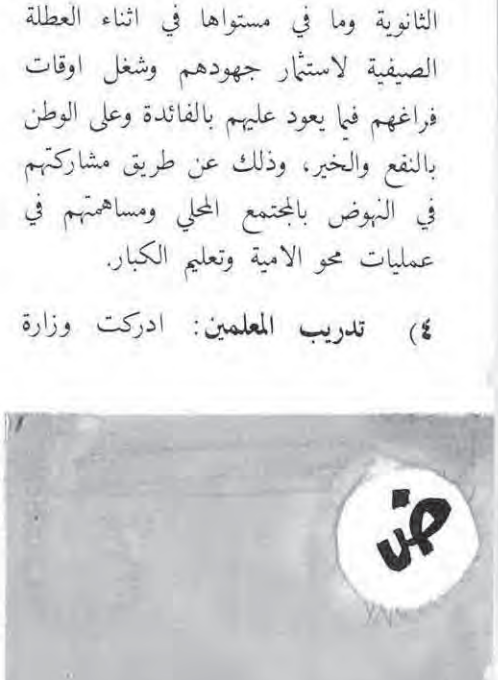
على اثر صدور المرسوم الملكي المشار اليه والخاص بمكافحة الامية بدأت الرئاسة العامة لتعليم البنات في فتح خمس مدارس لمحو الامية عام ١٣٩٢/١٣٩٣ هـ تضم ٤٧ فصلا، و١٤٠٠ دارسة فقط وفي عام ١٣٩٤/١٣٩٥ هـ بلغ عدد المدارس ٣٢٢ مدرسة، تضم ١٠٥٢ فصلا، و٢٣٢٨٢ دارسة.

وفي نهاية الخطة الخمسية ستتضاعف الاعداد الى ان يصل عدد الفصول نحو ١٣١٣٥ فصلا وستبلغ جملة الدارسات ٣٩٣٦٥١ دارسة، بحيث تغطي كل انحاء المملكة حتى يمكن الوفاء بما التزمت به الدولة في محو الامية خلال مدة اقصاها عام ١٤١٥ هـ.

الجهات الاخرى المعنية بمكافحة الامية

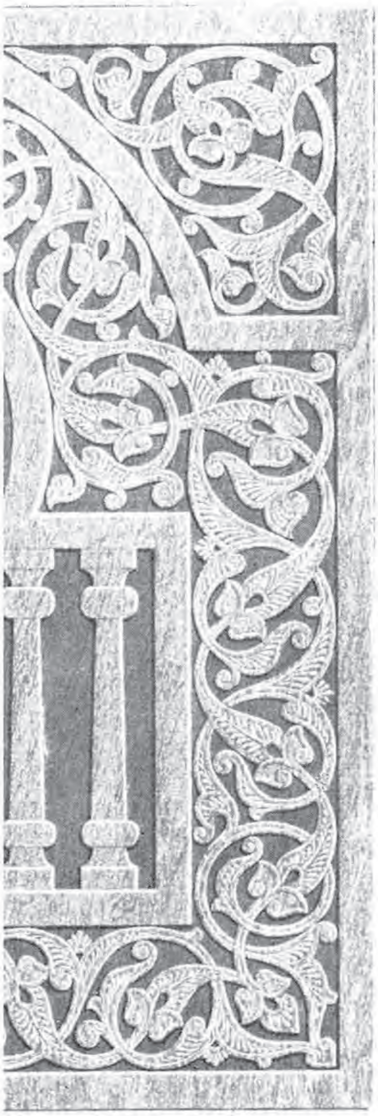
لم يقتصر العمل في مجالات محو الامية وتعليم الكبار على جهود وزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات فحسب بل تساهم بعض الوزارات والقطاعات الاخرى في هذا الميدان بفتح الكثير من المدارس الليلية، ومن هذه الوزارات والقطاعات وزارة الدفاع والطيران، ووزارة الشئون الاجتماعية والعمل، ووزارة الداخلية، الحرس الوطني، والحرس الملكي، ..وغيرهم.

وتقوم وزارة المعارف بتقديم كافة المعونات الفنية لهذه الجهات، وتزويدها بالمناهج والخطط الدراسية والكتب والوسائل التعليمية التي تعينها على اداء وظيفتها.









تاريخ المدينة المنورة

تأليف : عمر بن شبة النميري

بقلم : فهيم شلتوت

من اهم مصادر التاريخ عن الحياة الدينية والثقافية والسياسية والحربية والعمرانية في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم في الصدر الأول للاسلام كتاب «**تاريخ المدينة المنورة**» للحافظ المحدث **أبي زيد عمر بن شبة** المتوفي سنة ٢٦٢هـ.

واذا كان قد سبقه **ابن اسحاق** المتوفي سنة ١٥١هـ في تاريخه لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، من مولده الي ان لحق بالرفيق الأعلى، وما يتصل بحياته من صحابته وعماله والتشريع للمجتمع الإسلامي. وذلك في كتابه الذي وصلنا برواية **يونس بن بكير** المتوفي سنة ١٩٩هـ. تلك التي لم تأخذ طريقها الى الطباعة بعد[1] وأيضا برواية **ابن هشام** المتوفي سنة ٢١٣هـ، وهي التي بين أيدينا.

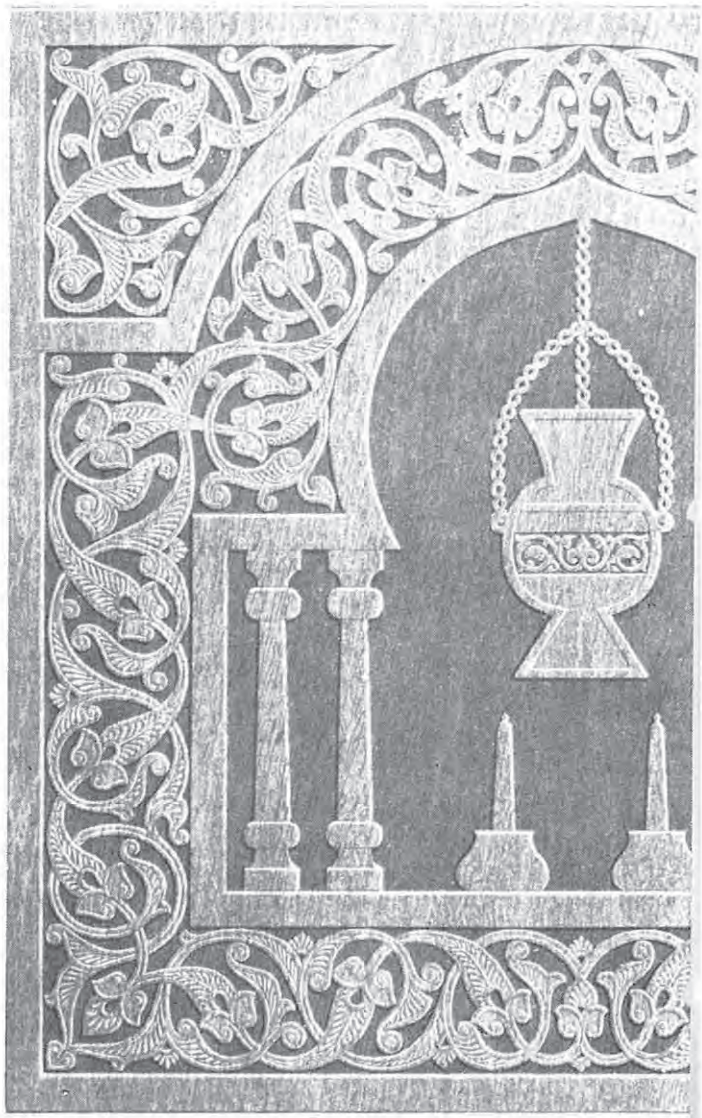
وكذلك اذا كان قد سبقه **الحافظ** المؤرخ **محمد بن عمر الواقدي** المتوفي سنة ٢٠٧هـ في كتابه «**المغازي**» الذي أخذ مكانه بين الكتب المنشورة، وكتابه التاريخ الذي لم يعثر عليه بعد[2]، وان كانت كتب التاريخ والسير اللاحقة له قد احتفظت لنا بنقول كثيرة عنه.

واذا كان **الحافظ محمد بن سعد** كاتب الواقدي المتوفي سنة ٢٣٠هـ قد أرخ لصحابة الرسول وتابعيهم وقدم لنا في ذلك حياتهم مبسوطة واضحة، معتمدا في ذلك على أستاذه الواقدي، وذلك في كتابه المعروف بالطبقات الكبرى.

فإنه يلاحظ ان التاريخ لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أتى عرضا في كثير من المؤلفات السابقة واذا كانت قد اهتمت بها في مواضع فتلك التي كانت في حياة الرسول صلى الله عليه

[1] توجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة القرويين بفاس برقم ٧٢٧.

[2] ينسب له سيرة الرسول، توجد منها ٣٥ قطعة متفرقة في تاريخ العهد السابق على الرسول وتاريخه قبل البعثة في برلين برقم ٩٥٤٨، أنظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة) ١٩/٣.



وسلم.

واذا كان أول مؤلف أفرد لتاريخ المدينة هو كتاب تاريخ المدينة **لمحمد بن الحسن بن زبالة** الذي كان حيا سنة ١٩٩هـ، الا أنه لم يعثر عليه بعد، ولولا نقول **السمهودي عنه** لظللنا نجهل تلك النقول حتى وقتنا هذا.

ويأتي **الزبير بن بكار** المتوفي سنة ٢٥٦هـ، وقد كان معاصرا **لابن شبة** فيؤلف ايضا كتابا في اخبار المدينة، لم نعثر عليه بعد، وقد ذكره **السيوطي** في كتابه «**شرح شواهد المغني**».

ولقد ظللنا زمنا طويلا نعتقد بفقد كتاب عمر بن شبة الذي أرخ فيه لمدينة الرسول اعتمادا على عدم ذكر بروكلمان في كتابه «**تاريخ الأدب العربي**» وجود نسخة من الكتاب بالمكتبات التي نشرت فهارسها، كما ظللنا نعتمد على النصوص التي نقلها **السمهودي** في كتابه «**وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**» عن ابن شبة.

وقد شاء الله ان يهتدي أحد السادة الأفاضل الى وجود نسخة من الكتاب في مكتبة السيد **محمد مظهر الفاروقي** بالمدينة المنورة كان قد أوقفها سنة ١٢٩١هـ على مدرسته بالمدينة.

وذلك الفاضل هو السيد **حبيب محمود أحمد** عضو مجلس الأوقاف بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أتيح له الحصول على نسخة مصورة عن تلك المخطوطة وأسند اليّ مهمة القيام بتحقيقها.

والمخطوطة التي نعتمد عليها في التحقيق تقع مرقمة في ٢٠٥ ورقة تساوي ٤٠٤ لوحة مصورة، ورقم المخطوطة بالمكتبة هو ١٥٧، ومتوسط عدد سطور صفحات المخطوطة ٢٧ سطرا، وقد كتبت بخط دقيق غير منقوط في أغلبه، وغير محرر الرسم للكلمات والحروف، بحيث لا يستطيع قارئ مهما أوتي من الخبرة والدراية والحفظ ان يقيم قراءة سطر من سطوره دفعة واحدة.

ولعلل مما يذهب الغرابة والعجب في وصفنا هذا لتلك المخطوطة ان نقول بأنها كتبت بخط الحافظ **بن حجر العسقلاني**، وشهرة غموض خط ابن حجر قد طبقت الآفاق ولعله كان يكتب بعض هذه الكتب لنفسه فقط.

ومما يؤكد كتابة ابن حجر لهذه النسخة ما ذكره **السخاوي** المتوفي سنة ٩٠٢هـ في كتابه «**الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**» في حديثه عن الكتب التي ألفت عن المدن الإسلامية فقد قال: «**المدينة النبوية لعمر بن شبة كما في ترجمته وهو عند صاحبنا ابن فهد نقله من نسخة بخط شيخنا (أي ابن حجر العسقلاني) كانت عند ابن السيد عفيف الدين**».

ولقد كانت إشارة السخاوي دافعا لنا لدراسة ما خطه ابن حجر مما هو موجود بين مخطوطات دار الكتب المصرية، وقد خرجت وصفوة من زملائي وأبنائي العاملين بمركز تحقيق التراث من هذه الدراسة بما يقطع بان النسخة التي بين أيدينا هي التي كتبها ابن حجر واشار اليها السخاوي.

واذا كنا قد وجدنا بعض الكتب التي خطها ابن حجر بيده، يسهل قراءتها الا أن طريقة رسمه للحروف والكلمات مطابقة لنسخته من تاريخ المدينة، لكنها كبيرة الحجم مفسرة الكلمات والحروف.

وقد لاحظنا ان ابن حجر فيما ينسخه من كتب الآخرين يغلب عليه صفة السرعة في الكتابة مما يجعله لا يوضح معالم الحروف والكلمات، وفيما يسوده لنفسه من مؤلفاته يغلب عليه الاضطراب وسوء الخط والسقط مما يضطره الى الإكمال بالهامش والإحالات بالتصويب الى الهوامش والشطب وترك

تاريخ المدينة المنورة

الفراغات بقصد استكمالها عند المراجعة، اما فيما بيضه من مؤلفاته التي طالعناها فإننا رأيناه ينمق فيها قدر استطاعته ولكنه لا يتخلى عن طبيعته في رسم الحروف وهندسة الكلمات.

ولعل من حسن الطالع ان يتتلمذ **السمهودي** على **ابن فهد** الذي كانت عنده نسخة من تاريخ المدينة لابن شبة التي أشرنا اليها، وبذلك حفظ لنا السمهودي في كتابه ما نقله من تاريخ المدينة الذي كان يعد مفقودا الى ما قبل التعرف عليه.

ونسخة تاريخ المدينة لابن شبة التي بين ايدينا مع عسر قراءتها لسوء خطها بها نقص في بدايتها وفي نهايات وبدايات أقسامها. وكذلك أيضا يوجد بها بياض في أثناء صفحاتها يتراوح مقداره بين الكلمة والسطر ونصف الصفحة، هذا بالإضافة الى ان تبويبها كتاريخ للمدينة افتقد الترتيب الطبيعي الذي نلاحظه عند غيره ممن أرخوا للمدينة المنورة مثل السمهودي.

ولعل هذا النقص يرجع الى ان الأصل الذي نقلت عنه هذه النسخة قد تناولته يد العبث فأتلفته، ولم يتهيأ إعادته الى اصله، فبقي لنا بحالته التي وصلتنا ممثلة في هذه النسخة.

ولا يستبعد ذلك فإن مؤلفنا **الحافظ ابن شبة** قد امتحن في حياته بمدينة «**سر من رأى**» ومزقت كتبه، فقد روى **الخطيب البغدادي** في ترجمته لابن شبة خبرا «عن **ابي علي العنزي** قال: امتحن عمر بن شبة بسر من رأى بحضرتي فقال: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، فقالوا له: من توقف فهو كافر؟ فقال: لا أكفر احدا، فقالوا له: أنت كافر، ومزقوا كتبه، فلزم بيته وحلف ألا يحدث شهرا..»

ونرجح ان اصل كتاب تاريخ المدينة كان من بين تلك الكتب التي تناولها العبث والإتلاف.

ومؤلف تاريخ المدينة هو أبو زيد عمر بن شبة بن عبيدة النميري البصري، مولي بني نمير ولد سنة ١٧٣هـ وتوفي سنة ٢٦٢هـ. ترجم له **ابن النديم وياقوت وابن خلكان والخطيب البغدادي والنووي والذهبي وابن حجر والسيوطي**.

وقد أجمع كل من ترجموا له على انه صادق اللهجة، غير مدخول الرواية، عالم بالآثار، راوية للأخبار، أديب فقيه، صاحب نوادر واطلاع كثير، عالم بالقراءات، ثقة فيما يروي، صاحب تصانيف، بصير بالسير والمغازي وأيام الناس.

وقد سمع وروى وحدث عن ثقات علماء عصره مثل: جبلة بن مالك، ومحبوب بن أبي الحسن، وعبد الوهاب الثقفي، ومحمد بن جعفر غندر، وأبي زكريا يحيى بن محمد قيس، وعلي بن عاصم، ويزيد بن هارون، ومؤمل بن اسماعيل، وعمر بن شبيب، وحسين الجعفي، وأبي بدر السكوني، ومعاوية بن هشام، وعبد الوهاب بن عطاء، وأبي عاصم الشيباني النبيل، ويحيى الفطان، ويوسف بن عطية، ومحمد بن سلام الجمحي، وابراهيم بن المنذر، وهارون بن عبدالله وغيرهم.

وروى عن أبي شبة وحدث عنه: أبو بكر بن ابي الدنيا، وعبدالله بن سليمان، وعبد الملك ابن عمرو الوراق، واحمد بن فرج، وابو شعيب الحراني، وابو قاسم البغوي، ويحيى بن صاعد، واسماعيل بن العباس الوراق، ومحمد بن زكريا الدقاق، والقاضي المحاملي، ومحمد بن مخلد، ومحمد بن أحمد الأثرم، وابن ماجة، وأبو العباس الثقفي، وأبو نعيم، وعبد الملك بن محمد الجرجاني، وخلق كثير.

وقد صنف بن شبة مصنفات عدة ذكرها ابن النديم في الفهرست أثناء ترجمته، وعنه نقل ياقوت في معجم الأدباء في ترجمته ايضا، وهذه المؤلفات فيها التاريخ والأدب والأخبار واللغة وعلوم الدين.

وأسماء كتبه على ما أوردها ابن النديم هي: كتاب الكوفة، كتاب البصرة[٣]، كتاب أمراء المدينة[٤]، كتاب أمراء مكة[٥]، كتاب السلطان، كتاب مقتل عثمان[٦]، كتاب الكتاب، كتاب الشعر والشعراء[٧]، كتاب الأغاني[٨]، كتاب

---

(٣) استفاد منه ياقوت في معجم البلدان، راجع فهرس الأعلام.

(٤) نقل ما نعرفه بتاريخ المدينة

(٥) وهو ما نعرفه بتاريخ مكة، ولقد نقل عنه الطبري في تاريخه، والبخاري في صحيحه والسمهودي في وفائه.

(٦) وقد نقل عنه ابن ابي بكر في كتابه التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان كمصدر من مصادر تأليفه على ما سنذكره فيما بعد.

(٧) ذكره ياقوت بعنوان: كتاب طبقات الشعراء.

(٨) وقد استفاد منه الاصفهاني في كتابه الأغاني، راجع فهرست الاعلام.

لقد ظللنا زمناً طويلاً نعتقد بفقد هذا الكتاب الذي يؤرخ لمدينة الرسول، اعتماداً على عدم ذكر بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" وجود نسخة من الكتاب في المكتبات التي نشرت فهارسها، إلى أن شاء الله أن يهتدي أخيراً إلى هذا الكتاب ....

التاريخ، كتاب أخبار المنصور، كتاب أخبار محمد وابراهيم ابني عبدالله بن حسن بن حسن، كتاب أشعار الشراة، كتاب النسب، كتاب اخبار بني نمير، كتاب ما يستعجم الناس فيه من القرآن، كتاب الاستعانة بالشعر وما جاء في اللغات، كتاب الاستعظام للنحو. وقد أورد ياقوت الفقرة الاخيرة على النحو التالي: كتاب الاستعظام، كتاب النحو من كان يلحن من النحويين.

هذا ما كان عن ابن شبة قدمناه موجزا، اما كتاب تاريخ المدينة فحديثنا عنه بشيءٍ من الإيجاز ايضا، فهو في صورته التي وصلتنا يضم ثلاثة أقسام:

أولها عن حياة **النبي صلى الله عليه وسلم** في المدينة، وهو ناقص من أوله ومن آخره، ويليه قسم آخر عن حياة **عمر بن الخطاب رضي الله عنه**، وهو ناقص من أوله وآخره، ويليه قسم آخر عن **عثمان بن عفان رضي الله عنه** وهو ناقص ايضا من أوله ومن آخره. والملاحظ ان مخطوطة الكتاب لا تضم تاريخا لخليفة رسول الله **أبي بكر الصديق** رضي الله عنه، وهذا يدعو الى افتراض احد فرضين، اما ان المؤلف قد ضمنه كتابه هذا، ولكنه فقد عند محنته كما أشرنا، او انه اهمل تاريخ ابي بكر لأن عصره كان قصيرا، قضاه ابو بكر مشتغلا بحروب الردة، مما صرفه عن الاهتمام بالحياة وغيرها من أمور الدنيا.

والقسم الأول يمكن ان يقال بشأنه انه يؤرخ **لحياة النبي صلى الله عليه وسلم** في المدينة منذ الهجرة الى ان لحق بالرفيق الأعلى، ويعالج من خلال ذلك الحياة العمرانية للمدينة من حيث إقامة المساجد وتخصيص الصدقات، وما يتصل بذلك مما يحتاجه المجتمع من مرافق، كالأسواق والآبار والعيون، وبيان حدود المدينة وما حولها ومجتمع مياهها ومخايضها وأوديتها. وطال حديث ابن شبة عن دور أهل المدينة ومنازلهم، ومحال القبائل من المهاجرين، ومنازل القبائل الأخرى بالمدينة.

وهو في ذلك يعد أقدم نصاً وصلنا عن تاريخ العمران في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

والقسم الثاني يؤرخ لحياة أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** في المدينة منذ تولى الخلافة حتى لحق بالرفيق الأعلى شهيدا، على يد **أبي لؤلؤة المجوسي**.

وقد عني المؤلف خاصة بالاصلاحات التي أدخلها عمر بن الخطاب على مرافق المدينة، والتوسيعات التي أجراها في مسجد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وسياسة الخليفة عمر في ارساء قواعد العدل، ومراقبته للولاة وأولي الأمر في إدارة شئون



حمد الجاسر

* عالم ونحاتة عرف بلقب «علامة الجزيرة».
* درس بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٣٥٨ هـ.
* ولد عام ١٩١٢ م بقرية «البرود» بالمملكة العربية السعودية.
* تقلد وظائف كثيرة حيث عمل قاضيا في ضبا، فمديرا للتعلم في نجد فمديرا لكليتي اللغة العربية والعلوم الشرعية بالرياض.
* انشأ «اليمامة» اول مجلة صدرت بمدينة الرياض في أواخر عام ١٣٧٢ هـ/١٩٥٣ م كما انشأ اول مطبعة في نجد وهي (مطابع الرياض) عام ١٣٧٤ هـ وفي عام ١٣٨٦ هـ أنشأ (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) واصدر عنها مجلة (العرب) الشهرية التي يرأس تحريرها بنفسه ومازالت توالي الصدور.
* عضو المجامع العربية بالقاهرة ودمشق وبغداد.
* له مؤلفات مطبوعة عديدة تفوق العشرين مؤلفا بين تحقيق وتأليف في جغرافية وتاريخ وآداب العرب .. كما ان له بحوثا وتحقيقات مختلفة نشرت في الصحف والمجلات .. ومازال يتابع بنشاط في هذا الحقل.

تـــاريـخ
المـديـنــة المنــورة

الرعية، ومعالجته الأزمات الاقتصادية وبخاصة في عام الرمادة، وتنمية بيت المال بحيث أصبح يضمن رزقا لكل مسلم حتى الطفل الرضيع، بالإضافة الى حمايته للأحماء لترعى فيها خيول الجهاد وابله، وكذلك رحلاته الى الشام وتفقده لأحوال المسلمين، وإرسائه أسس العلاقة مع أهل الذمة في تلك البلاد.

واذا كان هناك من كتب عن حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ممن وصلتنا كتبهم **كابن الجوزي** في مناقب عمر **والبلاذري** في كتابه أنساب الاشراف، **وابن سعد** في الطبقات **وابن عنان** في الغوث الأكبر في مناقب الجد الأعظم عمر وغيرهم، الا ان ما كتبه **ابن شبة** عن عمر رضي الله عنه يعتبر النص الرائد في هذا المجال، من حيث غزارة المادة، وتوثيق الأخبار والنصوص، والصدق في عرضها.

ابن النديم

* هو محمد بن اسحق المتوفي حوالي عام ١٠٤٧ م، وهو بغدادي المولد، ولكن سنة ولادته لا تعرف على وجه التحقيق، احترف الوراقة والكتابة، فأتاحت له هذه الحرفة معرفة طيبة بالتصانيف العديدة، وبمؤلفيها الكثيرين، فضلا عن المعارف التي سادت في عصره.

* ويدل كتابه «الفهرست» على احاطة ودقة سواء فيما رأى او قرأ او سمع.

* والكتاب مقسم الى عشر مقالات في عشرة من جوانب الثقافة الاسلامية. وكل مقال مقسم الى عدة فنون، يحكي فيها اسماء الكتب واخبار مؤلفيها على اختلاف طبقاتهم واصنافهم كالنحاة والرواة والمغنين والمتكلمين والفقهاء والمشعوذين، والمصورين والكيمائيين وغيرهم.

* و«الفهرست» بهذا يعطي صورة واضحة للحصيلة العلمية الضخمة التي كانت بين يدي طلاب العلم بديار الاسلام في منتصف القرن الرابع الهجري.



والقسم الثالث يؤرخ لحياة الخليفة **عثمان بن عفان رضي الله عنه**، في المدينة المنورة منذ تولي الخلافة حتى استشهد في الفتنة الكبرى التي فتن بها المسلمون، ويعني بخاصة بالتوسيعات التي أدخلها على مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وما جد في المدينة من اتساع حدودها والاحماء التي حماها، ثم تناول بتوسع الأحداث التي سبقت الفتنة الكبرى، ثم تطور تلك الأحداث،

وما قيل عن مواقف بعض الصحابة منها وبخاصة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونتائج تلك المواقف والأحداث.

ولعلنا لا نجد نصا قديما قد عالج حياة عثمان رضي الله عنه، وأحداث الفتنة بالدقة والتوسع والاسناد والاستيثاق، والحيدة المطلقة في الأحكام، يضارع أو يقرب مما كتبه ابن شبة في هذا القسم.

واذا كنا لم نعثر بعد على كتاب مقتل عثمان لابن شبة التي تحدثت عنه المراجع، فانني اعتقد ان ما في هذا القسم يعزينا

ابن خلدون

هو ابو زيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ولد في تونس عام ١٣٣٢ م. ونشأ وتعلم بها. مؤرخ وفيلسوف اجتماعي، عربي مسلم مشهور. تنقل في بلاد المغرب والاندلس ثم اقام بتلمسان وشرع في تأليف تاريخه (العبر وديوان المبتدأ والخبر) الذي له قيمة كبيرة بين كتب التاريخ الاسلامي. ولمقدمته شأن عظيم لاشتمالها على علوم ومعارف شتى. حيث عده البعض من اجلها مؤسسا لعلم فلسفة التاريخ وكذلك علم الاجتماع.

توفي ابن خلدون عام ١٤٠٦ م.

السمهودي

هو نور الدين ابو الحسن علي، الصوفي المصري المولود عام ١٤٤٠ والمتوفي ١٥٠٦ ميلادية، وكان مولده في سمهود بمصر، ثم درس في القاهرة وحج الى مكة، وبقي في المدينة ينظم دار الكتب فيها، له مصنفات كثيرة منها: «الوفا بأخبار دار المصطفى» تناول فيه تاريخ المدينة المنورة.



عن فقد هذا الكتاب.

واذا كان أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفي سنة ٢١١هـ، قد

ألف كتابا عن مقتل عثمان كما يذكر ابن النديم، الا أن هذا الكتاب لم يعثر عليه بعد.

وقد تيسر لنا ونحن نبحث عن أصول تساعدنا في تحقيق هذا القسم ان نهتدي الى كتاب **أبي عبدالله محمد بن يحيى بن محمد بن سعد الأشعري المالكي** المعروف بابن ابي بكر المتوفي سنة ٧٤١هـ والذي سماه: **التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان**(٩)، وقد أشار ابن ابي بكر في مقدمة كتابه، الى أنه توخى فيه العدل من غير ميل وتعصب، وذكر ما نقله الأئمة العلماء في كتبهم وتواريخهم، وسمى من هذه الكتب كتاب المقتل **لعمر بن شبة النميري**، وقد حوى الكتاب نقولا كثيرة عن ابن شبة، لا نراها تختلف كثيرا عما جاء في القسم الثالث من كتابنا هذا، وقد أفاد هذا الكتاب كثيرا في تحقيقي للقسم الثالث من الكتاب.

وقد ذكر السخاوي عدة مؤلفات في تاريخ المدينة وفضائلها ومآثرها ومعالمها الا أن أكثرها لا نعرف له وجودا وبذلك يعد كتاب ابن شبة من أهم النصوص الأصلية بين أيدينا والتي تؤرخ لمدينة الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

وأخيرا فإن كان هذا الكتاب قد مني بخط عاثر فتأخر تحقيقه بسبب ما أشرنا اليه في وسف النسخة، فقد علمت من فضيلة استاذنا **الشيخ حمد الجاسر** بان احد السادة العلماء الأفاضل قد أعد فيه رسالة دكتوراة، وحان الوقت الذي نستطيع فيه ان نقول اننا نضم الى الأصول الرائدة في تاريخ السيرة النبوية والحياة الإسلامية الأولى في المدينة النبوية، كتابا آخر، هو تاريخ المدينة لعمر بن شبة الذي قد تم تحقيق القسمين الأول والثاني منه وهما تحت الطبع، الذي سيتولاه السيد الفاضل **حبيب محمود أحمد**، على نفقته. اما القسم الثالث فقد انجزنا تحقيق نصفه.

سامراء (سر مَن رأى)

* مدينة عراقية، تقع على الضفة اليسرى من نهر دجلة، وتبعد عن بغداد (العاصمة) بحوالي ١٠٠٠ كم شمالا.

* تضم اطلال المدينة سامراء العباسية، التي انشئت زمن الخليفة المعتصم، وبلغت اقصى درجات اتساعها في عهد الخليفة المتوكل، ومن اهم آثارها بقايا دار الخليفة والمنارة الملوية.

* كانت مقرا للخلافة العباسية (٨٣٦-٨٧٦)، وهي مركز القضاء المسمى بأسمها، وتتبع لواء بغداد.

* قيل عن اسمها ان الخليفة المعتصم لما رأى البدء في بنائها تقل ذلك على جنوده ولكنهم لما رأوها (سر كل منهم برؤيتها) فلزمها اسمها (سر من رأى) وتحول بعد ذلك اختصارا الى (سامراء).

(٩) سيصدر بتحقيقنا بإذن الله في القريب.

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١- قيمة المسابقة عشرة الاف ريال سعودي .. موزعة على ثلاث جوائز على النحو التالي:
أ) الجائزة الاولى ٥٠٠٠ ريال
ب) الجائزة الثانية ٣٠٠٠ ريال
جـ) الجائزة الثالثة ٢٠٠٠ ريال

٢- المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وأرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الأسم ثلاثيا او رباعيا – ان امكن – مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة الى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣- ترسل الاجابات على العنوان التالي:
(الرياض – المملكة العربية السعودية – مجلة الفيصل – ص.ب (٣) المسابقة).

٤- أية اجابة تصل بعد ٣٠ يوما من صدور العدد لا يلتفت اليها.

٥- ننصح بمتابعة اعداد المجلة لان أغلب اسئلة المسابقة سوف يجدها القارئ في ثنايا المواضيع المنشورة فيها.

٦- من حق القارئ ان يشترك باسمه في المسابقة الواحدة اكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

وهناك سبع جوائز اخرى قيمة كل جائزة اشتراك في المجلة لمدة عام.

نتيجة مسابقة العدد الثاني

نتائج مسابقة العدد الثاني

* الجائزة الأولى وقدرها خمسة آلاف ريال سعودي فاز بها القارئ (نايف حامد همام، مدرسة منى الابتدائية، مكة المكرمة، السعودية).

* الجائزة الثانية وقدرها ثلاثة آلاف ريال سعودي فاز بها القارئ (عبدالغني عبدالهادي، عمان ص.ب ٨٥٤٥، الاردن).

* الجائزة الثالثة وقدرها الفا ريال سعودي فاز بها القارئ (سيد محمد احمد البدوي، أم درمان، ص.ب ٤٤، السودان).

فاز بالجوائز السبع الاخرى وهي عبارة عن اشتراك في المجلة لمدة عام (١٢ عددا) الاسماء التالية:

* من تونس (نجاة البحري، ٣ نهج سيدي عبدالجليل، زنقة سيدى الانصاري، تونس).

* من مصر (محمد العراقي شلاطة، بدواي، مركز المنصورة، محافظة الدقهلية).

* من مصر (عبدالحميد ابو العينين، ٤ ش الحناوي، امام سينما روكسي، المنصورة).

* في السعودية (باسم عبدالله أوان، شرطة النجدة، بواسطة عبدالله أوان، المعابدة، مكة المكرمة).

* من المغرب (العلمي عبداللطيف، ٥٦ جانب المسجد، زنقة المنظر الجميل، أشبار آسفي).

* من دولة الامارات العربية (عبدالعزيز احمد اسعد، ص.ب ٣٠٩، ابو ظبي).

* من المغرب (العدوي زينب، زنقة سلان جان رقم ٨ اكدال، الرباط).

السؤال الأول:

من هو الذي امر بتشييد قصري الخورنق .. والسدير .. واين يقعان ؟

السؤال الثاني:

من اين يستخرج العنبر ؟

السؤال الثالث:

من هم مؤلفو الكتب التالية:

* الفهرست
* مروج الذهب
* وفيات الاعيان
* الكامل في التاريخ

السؤال الرابع:

كيف تتنفس الضفدعة ؟

السؤال الخامس:

من هو مخترع النقط البارزة الملموسة لمساعدة المكفوفين على القراءة ؟

السؤال السادس:

ما هو اسم الصحابية التي عرفت بلقب (ام عمارة) ؟

السؤال السابع:

ما هو الجيد (بكسر الجيم) .. والباع .. والزند (بتشديد الزاي مع فتحها) .. والترائب ؟

السؤال الثامن:

بماذا تعرف صغار هذه الحيوانات:

الضبع – الفيل – الكلب – الدب – الارنب.

السؤال التاسع:

اين توجد الجامعات التالية:

جامعة عليكرة الاسلامية – جامعة الامام محمد بن سعود – جامعة القرويين

جامعة أوبسالا الملكية.

السؤال العاشر:

الخط العربي له انواع .. واشكال كثيرة..

اذكر اسماء اشهر خمسة اشكال منها.

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل

(العدد الخامس)

الاسم: ....

المهنة: ....

العنوان: ....

أخبارهم



التقدم الروحي .. والمادي

من العادات الشائعة بين القبائل البدائية التي تقيم في أعالي نهر الامازون ان الفرد منهم اذا اضطر الى الجري مدة طويلة توقف مرات وجلس القرفصاء بعض الوقت – لا يفكر في شيئ – لا ليستريح وانما لينتظر وصول (روحه) اليه اعتقادا منهم بأنهم حين يجرون تتخلف عنهم ارواحهم فهم يتريثون لتصل اليهم.

وقد علق احد الكتاب على هذه العادة، فقال ما أحوج العالم اليوم الى محاكاة هؤلاء البدائيين، فكلما قطع شوطا في مجال التقدم المادي تريث قليلا حتى يبلغ تقدمه الروحي ما بلغه تقدمه المادي.

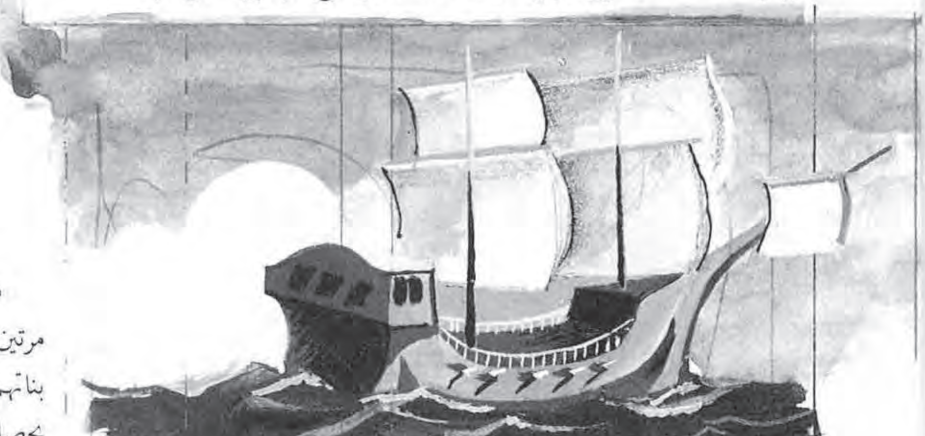


الحرب .. بالشعارات

كانت المنافسة على اشدها في منتصف القرن السابع عشر بين رجال البحر في كل من هولندا وانجلترا. وأراد الهولنديون ان يسخروا من الانجليز فاتخذوا (المكنسة) شعارا لسفنهم اشارة الى ان هذه السفن سوف تكنس الاسطول الانجليزي من البحار.

وكان رد الانجليز على هذه السخرية ان اتخذوا (السوط) شعارا لسفنهم في الاسطول اشارة الى انهم على استعداد لتأديب منافسيهم.

وجرت عادة الفريقين بان يحاول كل منهما تحطيم سفن الآخر ثم الاستيلاء على شعارها ورفعه محطما الى جوار شعاره الخاص فوق سفنه المنتصرة ... ومنذ ذلك الحين اصبح من التقاليد البحرية البريطانية ان تعلق على سارية كل سفينة يراد بيعها مكنسة مكسورة رمزا لذلك الانتصار على البحرية الهولندية.



الزواج عند البابليين

من التقاليد المأثورة عند قدماء البابليين، انهم كانوا يقيمون مرتين في العام اسواقا خاصة بساحات معابدهم يتم فيها تزويج بناتهم على طريقة (المزاد) وكانت الفتيات الجميلات تتبرعن بما يحصلن عليه من مهور غالية للفتيات الاقل جمالا وبذلك يشتد الاقبال على هؤلاء ايضا.



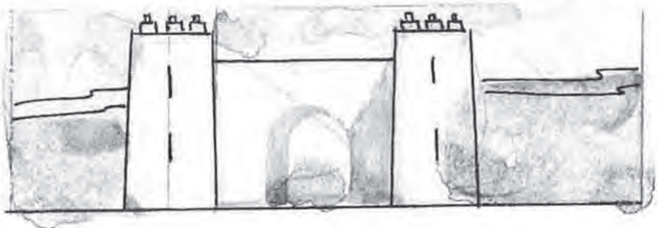
قدم الغش في الامتحان

يبدو ان تلاميذ اليوم ليسوا وحدهم الذين يتفننون في محاولات (الغش) في الامتحانات. فقد اكتشف بالصين نسيج رقيق كتب عليه نحو ٧٢٠ فقرة من الكتب الاربعة لكونفشيوس، واتضح ان النسيج أعد لتبطين الرداء الذي كان يلبسه المتقدمون للامتحانات للقبول بوظائف الدولة الكبرى ببلاد الصين في عهد حاكم يدعى (تشينج) سنة ١٦٥٠م وكان نظام الامتحان لديهم يقضي بان يترك الطالب وحده في غرفة خاصة لمدة ثلاثة أيام بعد ان يعطى الاسئلة التي كانت تقتصر تقريبا على كتابات كونفشيوس، ويقال ان عقوبة الغش في مثل هذا الامتحان كانت قاسية، وقد حفظ النسيج المكتشف في جامعة برنستون بأمريكا.

سكن خاص للمشاغبين

لاحظ المسئولون في هولندا ان هناك عائلات لا تكف عن الشغب واثارة الفوضى في الاحياء التي يسكنونها، حتى انهم لا يتركون جيرانهم يعيشون بسلام مهما بذلت معهم من محاولات.

ولذلك أقاموا ضواحي خاصة لسكنى العائلات التي تتكرر حوادث شغبها، وقد نقل اليها حوالي ١٣٠٠ عائلة، وقد روعي في مباني هذه الضواحي ان تكون متباعدة، وزودت نوافذها ومصابيح طرقها بزجاج غير قابل للكسر حتى لا يحطمه الأطفال المشاغبون ابناء تلك العائلات.



يزيلون خلافاتهم بالموسيقى

من التقاليد القديمة في بلاد الاسكيمو، انه اذا نشب خلاف بين عائلتين دعي لفيف من الموسيقيين ووقف افراد العائلتين معا في دائرة ومن حولهم اتباعهم ومعارفهم، ثم تعطى كل عائلة فرصة لكي تسرد اتهاماتها ومواضع الخلاف في صورة أزجال فكاهية على أنغام الموسيقى، والفريق الذي يثير اكبر قدر من الضحك يعلن في النهاية انه الفائز (وصاحب الحق)، وعلى الفريق الآخر ان يقبل بغير مناقشة ما تقرره أغلبية الحاضرين.

على ان هذا العرض الهزلي الموسيقي للخصومات غالبا ما يبدد ما في النفوس من حزازات ... فيخرج الجميع وقد عاد بينهم الصفاء.



القدس عربية

من البديهيات المسلم بها أن القدس عربية خالصة في عروبتها، وان أسفار اليهود المقدسة لديهم تعترف بذلك وتثبته وتؤكده دون ان يحملها احد عليه، فقد جاء في سفر حزقيال (الطبعة الكاثوليكية) ٣/١٦: «يابن البشر، أخبر اورشليم بأرجاسها، وقل: هكذا قال يهوه الرب لأورشليم: معدنك ومولدك من أرض كنعان، أبوك أموري وأمك حثية».

فعروبة القدس أصيلة، فهي من أرض كنعان العربية، وعندما كانت جنينا في بطن أرض كنعان العربية، كان من نطفة عربية في رحم عربية، ثم كان المولد فجاء الوليد عربيا نقي العرق والدم، ثم كانت النشأة والتربية عربيتين، فبقيت على أصلها عربية حتى اليوم.

و«**شالم**» أقدم اسم معروف لهذه المدينة الكريمة التي عرفت فيما بعد بأسم «**يبوس**» نسبة الى اليبوسيين الذين هم من القبائل الكنعانية العربية، وسميت باسم جد القبيلة الاعلى ولم يستطع اليهود دخول المدينة حربا، فقد ردوا على أعقابهم عنها، ولكن بني يهوذا كانوا يسكنون مع اليبوسيين، وكان ذلك في سنة ١٤٤٤ قبل الميلاد، وذكرت في اسفار اليهود المقدسة باسم أورشليم وغيرها.

وحرفت يبوس في الكتابة الهيروغليفية الى «يابيثي» و«يابثي» وكان للمدينة عند اليبوسيين اسم غير «يبوس» فقد سموها «اورشاليم» ومعناها: مدينة شالم، وشالم اسم آله اليبوسيين الاكبر.

وقد ورد اسم «اورشليم» أو «اورشاليم» في نقش مصري قديم يعود الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

وأما اسم «القدس» فقديم ايضا، وهو عربي، فمادة «قدس» عربية بكل اشتقاقاتها ومعانيها، وعرفت المدينة باسم القدس قديماً من عهد موسى عليه السلام كما جاء في سفر التثنية ٣٣/١-٢ على لسان موسى الذي قال: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ لهم من جبل فاران، وأتى من ربوات القدس» كما عرفت بهذا الاسم في عهد نحميا الذي قام مع عزرا بترميمها، وكان نحميا في سنة ٤٤٥ قبل الميلاد وقد جاء في سفر نحميا ١/١١ «اورشليم مدينة القدس».

وبعد الفتح الاسلامي أطلق على المدينة المقدسة اسم «**القدس**» «**وبيت المقدس**» بضم الدال وسكونها، وبيت المقدس على وزن المجلس، والبيت المقدس «على وزن المعظم» و«دار السلام» وقرية السلام «ومدينة السلام» تكريماً لها.

وكل الأسماء التي قصد منها التكريم والتقديس لم تعش الا في الكتب غير اسمين هما: القدس وبيت المقدس .. بقيا على الالسنة الخاصة والعامة في كل ديار الاسلام.

«**عن كتاب**» **ابن سعود وقضية فلسطين**» **تأليف الأستاذ احمد عبد الغفور عطار**».

فن النقش
في المملكة العربية السعودية

بقلم: محمد السليم

من المعروف ان الفنون الشعبية تعني محاكاة ايجابية لما تختزنه أحاسيس ومشاعر الإنسان، من قيم جمالية اكتسبها تلقائيا من طبيعة البيئة المحيطة به.. نفذت بمنتهى ما تعنيه كلمة «**التلقائية**» من انطلاقة.. وحرية.. في عفوية بريئة.. حاملة معها أسس ثقافة.. وتقاليد مجتمع في فترة معينة من الزمن.

من هذه الفنون «**فن النقش**» الذي ازدهر في المنطقة الوسطى من المملكة العربية السعودية، خلال أوائل القرن الرابع عشر الهجري - نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي.

وقد برز هذا الفن في مظهرين:-

المظهر الأول: النقش على الخشب

المظهر الثاني: النقش بالحفر على الجص

وحين نبحث عن مصادر ولادة هذا الفن في المملكة العربية السعودية لا نجد ما يسعفنا الا في بعض ما نشر عن الفنون الشعبية بشكل عام.. ومفهومها لدى كافة الشعوب.

لهذا فسيكون المعمول عليه في هذا البحث هو «**المشاهدة الخاصة**».. و«**المعيشة لتطور هذا الفن**».. مع الاستعانة بالصورة.. والاعتماد على بعض الكتب المؤلفة عن المملكة.

وحدات النقش

النقش دائما يحتوي على عناصر ووحدات هندسية سواء في حالة النقش على الخشب بالحفر أو الألوان.. أو النقش بالحفر على الجص. فهذه الوحدات الهندسية تعتمد في ايقاعها الموسيقى على «**الترديد والتكرار**» لإعطاء التركيب المناسب لوحدة النقش.

والغرض المطلوب بسذاجة الفنان الشعبي هو تجميل و تزيين المجالس والواجهات والأبواب والسقوف.

وليس غريبا ان تكون الوحدات المنقوشة آخذة الأشكال الهندسية، وذلك لأن الشعوب الإسلامية حسب تعاليمها العقائدية، لا تميل الى اتخاذ أشكال المخلوقات الحية وسيلة للتجميل او الابراز.

لهذا اتجهت الفنون الاسلامية الى التجريد والابتكار، وهذا أفضل من النقل وتكرار ما على الطبيعة، **وهذا ما دفع الفنان الى التحرر من الرؤية الناقلة الساذجة الى الرؤية الابتكارية المبدعة.**

ولتحديد هذه الوحدات فهي تتكون من مساحات وخطوط ونقط، تتوزع حسب المساحة والمكان، والشيء المميز لها انها لا تعطي اي تفسير ديني او خيالي او خرافي، **ويبقى التجميل والزينة كل ما يقصده ذلك الفنان الشعبي**.. والمساحات تتكون من اربعة اشكال هي: **دائرية - رباعية - مثلثة - مستطيلة**، وهذه المساحات اما ان تكون مليئة باللون او فارغة منه في حالة النقش على الخشب، وتكون بارزة او غائرة في حالة الحفر على الجص.

أما الخطوط المستعملة فهي الثلاثة المعروفة «**منحني ومنكسر ومستقيم**»، وتنفذ في النقش باللون او الحفر، والنقط تأتي مكملة لكثير من الوحدات الزخرفية في هذا الفن

مصادر الوحدات

نستطيع ان نحدد مصدرين أساسيين لتلك الوحدات والعناصر في نقوشنا الشعبية:

** **المصدر الأول**: وهو الأهم ذلك الشكل الذي ترسم به الحروف الهجائية العربية، لأنها تحتوي في مجموعها على كل عناصر وأنواع الخطوط والمساحات والنقط، ومع ان تلك الوحدات لا تعتمد على دراسات معينة في الشكل عند الفنان الشعبي، الا انه واضح جدا الاقتباس من الحرف العربي، والاختلاف في ان الحرف لا يأخذ الشكل الهندسي المعروف بقدر ما هو شكل تجريدي في حد ذاته، ولكن هذا التجريد له حدود قياسية لا يستطيع أحد أن - يتعداها الا في حدود ضيقة في الشكل، والا لتغير شكل الحرف في كل عصر تاريخي.

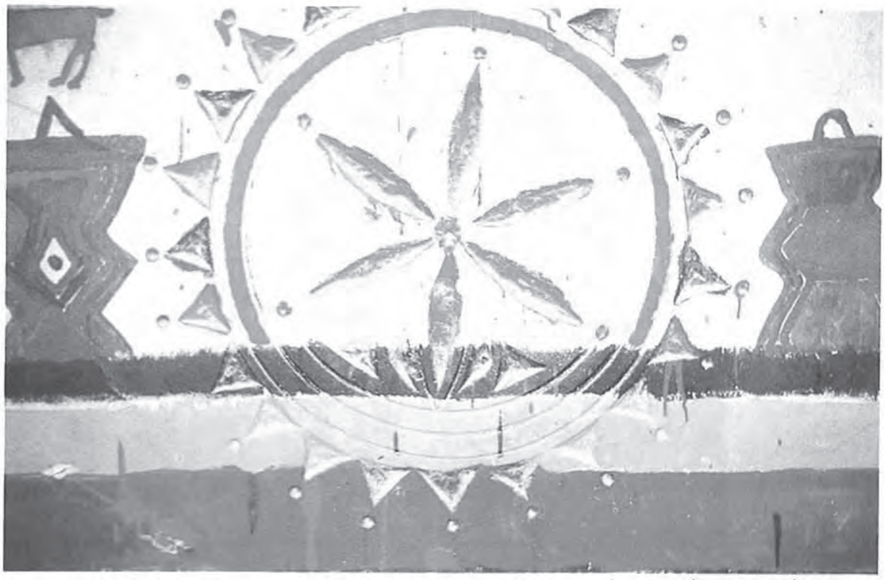
وتنوع الخطوط في الحرف العربي دليل على الابتكارات الهندسية للحرف في حدود مقوماته الأساسية في الشكل حتى



الوجار كاملاً. منقوش بالحفر على الجص

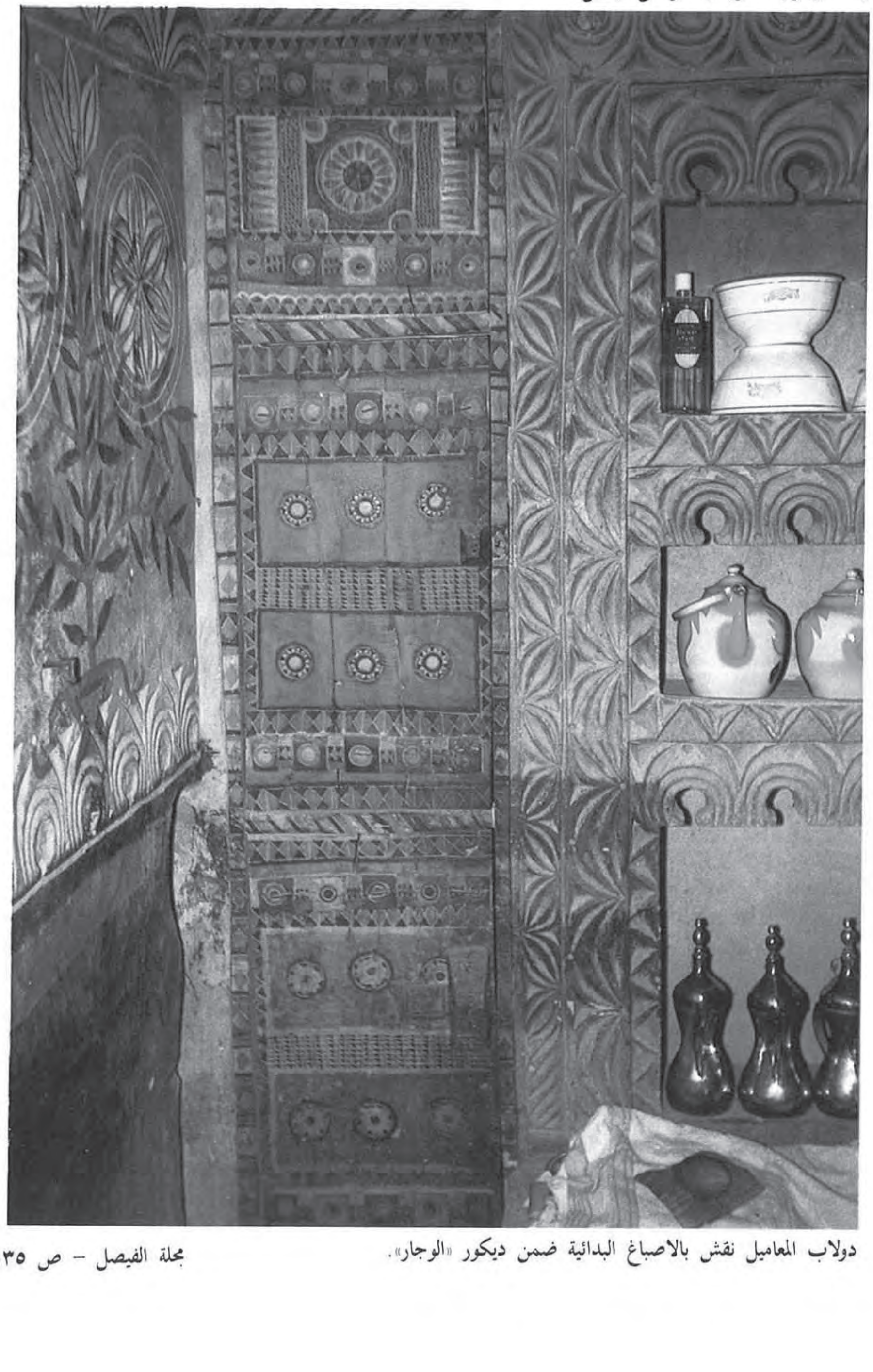


باب من خشب الأثل نقش بالحفر والأصباغ الأولية

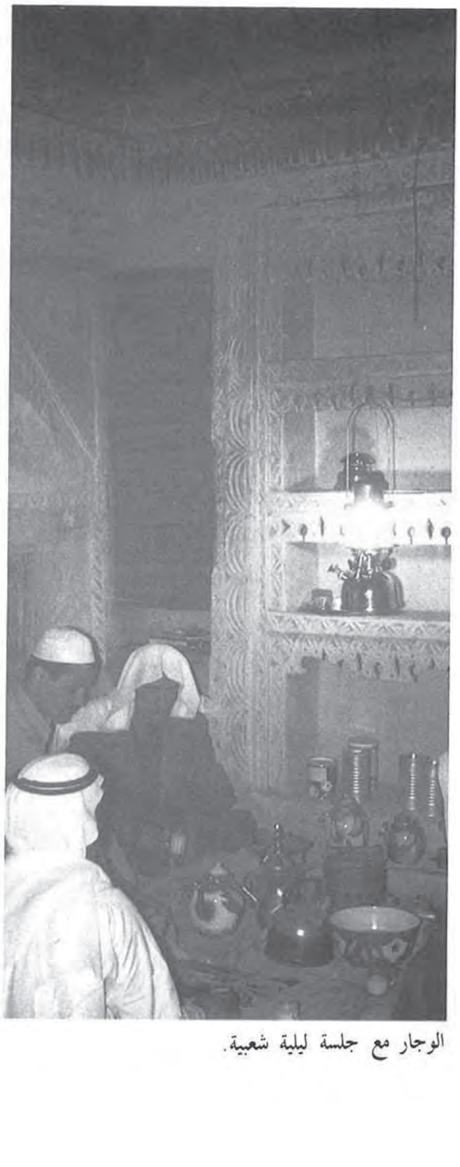


وحدة زخرفية دائرية بالحفر على الجص





دولاب المعاميل نقش بالاصباغ البدائية ضمن ديكور «الوجار».



الوجار مع جلسة ليلية شعبية.

تفقد امكانية قراءته قيمتها.

** **أما المصدر الثاني**: فهو الوراثة من ترسبات حضارات سابقة. كالرومانية والفارسية والعربية القديمة والرومانية الحديثة.

والاختلاف في عناصر وحدات نقوش تلك الحضارات، هو انها تنتمي الى تجريد عناصر نباتية او عناصر لمخلوقات حية، ولكنها لم تصل الى مستوى الشكل الهندسي الواضح، ما عدا ان هناك في الحضارة العربية القديمة بعض الأشكال الهندسية القريبة منها، وخصوصا في شكل النقوش في الفنون النبطية في الجزيرة العربية.

وبمعرفة شكل الحرف العربي نستطيع أن نعرف مصدر وحدات النقش في الزخرفة الشعبية في وسط المملكة.

والحروف العربية هي: (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، و، هـ، لا، ي. ونوردها هنا لاعطاء القاريء فرصة المقارنة بينها وبين تلك الوحدات الموضحة في الصور المنشورة مع هذا الموضوع.

القيم الجمالية للوحدات

اذا اردنا البحث عن القيم الجمالية لوحدات النقش، فسنجد مظاهر الجمال موجودة باعتبار ان الفنان الشعبي يبحث عنه، اضافة الى أن الفن ايضا يبحث عنه حتى ولو كان الموضوع خاليا منه. **ذلك ان اللمسة الشاعرية او النغمة الموسيقية بايقاع معين اثناء التعبير عن اي شيء هي جمال في حد ذاتها، وفن ناتج من استخلاص مشاعر واحاسيس الفنان تجاه الموضوع.**

فالوحدة الزخرفية في حد ذاتها قد لا تكون جميلة وقد تخلو منه.. لكن الجمال يظهر في اتحاد تلك الوحدات مع بعضها في ترديد نغمة موسيقية مع ايقاع في عدة عناصر لوحدات متشابهة، وهذا الترديد يظهر في تكرار تلك الوحدات في مساحة معينة بشكل معين لايجاد نوع من الانسجام والتآلف الذي به نستطيع ان – نستمتع بالنواحي الجمالية. **او على الاصح جعلتنا نرتاح عند مشاهدة تلك النقوش فأصبحنا نتجاوب بأحاسيسنا معها، شعورا بأن هناك جمالا وفنا في أعمال الفنان الشعبي، بل أخذنا نتنافس في انتاجها وتزيين بيوتنا ومجالسنا بها.**

وهناك عدد من النقاد يحاولون الفصل بين الفن والجمال، آخذين في الاعتبار أن العمل الفني ليس من المفروض أن يكون جميلا في شكله وليس من المفروض أن يرتبط الجمال بالفن، **وأنا أقول بأن الجمال لأي عمل فني مهما كان مستواه يأتي تلقائيا دون أن يقصده الفنان. بدليل أن العمل يعطي تفسيرا جماليا وان كانت هذه الجمالية ناتجة عن اي نوع من القبح**.. وبتوضيح أكثر، فان العمل الفني اذا قصد منه اظهار نواحي القبح، فان الناحية الجمالية تكمن في الطريقة أو الاسلوب الذي أريد به اخراج ذلك العمل وبالعكس، **وهنا تتدخل المهارة التقنية للربط بين الفن والجمال.**

والجمال لا يطلب ولا يقصد، فهو الذي يعطي نفسه من خلال العمل، وهذا تجاوب مع الطبيعة والاسلوب والمهارة التقنية. فاذا لم تكن مقتنعا من العمل في موضوعه او اسلوبه فهذا يعني انك لم تصل الى الشعور الذي يجعلك تتفاعل وتتجاوب حسيا وهذا هو الادراك الحسي، وما دمت وصلت الى ذلك فانك تعيش في جمال ناتج عن شعورك وادراكك الحسي لكامل العمل الفني.

والفن والجمال شيئان متكاملان لا يفصلهما عن بعض الا استعداد المدارك – والمشاعر الانسانية.

وبالرجوع الى التقييم الجمالي لاعمال الفنان الشعبي في نقوشنا نجد ان الوحدة في شكلها البسيط وتركيبها الابسط عمل فني توصل اليه الفنان الشعبي من تلقاء نفسه لا لشيء، الا لغرض التعبير بواسطة هذه الوحدة، لاضافة شيء جمالي يدخل على نفسه شعورا بالراحة بعد تعب.. وهدوء او استقرارا نفسيا بعد معاناة، متخذا اسلوب الترديد الموسيقي بتقنية متوارثة، **فأتت تلقائيته لتعطي مع فنه جمالا، سواء في تركيب هذه الوحدات بالشكل الهندسي المبسط او تنسيقها وتكوينها بايقاع شعبي خاص.**

أنواع النقوش

** **النقش على الخشب**: ينفذ النقش على الخشب بواسطة اللون بأصباغ محلية لا تتعدى الألوان الاساسية **(الأحمر والأزرق والأصفر)** ويندر استعمال اللون الاخضر، كما تندر طريقة الحفر. وتنفيذ هذه النقوش يأتي مطبقا على الأبواب والشبابيك والسقوف والرفوف – **ويقوم بتنفيذها النجار.**

أما وحداتها فهي وحدات هندسية مكونة من خطوط ومساحات ونقط متحدة مع بعضها في ترديد موسيقي باللون والخط والمساحة، **ويلاحظ كثرة استخدام اللونين الاحمر**

والاصفر وذلك يرجع الى سهولة تحضيرهما او توفرهما.

** **النقش على الجص**: بالنسبة للنقش على الجص فقد نفذت بواسطة الحفر في وحدات هندسية بحتة آخذة نفس الترديد والاسلوب والتكوين في النقش على الخشب **الا ان المنفذ في هذه الحالة هو المعماري. او البناء**. فنجدها منفذة على جدران الواجهات للمنازل في الداخل والخارج، وغالبا ما تكون في غرفة استقبال الضيوف «**المجلس**» وعلى شرفات المنازل والمساجد داخلها وخارجها.

تسجيل مباشر

تحت هذا العنوان سأحاول أن أستعرض كل ما شاهدته بعيني من أصحاب المهن أنفسهم وطريقة تنفيذهم لتلك النقوش.

كانت النقوش المنفذة على الخشب يقوم بها النجارون. ويقوم النجار بتحضير الأصباغ بنفسه.. وأحيانا يستعمل اصباغا في شكل مسحوق مستورد من الهند او - الباكستان او ايران. ثم يبدأ بتنفيذ النقوش واضعا الخطوط الاولى بأداة حادة تؤثر في الخشب بواسطة الحفر بالحك السريع، وهذه الوسيلة يتم بها معرفة توزيع الوحدات والخطوط حسب أماكنها حتى يتم بعد ذلك توزيع الالوان.

ويتم ذلك دون أدنى تكلف في الدراسة أو التصميم لهذه الوحدات، وحسب العادة يتم عمله في كل مرة دون تصميمات محددة من قبل رب العمل.. فالنجار هو صاحب الصلاحيات الفنية المطلقة دون تدخل الا ان رب العمل قد يوصي بان يكون عمله هذه المرة احسن مما عمله لفلان، وكأنه يشجعه على عمل الاحسن، كما ان النجار لا يشترط مبلغا معينا قيمة لعمله.. **والأمر متروك لتقدير رب العمل**. والعرف السائد.



ومن الناحية الفنية يتصرف النجار كما يشاء بثقة تجعله يعمل بدافع من حماسه وذوقه الفني في تطوير عمله نحو الاحسن.. **ويكسب ثقة الآخرين من خلال قدرته على التجديد.. وشهرته بالتطوير والابداع.**

ويأتي سروره تبعا لنجاحه في اتقان عمله. وهذا الاحساس وحده يدفع الفنان للابداع.. والتجديد.. والتطور.

والملاحظ ان النجار يقوم بعمله أمام الجميع.. وفي غياب السرية المطلوبة لمثل هذه المهن كما يفعلون اليوم، فتجده يعمل خارج المحل «**اي في الشارع أمام - المحل**» وقد وضع مجلسا لأصدقائه وزبائنه، يقدم لهم الشاي والقهوة، ويشاركهم الحديث وهو منهمك في أداء عمله بل ويفرح بهم.

ومن هذه الملاحظة يتضح ان هذا الفنان لم يكن منعزلا عن مجتمعه. وأما النقش على الجص في البناء المعماري فالفرق هو تغيير المادة والتقنية، **ففي الوقت الذي يقوم النجار بصنع النقوش على الخشب، يقوم البناء بحفر النقوش على الجص، وما عدا ذلك لا فروق تذكر.**

وكانت عملية النقش على الجص تتم اثناء تجمده «**قبل ان يجف**». ومعروف ان مادة الجبس تحمل طاقة حرارية تساعدها على سرعة التصلب دون تبخر الماء، وفي هذه الاثناء تتم عملية الحفر بواسطة سكاكين خاصة وأحيانا سكاكين عادية، ومن ذلك يتضح ان عملية الحفر على الجص تتطلب سرعة في التنفيذ قبل تزايد الصلابة، مما يدعو الى ضرورة اضافة عاملين مساعدين، أحدهما لتجهيز خلطة الجص، والثاني يجهز بالتلييص لمكان النقش، ووضع قوائم خشبية لضمان استقامة الخط - والسرعة المطلوبة في انجاز اي عمل تتطلب مهارة في التنفيذ.

ثقافة الفنان الشعبي

من المعروف ان الثقافة في حد ذاتها سواء كانت فطرية او مكتسبة لا تحدد لنا مقاييس المستوى الفني للفنان الشعبي، ذلك لانه ينفذ اعماله وفق موهبة فطرية اكتسبها او ورثها حسب معطيات تلك الموهبة من إدراك للقيم والمعاني الفنية، والموهبة هنا



تعني الاستعداد الفطري لادراك ناحيتين في العمل الفني على جانب كبير من الاهمية، بالنسبة للناحية الذهنية والناحية الابتكارية، دون ان يعطيها الاهمية الدراسية كالفنانين المحترفين مثل «**الرسام – والنحات – والمهندس**» واولئك النقاشون الذين عايشتهم لم تكن ثقافتهم تتعدى مبادىء العلوم الدينية كأي قروي مسلم. فكان أهم ما لاحظته كدافع لنمو العمل المنقوش وتطوره الفني هو أن هؤلاء النقاشين يتمتعون بمرونة تامة وبثقة الزبون التي تتيح لهم فرصة المنافسة البريئة لانتاج الأفضل، اذ ان هذه المنافسه تصل الى البلدان والقرى المجاورة فيحدث تبادل بين هذه البلدان باجتذاب الفنان وايكال العمل اليه في بلد غير بلده، فكان هذا الاحتكاك باعثا لهذا النوع من الفن لفترة، دامت اكثر من قرن من الزمان، وظهر هذا النشاط بعد الاستقرار واستتباب الأمن بتوحيد المملكة العربية السعودية، الى ان انتشر التعليم ووصل الانسان السعودي الى الانخراط في الخط الحضاري الحديث. فدخلت خامات أخرى ادت الى اشتراك الحديد مع الخشب والأسمنت والخرسانة مع الجص والطين، مما سما بثقافة الفنان الشعبي الى الحداثة والتجديد، **وهذا لا يعني ان الفنان الشعبي في حاجة الى اي نوع من الثقافة او الدراسة. ففنه فن شعبي لأنه على مستوى ثقافته العامة، وكلما كان تلقائيا كان العمل اكثر متعة وصدقا واقدر على حمل مميزات شعبية خاصة، وليس من صالح العمل ان يكون عملا متكلفا بعيدا عن البيئة وثقافة المجتمع.**

انتشار هذين النوعين من النقوش

ان النتائج الفنية في الحقيقة ما هي الا مشاعر وأحاسيس جمالية وصل اليها الانسان عندما اراد أن يعبر عن شيء لا يعرفه، فوجد الشكل الجميل الذي يشعره باللذة والخير والسعادة فكانت شكلا زخرفيا جميلا، **وحتى لا نضيع في متاهات**، فالفن ليست له أسباب تجعلنا نقارنه بأشياء علمية تبحث عن مسببات للوصول الى نتائج. وانتشار هذين النوعين من النقوش في المملكة العربية السعودية يرافقه أشياء كثيرة الى جانب كونه كثافة اكثر وغزارة اعظم لمشاعر واحاسيس الانسان السعودي، **برغبة أوسع الى التعبير الجمالي**.

ففي الفترة الممتدة من بدء استتباب الهدوء والاستقرار وتوحيد المملكة على يد **الملك عبد العزيز آل سعود** الى عام **١٩٥٥** حيث بدأ المجتمع يأخذ بأسباب المدنية الحديثة، **في تلك الفترة ازداد دخل الانسان السعودي وتوفرت لديه المادة – فارتفع عدد الفنانين والزبائن. فجاءت فترة التنافس الشريف، وكانت استجابة لتدفق المشاعر الحسية بالجمال والحب والفرحة بالأمن والاستقرار.**

أسباب التخلي عنها والمحافظة عليها

أصبحت الثروة الاقتصادية في المملكة في حالة ازدياد مستمر وخاصة في سنواتها الأخيرة. **مما جعل الانسان السعودي يعمد الى تبسيط الديكور**. وكان من جراء ذلك ان اتسعت دائرة الثقافة والعلوم لدى مجتمعنا، الشيء الذي اتاح له الاطلاع على كل جديد، فتوافرت الأدوات والخامات الحديثة سواء منها المستورد او المصنع داخل البلاد. **مما اسفر عن تبدل سريع في المفهوم والادراك للقيم الجمالية الحديثة جعلهم يقومون بتصنيعها وبنائها بأنفسهم. مع ان شيئا لم يتغير في فكرية الانسان السعودي العربي المسلم**. وبقيت هناك نظرة حنان الى تلك النقوش التي ظلت لفترة – طويلة من الزمن جزءا من حياتهم. فبعضهم آثر المحافظة عليها كأثر قيم قيمة التاريخ نفسه، فغدت قطعا جميلة تزين بها المنازل الحديثة، ولكن الظاهرة الجديدة وهي ظاهرة حضارية طبيعية، وأعني بها ظاهرة هدم القديم ليحل محله الحديث على ما في ذلك من خسارة فنية للتراث السعودي، جعلت الحكومة السعودية تقوم بتجميع تلك الاعمال وما شابهها من الفنون الاخرى، للحفاظ عليها كتراث قيم يحكي تاريخ أجيال مضت. نعتز بها جميعا في المملكة العربية السعودية، مما ادى في النهاية الى اتخاذ القرار بعمل متحف لها في مدينة الرياض «**العاصمة**».

الشامة

قصــــة قصــيرة

للكاتب الياباني المعاصر..

ياسـوناري كـوابـاتا

ترجمة: كمال ممدوح حمدي

تعود قصة «الشامة» الى تلك الفترة التي بلغ فيها **(كواباتا)** تمام نضجه وهي تكشف عن استاذيته في استكناه سيكلوجية المرأة، وهذه ابرز الخصائص التي تتميز بها كتاباته.

حاز «كواباتا» على جائزة نوبل للأدب عن روايته **(بلاد الصقيع)** عام ١٩٦٩ ثم انتحر بعد ذلك لاسباب لا تزال مجهولة.

* * *

ليلة البارحة، حلمت بتلك الشامة.

يكفي ان اكتب لك هذه الكلمة «**شامة**» لتعرف ما أعني، هذه الشامة .. ياكم عنفتني بسببها.

انها هناك فوق كتفي الأيمن، أو لعلي ينبغي ان أقول انها فوق أعلى ظهري – «**أترين ها هي الآن اكبر من حبة فول، استمري في العبث بها. وسوف يتضاعف حجمها يوما بعد يوم**».

لقد تعودت أن تغيظني بسببها، ومع ذلك فقد كانت – كما قلت – اكبر من مجرد شامة، كبيرة ومستديرة ومنتفخة على نحو لافت، ولكم اعتراني الخجل عندما لاحظتها أنت أول مرة.

بل لقد أسلمت نفسي لبكاء استبد بي، وتذكرت

دهشتك **«كفي عن هذا يا سابوكو، كلما لامستها يدك ازداد حجمها»**.

أمي بدورها كانت تنهرني وتعنفني، وأنا طفلة لم أزل، ربما لم تتجاوز الثالثة عشرة. بعدها لم اكف عن العبث، الى ان اصبحت عادة ظلت تلازمني حتى بعد ان نسيت كل شيء عنها.

عندما وقعت عليها عيناك أول مرة كنت طفلة اكثر مما أنا زوجة، لا أعرف. هل بوسعك الان – وانت رجل – ان تتصور كم اذابني خجلي من ذلك. كان احساسا أشد من



الخجل. قلت لنفسي: هذا فظيع، وبدا الزواج لي في تلك اللحظة بشعا ومريعا..

أحسست ان كل أسراري تذاع، وأنك قد عريتها سرا بعد سر، ولم أكن واعية بها من قبل .. وبان كأن لا ملاذ لي..

وذهبت انت مرتاحا الى فراشك، لا يؤرقك شيء، وكنت احس احيانا بالراحة، وبوحدة بسيطة واحيانا اراجع نفسي عندما أشرع في البدء، وترحل يدي ممتدة الى الشامة مرة اخرى.

«كلا، لن المسها بعد الان»، قلت سأكتب الى امي ولكني عندما فكرت في ذلك، بمجرد أن فكرت فيه، احسست بوجهي يتوهج احمرارا، وبعرقي يتصبب.

أي سخف أن يهتم المرء لشامة، قلت لي ذلك مرة فاستفاقت ملء روحي نشوة اسعدتني، وأومأت برأسي أوافقك. ولكني عندما أعود الان الى الوراء أعجب، اما كان بوسعك ان تألف قليلا تلك العادة المرذولة التي تعودتها؟

أنا لا اهتم كثيرا للشامة، فالناس لا يجهدون انفسهم في الحملقة اسفل رقاب النساء بحثا عن شامات. ومع ذلك، فان شامة مهما كان حجمها لا يمكن ان تعد تشويها

لماذا تعتقد انني قد اصبحت اسيرة العبث بتلك الشامة؟

ولماذا تزعجك هذه العادة الى هذا الحد؟

وكنت تقول: **كفي عن ذلك .. كفي .. كفي** لا أدري كم مائة مرة كنت توبخني

وسألتني مرة في نوبة من الغضب: **«هل تضطرين الى استخدام يسراك؟»**

وقلت وقد أفزعني سؤالك: **«يسراي؟»**

وكان صحيحا ما قلت، وان لم الحظه من قبل، كنت بالفعل استخدم يدي اليسرى دائما.

«انها على كتفك الايمن. وربما الاسهل ان تستخدمي يدك اليمنى»

أوه؟ ورفعت يدي اليمنى، وقلت: لكنها تبدو غريبة»

– ليس كثيرا.

«استخدام اليد اليسرى طبيعي اكثر»

«اليد اليمنى أقرب»



«انها تكون بعيدة الى الوراء بالنسبة ليدي اليمنى»

«الى الوراء؟»

«نعم، واما ان أمد ذراعي من امام رقبتي، او ان اصل اليها من الخلف هكذا»

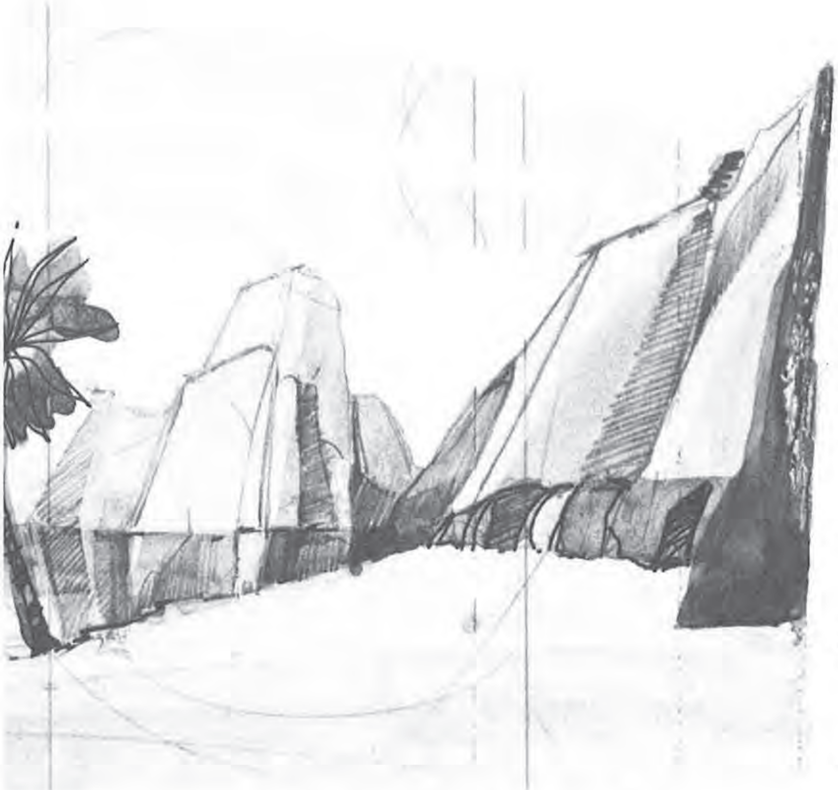
لم اوافقك بارتياح على كل ما كنت تقول، حتى عندما اجبتك، رغم ذلك، طرأ ببالي انني عندما أمد ذراعي اليسرى من امامي فإنها تبدو وكأني أبعدك عني، وكأني اطوق نفسي، وكنت اقول: لقد كنت قاسية معه وسألتك في هدوء: «**وأي خطأ في ان استخدم يدي اليسرى؟**»

–«اليسرى أو اليمنى، انها عادة مرذولة»

«أعرف»

«ألم اقل لك مرارا ان تذهبي الى الطبيب لازالتها؟»

«لكنني لا استطيع. انني اخجل من هذا أيضا»



«سيكون الامر بسيطا للغاية»

«وهل هناك من يذهب الى طبيب لازالة شامة؟»

«كثيرون»

«من اجل شامة في منتصف الوجه ربما، اشك في ان يذهب انسان ما لازالة شامة فوق الرقبة، سيضحك الطبيب؟ سيعرف انني اعوده لان زوجي يشكو منها»

«قولي له ان هذه رغبتك لانك تعودت العبث بها»

«حقا ..؟ عذر اقبح من ذنب، لا معنى له كما انه لا معنى لشامة في مكان لا يمكنك حتى ان تراها. وبوسعك ان تتحمل هذا بغير عناء».

«لن اهتم لتلك الشامة لو انك كففت عن العبث بها».

«انا لا اتعمد العبث بها».

«انت عنيدة مع ذلك، لا جدوى لما أقول .. لا تبذلي أية محاولة لتغيري من نفسك».

«بل انا احاول بالفعل، لقد جربت ان أتدثر برداء طويل الرقبة ليعوقني عن لمسها»

«لن يجد هذا دوما»

«ومع ذلك هل من الخطأ ان المسها؟»

«يخيل الي انني كنت كمن يحارب ويستميت»

«ليس من الخطأ على وجه التحديد، ومع ذلك فانا اطلب اليك ان تكفي لاني لا احب ذلك وكفى».

«ولماذا لا تحبه الى هذا الحد؟»

«لا حاجة بنا الى الخوض في الاسباب .. كما انه لا حاجة بك الى العبث بتلك الشامة، وهي عادة قبيحة، وأود لو أقلعت عنها.

«لم أقل قط انني لن اكف»

«وانت لا تكادين تلمسينها حتى يرتسم على وجهك ذلك التعبير الذي ينم عن شرود الفكر، هذا هو ما أمقته حقيقة»

وربما كنت على حق، شيء ما جعل ملاحظتك تشق طريقا مباشرة الى قلبي .. وودت لو أومأت برأسي أوافقك..

«عندما تراني افعل ذلك مرة اخرى اضرب على يدي، بل اصفعني على وجهي»

«ولكن الا يغيظك انك برغم مواصلة المحاولة لمدة عامين او ثلاثة عجزت عن التخلي من تلقاء نفسك عن عادة تافهة كهذه؟

ولم اجب، كنت افكر في كلماتك **«هذا هو ما أمقته حقيقة»**.

لابد ان هيئتي، حيث تلتف ذراعي اليسرى حول عنقي، كانت تبدو ناضحة بالقهر والكآبة. اتردد في استخدام كلمة ضخمة مثل كلمة «**عزلة**» ان موقف المرأة يكون رثا ووضيعا حين يتعلق الامر بحمايتها البسيطة. ولابد ان التعبير الذي ارتسم على وجهي كان كما وصفته انت تماما. «**غريب وشارد**».

أبدا، ذلك التعبير علامة على اني لم اهب نفسي حقيقة لك. ابدا كأن ثمة مسافة تفصل بيننا؟ أكانت مشاعري حقا تخرج الى صفحة وجهي، وانا المس الشامة واستسلم لهواجس شرودي مثلما اعتدت وانا بعد طفلة صغيرة؟

لابد ان عدم ارتياحك لي هو الذي جعلك تبالغ كثيرا في امر تلك العادة البسيطة ولو انك كنت ترتاح الي لأضحكتك عادتي ولم تفكر فيها قط.

ذلك هو ما افزعني. **ارتعدت عندما راودتني فكرة احتمال ان يكون هناك من الرجال من يرون تلك العادة مسلية.**

لقد كان حبك لي هو ما جعلك تلحظ هذا اولا — لست



اشك في ذلك، حتى في هذه اللحظة، لكن الضيق البسيط، عندما يتزايد ويستشري، فانه يضرب بجذوره الى قلب الزواج. الاختلافات الشخصية تفقد اهميتها عند الزوج الحقيقي، والزوجة الحقيقية بل اعتقد ان هناك ازواجا وزوجات يجدون انفسهم على طرفي نقيض في كل شيء .. لست اقول ان هؤلاء الذين يكيفون انفسهم كل الى هوى صاحبه، يحبون بعضهم بعضا وان هؤلاء الذين لا يتفقون على شيء واحد يناصبون بعضهم بعضا العداوة والبغضاء ومع ذلك فانا افكر، ولا حيلة لي في كبح فكري ان كان من الخير لو انك روضت نفسك على التغاضي، عما دأبت عليه من العبث بالشامة.

لقد وصل بك الأمر انك ضربتني وركلتني، وبكيت، وتساءلت لماذا لا تخفف من قسوتك، ولماذا يقدر علي ان اشقى هكذا لمجرد اني لمست شامتي، كان ذلك هو السطح فحسب. «**كيف يمكننا ان نعالجها**»؟ ارتعش صوتك وأنت تقولها، وكنت ادرك تماما مشاعرك، ولم استنكر قسوتك. لو اخبرت انسانا ما بما فعلت بي لبدوت في نظره زوجا غليظ القلب، غير ان ضربك لي – بعد ان وصلنا حدا كانت عنده أتفه الأمور تزيد من التوتر بيننا – «**اقول**» كان ضربك لي يبعث في نفسي حقيقة شعورا بالراحة.

«**لن المسها، لن المسها قط، قيد يدي**» ولقد ضممت يدي وقدمتها امام صدرك كما لو اني اقدم نفسي، كل نفسي، هبة لك.

بدوت مرتبكا، ويبدو ان غضبك قد اقتلع من قلبك كل عاطفة، ونزعت الحبل من دثاري وقيدت يدي به.

غمرتني السعادة عندما رأيت النظرة في عينيك ترقبني، احاول ان أسوي شعري بيدي الموثوقتين، واعتقدت هذه المرة ان العادة التي لازمتني طويلا قد برأت منها أخيرا

وحتى ذلك الوقت كان من الخطورة ان يثيرني انسان ما بشأن تلك الشامة.

الأن العادة عاودتني بعد ذلك، ماتت اخيرا آخر احساساتك لي؟ أتود ان تقول انك قد تنحيت، وان بوسعي ان افعل ما احب؟ عندما عبثت بالشامة تظاهرت بانك لم ترد ولم تقل شيئا.

ثم حدث شيء غريب، لقد فارقتني الآن تلك العادة التي طالما جلبت لي التعنيف والضرب، ولم تعد تستوجب العلاج – ألم تبرحني؟ – لم يجد معها أشد انواع العلاج، ثم اختفت من تلقاء نفسها.

«**أتعرف – لم أعد أعبث بالشامة بعد**» كنت اقولها وكأني

لم الحظ ذلك الا ساعتها، زمجرت وبدوت كأنك لا تهتم.

اذا كان الأمر لا يعنيك كثيرا، فلماذا زجرتني وعنفتني هكذا، أردت ان اسألك واعتقد انك بدورك كنت تريد ان تسألني، لماذا؟ ما دام بوسعي ان أبرأ من تلك العادة بهذه البساطة، لماذا فشلت في علاجها قبل ذلك؟ لكن نفسك لم تطاوعك حتى في ان تتحدث الي .. كان التعبير المرتسم على وجهك يقول عادة لا تقدم ولا تؤخر ليست لك بالدواء الناجع، ولا بالسم الناقع، مع ذلك تصرين عليها وتستغرقين معها طوال اليوم ان سرك ذلك .. احسست باكتئاب، وفكرت ان المس الشامة أمامك مرة اخرى لمجرد ان استثيرك، ولكن للغرابة ان يدي لم تطاوعني.

وفكرت ايضا ان المسها في غيبتك لكن ذلك بدا لي مخجلا وقميئا .. ومرة اخرى أبت يدي ان تتحرك.

نظرت الى الارض، ورحت أعض شفتي.

انتظرت ان تقول: **ماذا حدث لشامتك؟** ولكن كلمة «**شامة**» كانت قد اختفت تماما من احاديثنا.

وربما اختفت معها أشياء كثيرة اخرى.

لماذا لم أستطع ان افعل شيئا أيام دأبت على تعنيفي؟ أي امرأة ضعيفة انا

وعندما عدت الى بيتنا مرة اخرى كنت استحم مع أمي. وقالت: «**انت لا تبدين بهية الطلعة كما كنت يوما يا (سايوكو) .. من المحال ان تحاربي الزمن**».

نظرت اليها جافلة مذعورة وكانت كما كانت دائما ممتلئة الجسم، وجلدها مفعم بالحيوية.

«وتلك الشامة، كانت تبدو قبل ذلك اكثر جاذبية».

لقد قاسيت حقيقة من تلك الشامة، ولكني لم استطع ان اصارح امي بذلك .. قلت لها: «**يقولون انه ليس من الصعب على طبيب ان يزيل شامة**».

«**أوه؟ على طبيب .. ولكن ستتخلف عنها ندبة**» كم هي هادئة وبسيطة أمي (لقد تعودنا ان نضحك عليها – كنا نقول ان (سايوكو) ربما لا تزال تعبث بشامتها حتى الان بعد ان تزوجت).



«كنت اعبث بها فعلا»

«كنا نعتقد ذلك بدورنا»

«كانت عادة سيئة. متى بدأت اعتادها؟»

«وانا اعجب، متى كان للاطفال شامات! هل رأيتها فوق جسم طفل؟»

«ليس لاطفالي شامات»

«أوه؟ ولكنها تبدأ في الظهور كلما كبر المرء، وهي لا تختفي ابدا ولعلك لا ترين واحدة في حجم هذه مع ذلك، لابد انها جاءتك وانت بعد صغيرة جدا. ونظرت امي الى كتفي ثم ضحكت.



تذكرت كيف، وانا صغيرة لم ازل، كانت امي واخواتي ينظرن احيانا بدهشة الى الشامة، لابد انها ساحرة، او لم يكن هذا هو السبب في اني وقعت اسيرة العبث بها بنفسي؟

رقدت على السرير ألمس الشامة بإصبعي، محاولة ان اتذكر كيف كانت وأنا طفلة صغيرة ثم عندما اصبحت امرأة شابة..

وقت طويل. سنين طويلة مرت منذ آخر مرة عبثت بها..

استطيع مرة اخرى، في البيت الذي ولدت به، بعيدا عنك، استطيع ان اعبث بها كما أشاء، لن ينهرني احد..

لكن، لا خير في ذلك.

عندما لمس اصبعي الشامة، اندفعت دموع باردة الى عيني.

أردت ان أفكر في نفسي منذ زمن طويل، عندما كنت طفلة صغيرة، ولكني حين لمست الشامة كان كل ما فكرت فيه هو انت..

لقد اتهمتني بانني زوجة سيئة، ولعلي سأنفصل عنك بالطلاق، لكن لم يخطر ببالي قط انني هنا، في السرير، في بيت اسرتي، سأجدك محور افكاري.

قلبت وسادتي، وحلمت بالشامة.

لم اعرف عندما استيقظت اين كانت الحجرة، لكنك كنت هناك، ويبدو ان سيدة اخرى كانت معنا، وظللت اجادلك في امر ما.

وعادت الي عادتي السيئة مرة اخرى، وصلت يدي اليسرى اليها، وكان ذراعي حول صدري كدأبي دائما، ولكن الشامة، ألم تسقط بين اصابعي؟ لقد سقطت دون ألم كأنه أمر طبيعي ان تسقط .. وسقطت بين أصابعي تماما كما يسقط غلاف حبة فول مسلوقة.

وكنت كطفلة شقية اسألك ان تضع الشامة بجوار تلك الشامة القابعة بجوار انفك.

دفعت بشامتي اليك، وبكيت وصرخت وتشبثت بأكمامك، وتعلقت بصدرك.

عندما استيقظت وجدت الوسادة لا تزال مبتلة، وكنت لا ازال ابكي، وأحسست بالاعباء يتملكني، وتخور له قواي، وان وزني قد تناقص، وكأني قد القيت عن كاهلي عبئا طالما رزحت به.

رقدت ابتسم لحظة، واعجب. هل اختفت الشامة حقيقة، وأضنيت نفسي كي ألمسها.

هذا كل ما هناك عن قصة شامتي، لا زلت اشعر بها مثل حبة الفول بين اصابعي.

لم افكر قط في تلك الشامة الصغيرة بجوار انفك، ولم اتحدث عنها قط، ومع ذلك أعتقد انها كانت مطبوعة فوق عقلي.

أي حكاية طريفة لو ان شامتك انتفخت بالفعل، لانك وضعت شامتي عليها..

وكم تكون سعادتي غامرة لو بدا لي انك بدورك قد حلمت بشامتي.

لقد نسيت شيئا ..

«**ان هذا هو ما أمقت**» قلتها انت، وانا بدوري فهمتك جيدا، بل لقد اعتبرت ملاحظتك علامة على عواطفك لي. وخفت ان تكون اسوأ الاشياء في قد طفحت علي عندما لمست شامتي.

ومع ذلك فانني اعجب ما اذا كنت حقيقة تحدثت عنها الآن، سوف لا تمنحني الخلاص، ربما كانت الطريقة التي حفزتني بها امي واخواتي هي السبب في اني وقعت أول مرة في اسار عادة لمس شامتي باصابعي.

قلت لأمي: «اعتقد انك دأبت على تعنيفي كلما عبثت بشامتي منذ زمن طويل».

-«نعم، لم يكن هذا منذ زمن طويل مع ذلك».

-«ولماذا كنت تنهرينني؟»

-«لماذا؟ انها عادة مرذولة» هذا كل ما في الامر.

-«ولكن ماذا كان احساسك عندما رأيتني أعبث بشامتي؟»

-«حسنا» رفعت امي رأسها مائلة الى احد الجانبين «**لم يكن هذا يليق**».

-«هذا صحيح، ولكن كيف كان يبدو ذلك؟ اكنت آسفة من اجلي، اكنت ترينني قبيحة وبغيضة؟»

-«لم افكر في الأمر كثيرا. فقط خلت ان بوسعك ان تتخلي عنها، وعن ذلك التعبير الذي يرتسم على وجهك».

-«ووجدتني مزعجة»

-«بالفعل ضايقني منك ذلك قليلاً»

-«وقد دأبت، أنت والأخريات، أن تحملقين في الشامة لإغاظتي؟»

-اعتقد اننا فعلنا ذلك.

واذا صح هذا، ألم اكن اذن المس الشامة باصبعي وانا شاردة الذهن، لكي اتذكر حبا كانت تكنه لي امي واخواتي عندما كنت صغيرة؟

ألم اكن افعل ذلك لأتذكر اناسا احبوني؟

هذا ما يجب ان اقول لك.

ألست مخطئا من البداية حتى النهاية في موقفك من شامتي؟

أكان باستطاعتي ان أفكر في اي انسان وانا معك.

واشد ما يدهشني ان هذه الحركة التي بغضتها انت الى ذلك الحد، **الم تكن اعترافا بالحب الذي لا استطيع ان اصوغ وصفه في كلمات، ألم تكن؟؟**

ان عبثي بشامتي أمر تافه، ولم اقصد ان اقدم اعتذارات عنه. **ولكن، الا يمكن ان تكون كل الاشياء التي جعلت مني زوجة سيئة قد بدأت نفس البداية؟** الا يجوز انها كانت في البداية تعبيرات عن حبي لك، وتحولت نقائص لا تليق بزوجة، **لا لشيء الا لانك رفضت ان ترى ماذا كانت؟**

حتى وانا اكتب لك، وأعجب لأمر نفسي، تراني ابدو زوجة سيئة لأنها تحاول ان تظهر بمظهر من أسيء اليه؟

لا تزال هناك تلك الاشياء التي ينبغي ان اقولها لك.

"ثمة شيء في
هارولد بنتر يوحي
بأنه الرجل الذي
يجدر به أن
يحتل مكانه من كتاب
مسرح "رويال كورت""
هارولد هوبسون

هارولد بنتر

الكاتب المسرحي المعاصر



بقلم: الشريف خاطر

يعد الكاتب المسرحي الانجليزي «هارولد بنتر» من أهم كتاب الدراما في بريطانيا، واكثرهم صولة، هؤلاء الكتاب الذين بشر بوجودهم مسرحية «جون اوزبورن» انظر ورائك في غضب، التي عرضت على مسرح «رويال كورت» عام ١٩٥٦، وكانت ايذانا بميلاد اتجاه جديد في المسرح البريطاني الحديث، كان له اثره في جميع مسارح البلدان الاخرى.

ورغم ظهور بنتر في جيل هؤلاء الكتاب، وما بعده من امثال جون اوزبورن، وآرنولد ويسكر، وجون آردن، وشيلاديلاني، وروبرت بولت وغيرهم، الا انه يقف بعيدا عنهم وعن اتجاهاتهم، باسلوب مختلف تماما، مما جعل الناقد البريطاني، **هارولد هويسون** يقول: «ثمة شيء في هارولد بنتر يوحي بانه الرجل الذي يجدر به ان يحتل مكانة من كتاب مسرح «رويال كورت» وهم **جون اورسبون، وجون آردن، وارنولد ويسكر**، الذين انشأوا هذا المسرح بكتاباتهم المترادفة، التي تعالج الانظمة الاجتماعية. واذا كان هؤلاء الكتاب يهتمون بالمشاكل الاجتماعية ونقد المجتمع، فان بنتر كاتب ميتافيزيقي، يتميز بكتاباته المليئة بالرعب والفزع، اكثر من



منافسيه.

من هو بنتر؟

ولد هارولد بنتر عام ١٩٣٠، وكان ابوه يعمل حائكا للملابس في حي «الوست إند». ونال قسطا من التعليم في احدى مدارس لندن القديمة، ثم اشتغل بوابا لنادي استوريا للبلياردو ثم سائقا في ناد، ثم اخيرا ممثلا احتياطيا، في مسرح «رويال كورت» يقوم بدور اي ممثل يتغيب عن العرض، وهكذا حتى اصبح ممثلا محترفا تحت اسم «دافيد بارون» وقام بعدة ادوار آخرها دوري «جولدبيرج» في مسرحية حفلة عيد الميلاد، و «ميك» في مسرحية الحارس. انقطع بعدها للكتابة حيث اصبح يكتب في آن واحد، للاذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح. وقد حقق انتاج بنتر نجاحا جماهيريا عريضا، خاصة عندما عرضت مسرحيته الطويلة الاولى «حفل عيد الميلاد» إلى الحد الذي جعل البعض يتساءل عن امكانية تحديد مكانته بين هؤلاء الكتاب الجدد آنذاك.

وقد كانت مسرحية «الحجرة» التي ظهرت عام **١٩٥٧** هي اولى مسرحياته وهي مسرحية ذات فصل واحد. ويصف بنتر كيفية كتابته لهذه المسرحية، فيقول: «دخلت حجرة في احد الايام وكان بها اثنان من الناس يتحدثان، وعلق هذا المشهد بذهني فترة من الوقت، حتى امكن التعبير عنه بطريقة درامية، فشرعت فورا في الكتابة وجعلتهما يتكلمان بطريقة تلقائية»، والف بنتر بعد ذلك عدة مسرحيات تتشابه جميعها في ان احداثها تجري داخل حجرة ضيقة محدودة والحجرة هنا في نظر بنتر بمثابة ملجأ مؤقت تحتمي فيه شخصيات مسرحياته من المصير الذي يتهددها في الخارج بل ان بنتر يعتبرها البطل الاول في مسرحياته.

والرمز هنا بالحجرة يعد بمثابة الحماية المؤقته من الخطر الذي يتهددنا من المصير الذي سوف نلتقي به، من الرعب والفزع اذا ما خرجنا من الحجرة. ذلك ان فلسفة بنتر تنحصر اساسا في اننا في هذا العالم انما نسير على حافة هاوية سحيقة لا قرار لها وانا ستأتي لحظة ما، وينهار الجرف الذي نسير عليه، ونسقط في الهاوية. كما اننا في هذا العالم محاصرون برعب وفزع وتوتر لا نستطيع ان ندرك كنهه ولا نستطيع ان نأخذ الحذر منه او نتحاشاه.

... ان عالمه عالم، يتهدده خطر دائم سيؤدي به الى المصير المحتوم، وليس من الخير ان نغلق الباب في وجه هذا المصير، لان في استطاعته ان يقتحم هذه الابواب. وبالتالي فلا داعي مطلقا لان نزعج انفسنا بالمناداة بالاصلاحات الاجتماعية والتعليمية وغيرها من مشكلات الحياة اليومية.

(وهو يقصد زملاءه من الكتاب الذين يعالجون هذه الموضوعات)، ذلك لان الرعب من هذا المصير في طريقه الينا بل ويجتاح العالم الآن فلا بأس اذن من بعض النكات قبل ان يصل الينا.

... ونتيجة لذلك نجد ان هارولد بنتر اذا امعنا النظر فيه، يواجهنا بتناقض كبير بين تلك الواقعة التي تتبدى على المسرح على حساب التضحية بالواقع، وبين ذلك الشكل الذكي

الذي تقدم به على المسرح وتؤكد الافكار التي نعتقد انها غريبة علينا، في حين اننا نأتي في واقع حياتنا فعلا بما هو اغرب.

... فلو كان هذا الامر يحدث في الحياة، فلماذا اذن لا يحدث على المسرح ؟

... فالشخصية التي لا تستطيع ان تقدم لنا مناقشة مقبولة على المسرح او مدلولا بالنسبة لماضيها وخبرتها. فان سلوكها بالتالي وما تطمح اليه لا يعطينا تحليلا مباشرا عن دوافعها ومدى ما في هذه الدوافع من منطقية. وهكذا فهي لا تستحق ان يعيرها الانسان ادنى انتباه. وبعبارة اخرى يمكن القول: «ان بنتر كاتب مسرحي طبيعي لا يتهاون او يلين، بدلا من ان تعتبره موردا لنوع غريب من الدراما كما يتبادر الينا من الوهلة الاولى».

الحوار .. عند بنتر

... اما بالنسبة لحوار شخصياته والتعبيرات التي يستخدمونها، فاننا نجد ان بنتر على حد قول الناقد هارولد هويسون، يمتاز بموهبة غير عادية في نقل حوار الانماط المختلفة من الناس. حتى انهم يعتقدون بمطابقة حواره مع الطريقة التي يتكلم بها الناس. سواء كانوا من اهل الشارع او الطبقات المتعلمة او المثقفة. وبرغم ما يبدو في حواره من تطابق الا انه حوار مركب يثير الخيال يسيطر عليه ايقاع موسيقي، كما انه يدقق ايضا في تفاصيله حتى في مسرحيات الفصل الواحد. واذا جاز لنا ان نعتبر بنتر صاحب اتجاه طبيعي لكان ذلك ادعى الى الصدق وذلك لطبيعة الشكل في مسرحياته مع سيطرته الكاملة على البناء الفني. ومنطقه في ذلك ان الحياة الطبيعية لا تنظم بشكل مرتب او منمق. وهذا هو السر في شكل مسرحياته غير المتوقع بالنسبة لنا. وقد كنا نرجو ان تكون مرتبة منمقة.

الصنعة المسرحية

... اما سيطرته على الصنعة المسرحية، فلا تتمثل في مسرحيات الفصل الواحد فقط وانما تتعداها الى المسرحية ذات الثلاثة فصول. حيث نجده قادرا على بناء مسرحية طويلة بكل عناية ودقة، حتى يصل الى الذروة ثم النهاية دون ان تفلت منه سيطرته وهيمنته على هذه الصنعة.

وفي هذا المجال يقول بنتر: «انا اهتم جدا بالشكل، وبالحالة المزاجية لشخصياتي، ولا استطيع ان اشرع في كتابة اي شيء دون ان يكون واضحا تماما بالنسبة لي، او غير محدد، او مبهم النتائج. كما احب ان اكون معايشا لما اكتبه ومنفعلا به».

... ولا يعني هذا طبقا انه يكتب مسرحية محبوكة الصنعة بذلك الشكل الجامد المتعارف عليه من عرض وصراع وتأزم وانفراج وخاتمة، انما الامر يختلف بالنسبة اليه اختلافا كبيرا، اذ ان مسرحياته يكتمل نسيجها على خيوط سهلة واضحة، تعتمد في بنائها على نوع من القوالب الموسيقية وهو قالب الرايسودي (اي القالب الحر او المشوش) وليس قالب



السيمفوني المنتظم. وتتناوب المسرحية في هذا الشكل موجات من التوتر الداخلي، تلك الموجات التي تتكرر وتتعارض مع بعضها، مثل التعارض بين نزعتي الكوميديا والرعب او الفزع – او التقابل بين النور والظلام او الجهل والمعرفة – او بين ايقاعين متناقضين.

ومثل هذا التباين يبدو بشكل واضح في حواره، حيث نجد لديه مثلا شخصية ذات استعداد اسرع للفهم من الاخرى، وعلى هذا نجدها تستوعب عدة اشياء، بينما الشخصية الاخرى ما تزال تتعثر وارائها في الفهم .. ونتيجة لهذه التوترات ينشأ نوع من العنف وعادة نجد الرعب والفزع يغلب على عنصر الكوميديا في بعض الاحيان – وتؤدي هذه

القوى المضادة او قوى التمزق الى ايجاد شكل جديد يحل محل القديم واليكم مثلا من مسرحية الحارس يتمثل في هذا المشهد بين «ميك» و «ديفز»:

ميك: هل نمت هنا ليلة امس ؟
ديفز: نعم.
ميك: نمت جيدا ؟
ديفز: اجل.
ميك: هل حدث ان استيقظت اثناء الليل ؟

هارولد بنتر

ديفز: كلا!

(فترة صمت)

ميك: ما اسمك؟
ديفز: (يتحرك وعلى وشك النهوض) اسمع!
ميك: ماذا ؟
ديفز: جنكتر!
ميك: جن ... كتر.

(يتحرك ديفز فجأة لينهض. لكن ضربة قوية من ميك تعيده الى مكانه ثم يقول له ميك بصوت مرتفع) هل نمت هنا ليلة امس ؟

ديفز: نعم....
ميك: (يواصل كلامه بسرعة كبيرة) كيف نمت ؟
ديفز: لقد نمت...
ميك: نمت جيدا ؟
ديفز: اسمع...
ميك: اي سرير...
ديفز: هذا...
ميك: وليس الآخر ؟
ديفز: كلا!
ميك: ياسلام!

(فترة صمت)

(يهدود) ياسلام

(فترة صمت)

(يعود الى التكلم بلطف) كيف كان نومك في هذا السرير ؟

ديفز: (وهو يدق الارض) على ما يرام!
ميك: ألم تشعر بالتعب ؟
ديفز: (مزمجرا) على ما يرام.

التآلف الموسيقي

على ان هذا البناء المسرحي الذي قلنا إنه يعتمد على قالب موسيقي، هو الذي يرتفع باعمال بنتر فوق مستوى الشكل الطبيعي، ذلك انه يقوم بعملية توزيع اوركسترالية او ما يسمى بالتآلف الموسيقي. فبدراسة بنتر وتفهم حواره الذي يبدو وكأنه غير مستند الى واقع، بل وبالتقرب اليه رويدا رويدا، نجد ان هذا الحوار ليس الا اعادة للغة الكلام العادية في شكل جديد. وهو بالفعل كذلك. كل ما في الامر انه اعاد صياغته بتآلف موسيقي. وبشكل غير مألوف في استعمال الكلام من قبل. وعلى ذلك تكون النتيجة بناء محكما متماسكا كالنسيج الجيد.

كل هذا من مجرد كلمات يمكن ان تقال في اي مجال. ويرجع ذلك الى الصانع الماهر الذي ابدع تركيبا يتداخل فيه بطريقة لولبية فن التآلف الموسيقي المحكم المعقد البناء والذي يظهر منذ بداية العمل متلازما مع ايقاعاتها الاخرى. وهذا ما يعطي مسرحيات هارولد بنتر منذ اللحظة الاولى مظاهر الغرابة والتفرد والغموض والثقل النوعي. وقبل ان ندرك التفاعل في العمل المسرحي، لا يمكننا أن نفصل مدى ما فيها من سحر مذهل يكون واضحا للغاية خاصة في تلك التجديدات التي صيغت بجد واجتهاد.

يقول الناقد جون راسل بتلور اذا كانت مسرحيات هارولد بنتر تتفرد بهذا الشكل الموسيقي في وسط كتابات جيل من الكتاب الدراميين، فانها على اية حال تتسم بشاعرية اكبر، لان الايقاع الموسيقي، ما هو في حقيقته الا ايقاع شعري وعلى خلاف ما كانت عليه مسرحيات **كريستوفر فراي** الشعرية، **ت.س.اليوت**.

نجد ان اعمال بنتر هي الدراما الشعرية الحقة التي تتناسب عصرنا هذا، ذلك لانه الوحيد الذي يتقن بضرورة الدراما الشاعرية للمسرح. هذه الشاعرية التي لا تكون مجرد تراكم عواطف عادية في قوالب شعرية محبوكة الصنعة، كما فعل كريستوفر فراي، او كما فعل ت.س.اليوت.

فاليوت كتب الشعر بالطريقة المتعارف عليها، وقدمه للمسرح. ولا تتعرف فيه اذن المستمع الا على نثر ما لم يكن يعرف ان هذا شعرا.

.. واخيرا فان تساؤلاتنا عن الطبيعة والواقعية والرومانسية في مسرح هارولد بنتر تصبح لا معنى ولا محل لها. ذلك انه نظرالى الحياة نظرة لصيقة، ورآها من خلال عينيه وفكره. وابرز لنا تلك الشاعرية التي تختص بها كثيرا من الاشياء العادية من خلال اعمال المسرحية. وساواء تقبلنا مسرح هارولد بنتر او لم نتقبله. فانه على اية حال مسرح قائم بذاته ولا مفر من وجوده.

اذ انه يعبر عن مأساة الوجود الانساني والضياع الذي يتهدده. كما انه هو الوحيد بين كتاب الدراما في بريطانيا اليوم الذي يدرك هذه الحقيقة. ونستطيع ان نقول، انه حتى لوكان هناك كتاب اقرب واحب الى قلوب بعض الناس، فان هارولد بنتر على المدى الطويل سيعد اكثر هؤلاء الكتاب الى قلوب القراء بلا جدال.

اهم اعمال بنتر

١- الحجرة.
٢- الساقي الابكم.
٣- صداع خفيف.
٤- حفل عيد الميلاد.
٥- الحارس.
٦- العودة الى الديار.
٧- الايام الخوالي.
٨- الارض الحرام.



دائرة المعارف

ا

أم القرى (صحيفة):

صدرت في مكة المكرمة في ١٥ جمادى الاولى عام ١٣٤٣هـ. وهي أول صحيفة سعودية كانت في بداية الامر اسبوعية، ثم أصبحت يومية. وتعتبر الصحيفة الرسمية للدولة تعبر عن سياستها الداخلية والخارجية، على جميع اللوائح والمراسيم التي تنظم شؤون الدولة وترعى مصالحها العامة.

كما تعتبر مصدرا أساسيا لدراسة الأدب والفكر في تلك الحقبة التاريخية القديمة. وهي وان كانت مستمرة في الصدور حتى الآن، الا ان طابعها اختلف عما كانت عليه في الماضي. فقد اكتفت بنشر المراسيم والانظمة الحكومية واقتصر توزيعها على الدوائر الرسمية.

من أوائل رؤساء التحرير فيها، يوسف ياسين، رشدي ملحس، محمد سعيد عبد المقصود، فؤاد شاكر، عبد القدوس الانصاري.

ب

بئر أريس:

بئر أريس او بئر الخاتم أحد عيون المدينة المنورة الاثرية بالمملكة العربية السعودية وتقع هذه البئر بجوار مسجد قباء.

وتعود قصة تسمية هذا البئر ببئر الخاتم إلى أنه بعد مضي نحو ست سنوات من خلافة عثمان بن عفان جلس على حافة هذه البئر، وجعل يقلب خاتم النبي ﷺ الذي كان يلبسه بصفته ثالث الخلفاء، فسقط الخاتم في البئر، وظل عثمان يبحث عنه ثلاثة أيام وتم نزحها فلم يعثر على الخاتم. ومن يومها اطلق على هذا البئر بئر الخاتم.

ت

تبريز:

مدينة شمال غرب ايران، عاصمة ولاية اذربيجان، وهي المركز الاداري والاقتصادي للولاية. صيفها لطيف لقربها من جبل سهند ولكثرة الحدائق حولها.

اشتهرت بكثرة الزلازل بمعدل هزة ارضية كل يوم تقريبا.

وتبريز من المدن القديمة، فتحها «نعيم بن مقرن المزني» في خلافة عمر بن الخطاب. فيها من الاثار الاسلامية «المسجد الأزرق» ويقال ان هناك آثارا كثيرة قد اختفت بسبب الزلازل. اشتهر أهلها بالصناعات والحرف اليدوية.

ث

ثدييات:

يطلق هذا الاصطلاح على مجموعة من الفقاريات، من بينها الانسان والثدييات تلد صغارها بعد استكمال نموها في جسم الأم، ما عدا بعض الاستثناءات النادرة، مثل (خلد الماء)، حيث تضع الانثى البيض و(الحيوانات الجرابية) التي تحمل صغارها في جراب معلق في الأم كحيوان الكنغر. ويعد الحوت من الثدييات، وان كان يشبه السمك في اشياء كثيرة.

ج

جوهر الصقلي:

باني القاهرة، ومؤسس الجامع الأزهر. كان من اعظم القواد في العهد الفاطمي، أرسله المعز لدين الله الى مصر بعد موت كافور الاخشيدي، ففتحها عام ٣٥٨هـ وشرع ببناء القاهرة في نفس السنة، لتكون عاصمة للدولة، وسماها «المنصورية»، فلما قدم المعز سماها «القاهرة». فرغ من بناء

صفحة مفقودة

عثمان بن عفان عام ٣١هـ قاد أسطول الروم قسطنطين بن هرقل. وتولى اسطول المسلمين عبدالله بن سعد بن ابي سرح والي مصر.

التقى الفريقان قريبا من شواطئ الاسكندرية. ودارت بينهما معركة طاحنة، بلغ من عنفها ان تداخلت سفن الاسطولين. كان النصر في النهاية للمسلمين، وكان نصرا حاسما، اصبح المسلمون بعده اسياد البحر الابيض المتوسط والبحر الأحمر.

ر

رجز:

بحر من بحور الشعر العربي، سمي رجزا لاضطرابه، والعرب تسمي الناقة التي ترتعش فخذاها رجزاء، وعند **ابن دريد** انه سمي رجزا لتقارب اجزائه وقلة حروفه، وقيل لأن اكثر ما تستعمل منه العرب المشطور الذي على ثلاثة اجزاء – فشبه بالراجز من الإبل، وهو الذي اذا شدت إحدى يديه بقي على ثلاثة قوائم وهو مبني في الدائرة على ستة اجزاء:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن، مستفعلن مستفعلن مستفعلن

ز

زائدة دودية:

في التشريح جعبة على شكل الدودة متصلة في ناحيتها المفتوحة بالجانب الأسفل في أول جزء من اجزاء الامعاء الغلاظ، ويبلغ طولها عادة ما بين سبعة سنتميترات وعشرة، وليست لها وظيفة معروفة، واذا لم تستأصل الزائدة الدودية الملتهبة (المعداة) فإنها قد تنشق فتنشر العدوى في البطن كله.

س

سقراط:

(٤٦٩ – ٣٩٩ قبل الميلاد) فيلسوف يوناني من اثينا، لم يترك كتابات خاصة به، وربما لم يكتب شيئا على الاطلاق، كل معلوماتنا عنه جاءتنا عن طريق ارستوفان واكسانوفان وأفلاطون ممن عاشوا هذا الجزء أو ذاك من سنوات عمره، وكذلك عن طريق أرسطو.

ويعزى الى سقراط انه كان اول من أثار مشكلة «التعريف»، وأنه بحث عن الماهية أو عن ما هو الشيء؟ وأنه سعى الى الاستدلال القياسي، وهذا معناه انه يحصل على البراهين اليقينية.

وسقراط هو المتحدث الرئيسي في محاورات أفلاطون، حيث تدور محادثته حول طبيعة الفضيلة، وتميل إلى الرأي القائل بأن الفضيلة علم والرذيلة جهل.

ش

شلل الأطفال:

مرض معد، يؤدي الى العجز والشلل، وقد ينتهي بالموت يصيب الاطفال كما يصيب الكبار ايضا.

من أعراضه: ظهور نزلة بردية خفيفة، مع ارتفاع في الحرارة وصداع وآلام في الحلق وقيء، تستمر لفترة قصيرة، ولكنها حادة، ثم يبدأ الجسم في علاج نفسه بواسطة المواد «المضادة للفيروس» الموجودة في الدم، تنتهي بالشفاء التام. وفي حالات نادرة تنتهي بالوفاة أو بحدوث شلل في بعض عضلات الجسم.

ولقد ساعد وجود حقن مضادة لهذا المرض، في حماية الآلاف من الشلل والموت.

ص

الصالون:

ندوة أدبية تقام في بيت أحد الأدباء والفنانين، يجتمع فيها عدد من الكتاب والشعراء والساسة البارزين. يكون اجتماعهم

بصفة دورية وفي ساعة معلومة – تثار في الندوة آراء، ويطرح فيها مشاكل، حول الادب والفن. تكون مجال أخذ ورد.

اشتهرت الصالونات في اوروبا. وخاصة في فرنسا.

ومن الصالونات العربية، صالون (مي زيادة) في مطلع هذا القرن، و(ندوة العقاد) المشهورة.

وقد عرفت المملكة العربية السعودية مثل هذه الندوات .. واشتهر منها (ندوة الامير خالد الفيصل) و(ندوة الرفاعي) بالرياض.

أما في مكة المكرمة فكانت مثل هذه الندوات تعقد بما يسمى (المركاز) يوميا .. وقد اختفت أخيرا ظاهرة المركاز الأدبي.

ض

ضباب:

كتلة من قطيرات ماء، تكون كثيفة نسبيا، وتقع في المنطقة المنخفضة من الجو قريبا من سطح الأرض، وهي تنشأ عندما يمر الهواء الدفء الرطب، بمنطقة باردة، فيبرد حتى يبلغ نقطة الندى، واذا كانت درجة حرارة الهواء أقل من نقطة التجمد، فإن الضباب قد يصير ابرا صغيرة من الجليد.

ط

طحالب:

نوع بسيط من النبات، يعيش في المياه العذبة والمالحة، وأكثر أنواعه شيوعا هو عشب البحر. والأعشاب البحرية جميعها طحالب.

والطحالب لا تحتوي على النمط المعروف للنبات، اي التشكيل من جذور وسيقان وأوراق، وإنما تتركب من خلية أو مجموعة من الخلايا البسيطة البدائية.

ظ

ظاهرة خداع البصر:

ان ننظر الى جسم متحرك فنخاله ساكنا او متحركا في اتجاه مضاد، أو متحركا وثبا بدلا من تحركه في انسياب وسبب هذا التوهم هو رؤية مستمرة، أو اضاءة الجسم المتحرك بسلسلة من الومضات بدلا من اضاءته اضاءة مستمرة.

وغالبا ما تبدو ظاهرة خداع البصر واضحة في السينما، عندما تبدو أنصاف أقطار العجلات التي تدور كأنها ساكنة أو متحركة الى الخلف.

ع

العين: (كتاب):

أول معجم وضع في اللغة العربية، وضعه الخليل بن أحمد ورتبه حسب مخارج الحروف ابتداء بحروف الحلق واللهاة .. وانتهاء بحروف الاسنان والشفة، فكانت الحروف عنده هي: العين، الحاء، الهاء، الخاء، الغين، القاف، الكاف، الجيم .. وهكذا حتى الميم وسمي كل حرف كتابا، ولما كانت العين هي أول الحروف فقد اطلق على مجموع الكتاب اسم العين.

ومنهج الخليل في العين يعتمد على تنظيم الكلمات حسب حروفها الأصلية، دون الالتفات الى الحروف الزائدة فيها، وعلى تبويب الكلمات حسب صيغها الى: الثنائي، والثلاثي الصحيح والثلاثي المعتل، واللفيف، والرباعي، والخماسي، والمعتل.

وهو عند تناوله للكلمة يقوم بتقليبها الى كل صيغها الاصلية، مع الاشارة الى المستعمل والمهمل من هذه الصيغ في العربية: فكتب مثلا يتناول بجانبها (كبت) و(تبك) و(بتك). فكان بذلك أمام مدرسة لغوية، اقتفى اثره فيها كثير من الدارسين من أصحاب القواميس والمعاجم.

غ

الغزالي:

هو ابو حامد محمد الغزالي (١٠٥٩ - ١١١١م) ولد في طرطوس بخراسان، ودرس علم الكلام في نيسابور على امام الحرمين «الجويني» ثم على مجلس نظام الملك - وزير السلطان السلجوقي، وظل فيه حتى اسند اليه منصب التدريس في بغداد. وقد درس كتب الفلاسفة ولا سيما الفارابي وابن سينا، ثم الف كتاباً هو «**مقاصد الفلاسفة**» يلخص فيه مسائل الفلسفة غير متعرض لنقدها، مرجئا ذلك النقد الى كتب تالية كان أهمها في هذاالصددكتاب «**تهافت الفلاسفة**» ولم يلبث بعد تأليفه هذا الكتاب طويلا في منصب التدريس ببغداد، فانقطع عن التدريس وانصرف الى العبادة والتأليف، حيث ألف اكبر كتبه وهو «**أحياء علوم الدين**» في الشطر الاول من هذه الفترة، وفي نهايتها حاول ان ينهض برسالة الاصلاح الديني التي كانت هدفه منذ البداية.

ولقد ذهبت به الاسفار الى دمشق وبيت المقدس والاسكندرية ومكة والمدينة، ثم عاد آخر الامر الى وطنه حيث استأنف مهنة التدريس زمنا وجيزا في نيسابور. ثم وافته المنية في مسقط رأسه.

ف

فصام:

مرض عقلي، قد يصيب الشباب ما بين السن ١٥-٣٠ سنة من أكثر الامراض العقلية انتشارا، حيث تبلغ نسبة المصابين به بالقياس الى سائر الامراض العقلية ٥٠٪.

من أهم مميزاته تفكك الروابط بين الوظائف النفسية، وانفصام المريض عن عالمه الخارجي، وانطواؤه على نفسه في عالم من الوهم والأحلام والتفكير الاجتراري. كما تتسم تصرفاته بالتناقض وعدم المبالاة، وقد يصاب بالهذيان.

يعالج الفصام بالانسولين والصدمات الكهربية وجراحة المخ. أما علاجه عن طريق الجلسات النفسية، فقد تزيد المريض سوءا، لعجزه عن تحقيق الصلة بينه وبين المحلل.

ق

قصور ذاتي:

القصور الذاتي لجسم ما على سطح القمر، هو نفسه على سطح الأرض، وذلك على الرغم من أن وزنه على سطح القمر يكون أقل من وزنه على سطح الأرض، وعلى ذلك فالقصور الذاتي خصيصة في المادة تبقيها ثابتة على حاليها من سكون او حركة اذا لم تؤثر فيها قوة خارجية وهذه الخصيصة لا ترتبط بالجاذبية، وتقاس بوحدة ما من الوحدات المتعددة المستخدمة لقياس الكتلة.

ك

الكندي:

ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي، ولد بمدينة الكوفة في اوائل القرن التاسع الميلادي، وهو من قبيلة كندة، اي انه من اصل عربي، ولذلك لقب بفيلسوف العرب، وكان ابوه اميرا على الكوفة.

وقد حصل الكندي علومه في البصرة ثم في بغداد، وشغل بترجمة كتب اليونان الى العربية وبتهذيب ما كان يقوم غيره بترجمته من تلك الكتب، وكان ملما بعلوم عصره، ومدار فلسفته هو الرياضيات والفلسفة الطبيعية، وعنده أن الانسان لا يكون فيلسوفا حتى يدرس الرياضيات. وقد طبق الرياضيات في بحوثه الطبيعية، وفي دراسته للموسيقى، فكلا الطب والموسيقى يقوم على التناسب الهندسي، فالأدوية قوامها تناسب في الكيفيات الأربع .. الحار والبارد والرطب واليابس.

ل

لولب:

في الرياضيات منحن يقطع عناصر سطح اسطواني أو مخروطي بزاوية ثابتة. وفي الفيزيقا، ملف اسطواني من السلك مثل الملف اللولبي. واللولب بمعناه العام هو الاشرطة التي تلف حول الأعمدة للزينة، وحزوز المسمار المحوري (القلاووظ) أمثلة للولب الدائري.

م

مركز الأبحاث والتنمية الصناعية:

صدر مرسوم ملكي في عام ١٣٨٦هـ بانشاء مركز الابحاث والتنمية الصناعية بالمملكة العربية السعودية وفقا للاتفاقية المعقودة بين الحكومة وبين الصندوق الخاص التابع لهيئة الامم المتحدة، ويعتبر المركز هيئة مستقلة يدير شئونه مجلس ادارة يرأسه معالي وزير التجارة والصناعة، وللمركز مدير عام هو بمثابة الرئيس التنفيذي له، ومقر المركز الرئيسي مدينة الرياض وله فرع في جدة وآخر في الدمام، وقد انشيء هذا المركز للقيام بالمهام التالية:—

اجراء الابحاث الصناعية ودراسة الجدوى، وتقديم المشورة والاستثمارات حول وضع السياسات والخطط والبرامج الصناعية وحول تنفيذ المشاريع الصناعية. تقديم المساعدة الفنية للمؤسسات الصناعية القائمة ثم الاشراف على تخطيط وانشاء وتشغيل المناطق الصناعية.

ن

نابلي:

ثاني ميناء في ايطاليا، وأحد المصايف الاوروبية الجميلة. يبلغ سكانها حوالي مليون نسمة. تشتهر بصناعة الاغذية المعلبة وانتاج الجلود والمنسوجات. اصابها الدمار في الحرب العالمية الثانية من قصف القنابل، لكنها تجددت بعد الحرب.

و

وادي ماسل:

مكان يقع في المملكة العربية السعودية جنوب شرقي بلدة الدوادمي بنحو ٥٠ كم حوله جبل يقال له: «الجمح» فسمي: «ماسل الجمح».

معروف منذ القدم، بجانبه كهف فيه كتابات ونقوش ترجع الى عصر السبئيين، في اول القرن الخامس الميلادي. حفرت النقوش على حرف صخرة من الحجر الناري الاسود.

هـ

هوراس:

شاعر لاتيني. عاش في القرن الاول قبل الميلاد. يعد هو وصديقه فرجيل، من أكبر شعراء ذلك العصر. فرغ من كتابه الاول في الهجاء عام ٣٥ ق.م. ومن أروع كتبه رسالته المشهورة في «فن الشعر» نجح هوراس في تصوير عصره تصويرا حيا. وبرع في وصف المشاهد الايطالية بلغة شعرية دقيقة.

ي

اليونسكو:

أسمها الكامل منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم الثقافية. وكلمة «يونسكو» هي الحروف الاولى التي يتكون منها هذا الاسم باللغة الانجليزية.

تأسست المنظمة في ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٦م. ومقرها باريس. ومن أهم اهدافها دعم التعاون التربوي والعلمي والثقافي بين الامم .. وتعزيز الاحترام العالمي للسلام والعدل. لها ثلاثة فروع رئيسية هي:— المؤتمر العام، والمجلس التنفيذي، والأمانة.

الفيصل

تحية وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ... [illegible]
التاريخ ... ٢٥/٦/٩٧هـ
المشفوعات ...

صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

وبعد ، تلقينا خطابكم رقم ٢٢١/ ش في ١٣٩٧/٦/٢٧ هـ ، المرفق به نسخة من العدد الأول لمجلة " الفيصل " .

واننا اذ نشكركم ونقدر لكم ولكل من بذل جهده في اصدار هذه المجلة القيمة لما تحتويه من مواضيع مناسبة ستكون بأذن الله منبر خير وبركة تعم فوائدها مجتمعنا الاسلامي الذي كافح من اجله من تحمل هذه المجلة أسمه يرحمه الله - ، سائلين الله لكم المثوبة والتوفيق للجميع ، والله يحفظكم ،

فهد بن عبدالعزيز آل سعود
" ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء "

نص الرسالة الكريمة التي وجهها صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز ولي العهد .. ونائب رئيس مجلس الوزراء الى المجلة مهنئا ومشجعا ، كعادة سموه في تشجيع الأعمال الوطنية الجيدة في كل المجالات .. والمجلة اذ تعتز بهذا التكريم تشكر سموه .. وتتمنى له موفور الصحة والسعادة.

عمل خالد

صاحب السمو الملكي الامير خالد الفيصل بن عبدالعزيز
سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فقد تسلمنا خطاب سموكم الكريم المرسل معه نسخة من العدد الاول من مجلة (الفيصل) الشهرية التي تصدر عن دار الفيصل الثقافية بالرياض.

وقد اطلعنا عليها فوجدناها قيمة شكلاً وموضوعاً ، فطباعتها ممتازة تليق بما حوته من مواضيع شيقة تتعلق بالدين ، والفكر ، والأدب ، والفن من منطلق عربي اسلامي ، تضطلع بهذه البلاد في سبيل نشر الدعوة الاسلامية والفكر السلفي السليم.

واننا اذ نشكر سموكم على هذه المبادرة الكريمة والخطوة المباركة والعمل الجليل الذي يجدد لنا ذكرى الشهيد مطلع كل شهر.

وهو عمل خالد تستحقون عليه الشكر والثناء والتقدير.

وفقكم الله ، وسدد خطاكم – مع قبول تحياتنا

أمير المنطقة الشرقية

عبد المحسن بن جلوي

انجاز كبير

صاحب السمو الملكي الامير خالد بن فيصل بن عبدالعزيز
حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

تسلمت خطاب سموكم ونسخة من العدد الاول من مجلة الفيصل التي تصدرها دار الفيصل الثقافية .. وقد تصفحتها فوجدتها تزخر بالمعلومات القيمة المفيدة وسررت بهذا الانجاز الكبير .. وهذا لاشك تم بفضل الله ثم بفضل توجيهات سموكم للقائمين على اصدار المجلة.

ولسموكم فائق التقدير

وزير الصحة

د. حسين الجزائري

خدمة الثقافة العربية والاسلامية

صاحب السمو الملكي الامير خالد
بن فيصل بن عبدالعزيز
حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

أود الاشارة لكتاب سموكم المرفق طيه نسخة من العدد الاول من مجلة الفيصل باكورة انتاج دار الفيصل الثقافية وبهذه المناسبة أقدم شكري وتقديري لسموكم الكريم وللقائمين على المجلة التي هدفها السعي لخدمة الثقافة العربية الاسلامية والفكر الانساني والتي بلاشك سيكون لها دور فعال في هذا المجال للمشاركة في خدمة أدبنا المشرق في هذه البلاد العزيزة والامة الاسلامية .. متمنياً من الله التوفيق والنجاح المستمر.

مدير جامعة الرياض

عبد العزيز عبدالله الفدا

جهـد كبـير

حضرة صاحب السمو الملكي
الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز
المعظم

بعد التحية .. والاحترام

تلقينا بعظيم الشكر والتقدير خطاب سموكم المرفق به نسخة من مجلة الفيصل الغراء .. واذ نهنئ سموكم والعاملين بها على ما بدا بين صفحاتها من الجهد الكبير والقدرات الفنية الرائعة التي تعاونت على اخراجها فانه مما يبعث على التفاؤل والثقة أن تحقق رسالتها العظيمة بنشر الثقافة العربية الاسلامية على الصعيد العالمي آملين ان تلقى من القبول والرواج لدى قراء العربية في كل مكان ما هي جديرة به وان تحقق طموحاتها الجديرة بالتشجيع والمساندة دائماً والله من وراء القصد.

مدير الامن العام

فريق أول فائز محمد العوفي

خدمة الدين .. ونشر الفكر والعلم

حضرة صاحب السمو الملكي
الأمير خالد بن فيصل بن عبدالعزيز
الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقينا خطاب سموكم ومدرجه نسخة من العدد الاول من مجلة «الفيصل» التي تصدر بمدينة الرياض.

وسرنا بهذه المناسبة الكريمة أن أقدم لسموكم الكريم أحر التهاني القلبية على ما احتوته هذه المجلة من مواضيع دسمة تهدف الى خدمة الدين الاسلامي الحنيف بالاضافة إلى العديد من المواضيع التي تهدف الى نشر الفكر والادب والعلم.

واننا اذ نبارك جهودكم في اصدار هذه المجلة ونشرها في اقطار العالم العربي والاسلامي .. نرجو أن يكون لها دور عظيم في خدمة امتنا وديننا في جميع المجالات وخاصة وهي تصدر من قبل الجزيرة العربية التي انطلق منها صوت الحق عالياً مدوياً من اجل دعوة التضامن الاسلامي بقيادة الشهيد العظيم فيصل بن عبدالعزيز تغمده الله بواسع رحمته.

امين عام رابطة العالم الاسلامي بالنيابة

محمد عبدالله السالم

مجلة فنيـة

صاحب السمو الملكي الامير خالد
بن فيصل بن عبدالعزيز
الموقر

بعد التحية والاحترام،

اشير الى خطاب سموكم الكريم المتضمن قيام دار الفيصل الثقافية باصدار مجلة شهرية ثقافية مقرها الرياض باسم «الفيصل» والتي بعثتم لي سموكم نسخة من العدد الأول من هذه المجلة وقد اعجبت بما حواه من مقالات ومن اخراج وما بذل في طباعتها من جهود موفقة حتى خرج بهذا الشكل الرائع. راجين من الله لجميع القائمين على هذه المجلة وعلى رأسهم سموكم كل توفيق كما نرجو لهذه المجلة الفتية التقدم حتى تخلد ذكر الرائد العظيم جلالة الملك فيصل طيب الله ثراه.

وتفضلوا سموكم بقبول فائق احترامي

المدير العام لسلاح الحدود

الفريق
عبدالله عبدالرحمن آل الشيخ

قالوا عن مجلة الفيصل

صوت أدبي جديد اسمه: الفيصل

مجلة ثقافية جديدة تبرز للوجود عن دار الفيصل الثقافية في المملكة العربية السعودية، رئيس تحريرها علوي طه الصافي.

والمتصفح للعدد الاول من هذه المجلة الفنية، سوف تشده دسامة المحتوى وجمال الاخراج وتنوع الموضوعات التي تطرقت اليها المجلة باقلام نخبة من كتاب العربية منهم الدكتور سمير سرحان وعبدالله عبدالرحمن جفري وعباس صالح طاشكندي وغيرهم.

طرح رئيس التحرير هذا السؤال: ما هي الصحافة الناجحة؟

ثم أجاب عنه في صفحتين وقد تعرض في جزء الافتتاحية الاول الهموم التي انتابت بعض الصحف العالمية العربية والى المزالق التي انحدرت اليها لادمانها على نشر موضوعات تتعلق بالجنس والجريمة، يضاف اليها تلك التحاليل السياسية المظللة وذلك بحثاً عن الكسب المادي العاجل دون النظر الى مصلحة القارىء ودون اعتبار للدور الاساسي الذي ينبغي أن تقوم به الصحافة في مختلف مجالات الحياة البشرية.

وفي الجزء الثاني من مقاله الافتتاحي اكد رئيس تحرير مجلة الفيصل جواباً على السؤال المطروح، ما هي الصحافة الناجحة؟ «اكد بان صدور مجلة «الفيصل» في هذا الجو الصحفي المشحون لئن كان يعتبر مغامرة الا انها مغامرة في اتجاه ايجابي الغرض من ورائه النفع الثقافي العام، وليس التهريج، ولا الاثارة ولا الافتعال ..، وانما مجلة بيئتها الارض العربية والاسلامية، مجلة تحافظ على تراث الاجيال وتهتم بالثقافة المعاصرة الاصيلة، مجلة تحترم القيم النبيلة والافكار البناءة».

وتوزع هذه المجلة ابتداء من عددها الأول هذا في تونس .. وكل الذي نتمناه هو ان لا تغيب عن القارىء في موعد صدورها.

جريدة الصباح (التونسية)
التاريخ ٢٤ يونيه عام ١٩٧٧م

مجلة الفيصل في الاسواق ابتداء من اليوم

صدر العدد الاول من «**مجلة الفيصل**» وهي مجلة ثقافية سعودية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية وذلك بعد فترة طويلة من انتظار القارىء لصدورها.

ويقول زميلنا رئيس تحرير المجلة الاستاذ **علوي طه الصافي** بان المجلة ستكون في المكتبات ومع الباعة ابتداء من اليوم وانه يأمل بما تضمنته من مادة ومن خلال مشاركات الكثير من الاقلام المنتقاة في اصدار العدد الاول منها ان يكون الاقبال بمستوى اهتمام المسئولين عن المجلة.

والمجلة من خلال الاطلاع السريع على العدد الاول منها يلاحظ ان هناك جهوداً طباعية ضخمة بذلت في اصدارها، وبسؤال زميلنا **الصافي** قال ان طباعتها قد تمت في اوروبا واننا سنظل نطبعها هناك الى حين الانتهاء من **مشروع دار الفيصل الطباعية** والذي قطع مرحلة لا بأس بها الان.

هذا ويقول الزميل الصافي بأنه يتوقع **بان يكون العدد القادم أفضل بكثير من هذا العدد**، حيث ستحاول أسرة التحرير تجنب كل الاخطاء التي من الجائز ان يكون العدد الاول قد حفل بها وهو أمر طبيعي لمن يعرف حجم المتاعب الطباعية التي عانيناها خلال عام التحضير لاصدار المجلة التي بدعمها **سمو الامير خالد الفيصل** مادياً ومعنوياً وصاحب فكرة اطلالتها.

جريدة الجزيرة – العدد ١٨٤٠
التاريخ ١٣٩٧/٧/٢هـ
الموافق ١٩٧٧/٦/١٨

عمل ثقافي وصحفي متفوق

أي عمل عندما يطرح بين يدي المواطن وهو تصميم جهد مخلص يستهدف تقديم عمل مشرف دافعه الوطنية ونقاء الضمير فانه يكون أما محاولة ناجحة يتوقع بعدها الجميع التفوق والتكامل او أن يكون عطاء ناضجاً يتمنى له الجميع الاستمرارية في التفوق..

ولنأخذ الامر في جميع مجالات النشاط..

من ينفذ تعبيد الطرق .. ومن يقيم المستشفيات..

ويزرع الاراضي البور .. ومنشآت المدارس..

كل هذه اعمال تتطلب الكفاءة والاخلاص في التنفيذ وهي تأتي مرتجلة وهزيلة اذا كان دافعها الربح المادي فقط.

أما عندما يتعلق الامر بالثقافة والعلم فان المصاعب تكون اكبر وحرارة الاخلاص تصبح اكثر قسوة..

ذلك **ان الثقافة لا تشترى ولا تباع وانما هي تستوطن البقاع الصالحة لها**.. وتستقر في المواطن المؤهلة لاستقبالها.

والمتاعب الطباعية يصعب ان تذلل بين يوم وليلة .. ويستحيل ان يكون في مقدور شخص أو جملة أشخاص ان يفتعلوا عملاً ثقافياً او

فنياً بالاعتباط والارتجال..

وسمو الامير خالد الفيصل..

خــالــد المسؤول والمواطن والمثقف..

الرياضي في رعاية الشباب **والحاكم الاداري** في عسير..

والمحاور **المثقف** في **ندواته** واجتماعاته ورعاياته **الأدبية**..

خالد .. تصدر لهذه التجربة بباكورة انتاج تجمع بين **المحاولة الناجحة** وبين **العمل الجيد**..

وأتى ذلك في عمر زمني قصير رغم المتاعب الجمة التي اعترضت هذا العمل ورغم الخطى اللاهثة لرئيس التحرير الزميل **علوي طه الصافي** الذي تنقل بين اكثر من **عاصمة اوروبية** كي يقدم هذا الانجاز الجيد..

توضع مجلة «**الفيصل**» بين أيدينا وهي **تجربة ناجحة** لكل العاملين في مجلاتنا المحلية من ان في مقدورهم تقديم العمل الجيد والناجح متى استهدفوا ذلك وارتفعوا عن الاهتمامات الصغيرة والتافهة..

ولا تستغرب ذلك لان رجلاً **كخالد الفيصل** يقف وراء هذه المجلة يهمه تقديم العمل الوطني الناجح .. ولان الزميل **علوي طه الصافي** شاب منا يجتهد ويتعب ويحاول كي يكون في مستوى الجهد المخلص والعمل المتفوق وقد فعل ذلك..

جريدة الرياض-العدد ٣٦٦٩
التاريخ ١٣٩٧/٧/٦هـ
الموافق ١٩٧٧/٦/٢٢م

وجه عربي

مثلما تصبح الكلمة وطناً في معاناة الكاتب، واستشرافة للحياة .. فان الكلمة ايضا .. تعطى خارج الوطن .. أصداء وملامحاً وتطوركل ما هو في داخل الوطن.

وعندما قالوا: ان أمة بلا فكر .. أمة خاملة لا تدام لها .. فهذا القول تاريخي، وشاهد على فعالية الكلمة وما أعطته لنهضات الامم وتقدمها.

هنا .. اجد قمة جبل أقف فوقها وأناديكم قائلاً:

تعالوا .. ادخلوا الى قراءتنا .. ادخلوا الى زماننا وقد جددناه بكلمة .. ألم يكن منطلق تاريخنا كلمة .. هي «اقرأ».

وفي المملكة السعودية نهضة صحفية .. الكلمة فيها واعية للفكرة، وللاصلاح وللحوار الحضاري.

وبهذه الرؤية ومنها .. تصدر مجلة «الفيصل» من المملكة السعودية .. وجهاً عربياً مشرقاً دائم الصحو كسماء بلاده.

واحسب أن كل هذه الكلمات .. لابد أن تأتي بشارة لمولد مجلة عربية جديدة تخدم الفكر والبحث العربي، وتنظم الى حليفاتها من المجلات العربيات مخاضاً جديداً لمولد فكر عربي جديد .. مجلة قادمة الى عالمنا العربي من مهد الرسالات .. من منطلق تاريخنا بكلمة: أقرأ.

عبدالله جفري
مجلة اكتوبر (المصرية) العدد ٣٧
السنة الأولى
التاريخ ٢٣ رجب عام ٩٧
الموافق ١٠ يونيه عام ٧٧

عمل ثقافي .. وصحفي جيد

لقد فرغت لتوي من القاء نظرة فاحصة على العدد الاول من مجلة الفيصل الذي وصل الي بطريقة ما .. فلا زالت هناك عدة أيام تسبق اليوم المحدد لعرض العدد في الاسواق..

وبصرف النظر عن أي ملاحظات بسيطة يمكن أن يجدها كل من يبحث عن الاخطاء وبتصيدها فان مجلة الفيصل هي عمل ثقافي وصحفي من الدرجة الاولى .. واذا كان انشاء هذه المجلة وميلادها قد حدث في صمت .. فانه بحق الصمت الذي يسبق الاعمال الجيدة والعظيمة.

وانني لا أستطيع أن أسمح لنفسي أن اكشف أوراق الاشخاص الذين صرفوا الوقت والمال والجهد في سبيل اخراج هذا العمل الثقافي والصحفي الى حيز الوجود قبل وقته المحدد فاستعرض بالتفصيل محتويات العدد الاول من مجلة الفيصل لانني سأكون قد تصرفت في شيء خاص بهم قبل أن يكون ملكاً لنا نحن القراء.

ولكنني بكل تأكيد اسمح لنفسي بان اسجل انطباعاتي السريعة عن مجلة الفيصل وأن اقدمها للقراء قبل أيام من صدورها لانها بالمستوى الذي ستظهر به ستكون موضع الحديث والنقاش بين القراء فلقد استطاع من هم وراء مجلة الفيصل ومن صنعوها عملاً وكلمة وشخصية ثقافية وصحفية جديدة أن يبرهنوا على ان في الامكان تقديم عمل صحفي وثقافي جيد له الشخصية السعودية العربية الاسلامية المعدة باسلوب عصري متقدم.

وان الاشخاص الذين كانوا وراء هذا العمل وفي مقدمتهم صاحب السمو الملكي الامير خالد الفيصل يستحقون اكثر من التهنئة على هذا العمل فلقد اثبتوا ان في هذه البلاد امكانيات كبيرة لاخراج اعمال قد لا يتصور الكثيرون انها يمكن ان تكون بهذا المستوى الرفيع واكاد اقول ان مجلة الفيصل بالمستوى والشكل الذي ستظهر به ستتصدر المجلات الثقافية في العالم العربي بعد فترة وجيزة من الزمن وسيضعها في موقف تحسد عليه.

وان اكثر ما يجعلنا نثق في مستقبل هذا العمل هو تواضع الشخص الذي كان وراءه فلم يظهر اسمه على المجلة ولم يكتب فيها ولم تنشر له قصيدة رغم انه شاعر .. انه اسلوب جديد ولكنه هو الأسلوب الحق في ممارسة مثل هذه الاعمال.

انني أستطيع ان أقول بكل ارتياح ان هذا العمل يتناسب مع الاسم العظيم الذي يحمله.

وبعد لابد ان نقدم تهنئة أخرى لصديق وزميل عزيز كان لحماسه وجهده أثر بارز في مجلة الفيصل ذلك هو الاستاذ علوي طه الصافي رئيس تحرير مجلة الفيصل.

محمد علي حافظ
جريدة المدينة العدد ٤٠٠٦
التاريخ ١٣٩٧/٦/٢٥هـ
الموافق ١٩٧٧/٦/١٢م .

مــع الأصـــدقـــاء

تلقت هذه المجلة بمناسبة صدور العدد الأول منها عددا من الرسائل من مختلف أقطار العالم العربي والإسلامي ترحب .. وتنقد، تتمنى .. وتقترح.

وامام هذا الشعور النبيل الذي أبداه الأصدقاء، يسعد المجلة ان تحتفي برسائلهم .. بنشر ما يمكن نشره .. في هذا الباب الذي نأمل أن يكون جسر صداقة .. ومحبة .. وعمل من أجل خدمة الثقافة العربية والإسلامية .. ونافذة يطل من خلالها القارئ بشعوره .. ورأيه.

ملاحظة قيمة

السيد الاستاذ رئيس تحرير مجلة الفيصل

سلام الله عليكم ورحمته .. وبركاته .. وبعد

لي ملاحظة أود أن أهمس بها .. فقد ورد في موضوع الخيل ص ٩٣ تحت عنوان «الخيل في القرآن الكريم» ورد قال عز وجل: «خلقتك عربياً .. وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق والغنائم تقاد على ظهرك، والخير معقود بنواصيك» - صدق الله العظيم، فهل هذه آية من القرآن الكريم، أنزلت على النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .. أم أنه حديث قدسي .. أرجو افادتي عن ذلك .. ومن هو كاتب الموضوع؟ فهو لم يذكر اسمه.

فتحي محمد العقر
أسيوط - ج.م.ع.

المكرم رئيس تحرير مجلة «الفيصل» الثقافية الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد لفت انتباهي .. وأنا اقرأ مجلتكم الغراء بشوق ولهفة عارمة في العدد الأول منها .. وفي الموضوع الخاص بالخيل ص ٩٣ العمود الأول عند ذكر ما ورد في القرآن عن الخيل .. وقد دهشت حين ذكر الكاتب ان هذه الجملة من القرآن الكريم .. وانها أنزلت في الخيل، فتعجبت كثيراً حيث أن القرآن واضح جداً .. وأسلوبه يختلف عن جميع أساليب الكلام مهما كان مصدرها .. فكيف ألتبس الأمر على الكاتب؟

احمد زيدان عمر البشير
المدينة المنورة
المملكة العربية السعودية

السيد الفاضل رئيس تحرير مجلة الفيصل

تحية طيبة .. وبعد

وأنا اتصفح مجلتكم المفعمة بالعلوم والآداب وكافة الوان العلوم، استرعى نظري موضوع خاص (الخيل .. ذلك العالم المجهول) واستلفت نظري الفقرة المعنونة بالعنوان التالي «الخيل في القرآن الكريم» .. ورد ذكر الخيل في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم .. وذكرتم (خلقتك عربياً .. وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق والغنائم تقاد على ظهرك، والخير معقود بنواصيك). صدق الله العظيم. ص ٩٣.

وأخذت أقلب بذاكرتي في هذا القول رغم قراءتي للقرآن عدة مرات، لكني لم أستدل على مكانها .. فهي ليست من القرآن.

لذا وجدت نفسي مشدودة للكتابة اليكم مستفسراً .. طالباً الاستدراك. وفقنا الله واياكم لما فيه خير العروبة والإسلام.

ابراهيم حسن ابراهيم
سيناء - ج.م.ع.

المجلة:

هذه ثلاث رسائل من مجموعة الرسائل التي وردت الينا تحمل في طياتها هذه الملاحظة القيمة في الوقت الذي لاحظناها بعد فوات الآوان.

ونحن في الوقت الذي نرد فيه على أصدقائنا الأفاضل نشعر بالأسف العميق لهذا الخطأ غير المقصود .. وندعو الله صادقين المغفرة .. والخطأ من طبيعة البشر.

وحقيقة الأمر ان هذا الكلام ليس قرآناً .. وقد وضع خطأ تحت عنوان «**الخيل في القرآن الكريم**» .. ومكانه الصحيح غير ذلك على أساس انه حديث قدسي.

وقد فات الكاتب وهو ينقل هذا الحديث من كتاب «**عقد الأجياد في الصافنات الجياد**» تأليف الأمير محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري الحسني ص ٣ منشورات المكتب الإسلامي بدمشق ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م، فاته ايراد الملاحظة المدونة في هامش الكتاب، ونصها «**أخرج الحديث الحاكم مطولا وفي سنده محمد بن أشرس قال الذهبي: منهم وتركه غير واحد**».

ومن ذلك يتبين انه ليس قرآناً .. رغم أن مؤلف الكتاب المشار اليه أورد عبارة .. **وقال عز وجل على أساس انه حديث قدسي.**

والمعروف ان الحديث القدسي هو حديث رواه النبي ﷺ بلسانه عن الله تعالى .. وقد بلغت الأحاديث القدسية التي تسمى أيضاً بالأحاديث الإلهية والربانية، تمييزاً لها عن الأحاديث النبوية بلغت نيفاً ومائة حديث.

والحديث القدسي كلام الله تعالى مسنداً الى النبي ﷺ لأنه المخبر به عن الله .. وهو ما كان لفظه من عند الرسول، ومعناه من عند الله.

والأحاديث القدسية تختلف عن القرآن، الذي لا يضاف الا الى الله تعالى. وتسبق رواية الحديث القدسي: (قال رسول الله فيما رواه عن ربه).

والمجلة في الوقت الذي تكبر في قرائها غيرتهم الدينية تشكرهم عميق الشكر على ملاحظاتهم .. وتأمل أن تتلقى ملاحظاتهم حول كل ما تقع عليه أعينهم من أخطاء قد تقع فيها سهواً .. والكمال لله.